غير مرخصة للطباعة

مَوسُوعَةُ الأعمالِ الكامِلَةِ
لِسَماحَةِ الإمامِ
# يوسف القرضاوي

**المجلد الخامس والتسعون**

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولـى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

# مَوسُوعَةُ الأعمَالِ الكَامِلَةِ

## لِسَمَاحَةِ الإمَامِ

# يُوسُف القَرضَاوِي

المِحوَرُ الحَادِي عَشر

# خُطَبُ الجُمُعَةِ

١٨٨ خطب الشيخ القرضاوي ٢٥

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحور الحادي عشر

## خطب الجمعة

١٨٨

# خطب الشيخ القرضاوي

٢٥

إعداد

المكتب العلمي للشيخ

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

# من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

﴿ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

نسخة مجانية

# من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة ﵁ قال: قــال النبيّ ﷺ: «**تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**». متفق عليه.

عن أبي وهب الجشــمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَسَمَّوْا بأســماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله ﷻ عبد الله وعبــد الرحمــن. وأصدقها حــارث وهمام. وأقبحها حرب ومرة**». رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

عــن عطية الســعدي قــال: قال رســول الله ﷺ: «**لا يبلغ العبد أنْ يكون من المتقيــن حتى يدَع ما لا بأس به حذرًا لما به البأس**». رواه الترمذي وابن ماجه.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

# ١

# الأمل واليأس في القرآن الكريم (٢)[(١)]

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في خطبنا عن موضوعات القرآن الكريم، وقد تحدثنا في الأسبوع الماضي عن الأمل الَّذي نحتاج إليه دائمًا وفي كل حين، وخصوصًا في وقتنا هذا الَّذي يُمتحن فيه المسلمون في ديارهم في المشرق والمغرب، وفي الشمال وفي الجنوب، ويتعرض أولياء الله ودعاته ورجال الإسلام، إلى محن شتى، يتقلبون فيها، يمتحنهم الله ﷻ ليعرف من يتبع الرسول ممَّن ينقلب على عقبيه، من يثبت على الإيمان ومن يذهب هنا وهناك، ولذلك كانت هذه المحن، وهي في بلاد الإسلام كلها والله، ما رأيت بلدًا من بلاد الإسلام؛ إلَّا وفيه محنة من نوع ما، هذه بلية الله لهذه الأمة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتها على هذا الحق وعلى هذا الخير.

نريد من هذه الأمة أن يكون عندها أمل في رحمة الله، في نصر الله، في تأييد الله، لن يتخلى الله عنها، الله أيُّها الإخوة موجود، يسمع ويرى، هو صاحب هذا الكون، هو خالق هذا الكون، هو مدبر هذا الكون،

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٢ نوفمبر ٢٠١٣م.

غير مخصص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا تخرج عن قدرته ولا عن علمه ولا عن إرادته: ذرة في السماوات ولا في الأرض، أمره بين الكاف والنون، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فلماذا لا نعتمد عليه؟ ولماذا لا نتوكل عليه؟ ولماذا لا نضع أيدينا في يديه؟ هذا هو المطلوب منا.

## المؤمن لا ييئس أبدًا:

ولذلك ينبغي ألَّا نيئس أبدًا، المطلوب منَّا كمؤمنين أن ندع اليأس، وأن نترك القنوط، فهما ليسا من شأن المؤمن أبدًا، القرآن ذمَّ اليائسين والقانطين من رَوح الله، ومن رحمة الله، ومن هداية الله، ومن تأييد الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، ليس اليأس من شأن المؤمنين، اليأس من شأن الكافرين بالله تبارك وتعالى، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [العنكبوت: ٢٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

والله تعالى يقول: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾ [هود: ٩]. شديد اليأس، شديد الكفران بنعمة الله، أو يؤوس قنوط: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ [فصلت: ٤٩]. كلمة (يؤوس) و(قنوط) مبالغة في اليأس والقنوط من رحمة الله ﷻ، ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا﴾ [الإسراء: ٨٣].

ولكن المؤمن لا ييئس أبدًا، لأنَّه يعلم أنَّ الله قريب منه، وأنَّه قريب من الله، وأنَّه مع الله، وأنَّ الله معه، ومن كان الله معه فلن يضيع أبدًا، من نصره الله فلن يُخذل، ولن يُغلب ولن يضيع.

QaradawiBooks.com

كُن مع الله ولا تبالِ بأحد، سيكون العالم كله معك، الأرض معك، والسماء معك، والملائكة معك، والمؤمنون معك، ويكفي أن يكون الله معك، إذا كان الله معك كانت الخيرات كلها معك، والبركات كلها معك، وجنود السماوات والأرض كلها معك، ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]، هذه الجنود كلها ستكون معك، فلذلك اطمئن أيُّها الأخ المؤمن إلى مستقبلك، وإلى مصيرك.

لا تظن أن هؤلاء المبطلين المستكبرين في الأرض، المتجبرين على الخلق، بما معهم من قوَّة، وما معهم من بطش، وما معهم من جنود: أن هذا يعطيهم قوَّة فوق الله، لا والله أبدًا، جنود الله أكبر من جنودهم، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]. ولذلك أخذهم الله، ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

وأحيانًا يعتبر القرآن الأمم الظالمة كلها جنود، لأنَّها أمم عسكرية، الإسلام يعتبر مهمة العساكر هي الحماية والدفاع عن الأمة، أمَّا أن يحكموا هم ويتحكموا في الأمة؛ فهذه مصيبة، ولذلك القرآن يقول: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۞ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج: ١٧، ١٨]. هؤلاء كلهم جنود، كلهم عسكر، هؤلاء العسكر شر على الدنيا؛ إذا كانوا يتحكمون في الأمور المدنية والأمور الحياتية، كل أشياء النَّاس تصبح في أيديهم، هذا خطر كبير، ولذلك اعتبرهم الله جنودًا، ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [ص: ١١]، كل هؤلاء الَّذين كفروا اعتبرهم القرآن جندًا لأنَّهم عسكريون، لا يقفون عند رأي المدنيين؛ من أهل العلم وأهل الخبرة وأهل الإخلاص، الَّذين يؤتمنون على حياة الناس.

QaradawiBooks.com

## وسع ربُّنا كلَّ شيء علمًا:

ولذلك أيُّها الإخوة علينا أن نأمل في نصر الله تعالى دائمًا، لا تظنوا أنَّ الله غائب عن هذا الكون، إياك أن تظن هذا، ربنا ينظر إلى هذا الكون ويراقبه، يعرف كل شيء فيه، كل صغيرة وكبيرة، من إنس، ومن جن، ومن مخلوق غير عاقل، ومن بهيمة، ومن حشرة، ومن نبات، ومن جماد، كل شيء في هذا الكون الله يرصده ويراقبه، ثمَّ يتصرف بمقتضى العدل الإلٰهي، والحكمة الإلٰهية، فيأخذ من يأخذ، يأخذ الظالمين، يأخذ المتجبرين، يأخذ المفترين، لا يدعهم يفسدون في الأرض كما يشاؤون.

أين الحكمة الإلٰهية إذن لو تركهم يفعلون ما يشاؤون؟ لا، الله سبحانه وتعالى هو الَّذي يتصرف في كونه، نحن نعمل ما نستطيع أيُّها الإخوة، ولكن القدرة الإلٰهية والإرادة الإلٰهية تكمل ضعفنا، نحن ضعفاء، نحن عاجزون، نحن لنا قدرة محدودة، ولنا علم محدود، أمَّا العلم الَّذي لا نهاية له؛ فهو علم الله تبارك وتعالى، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]، رحمته وسعت كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، فالله سبحانه وتعالى لا يغفل عن شيء في هذا الكون، نحن نعمل ما نستطيع، ولكن القدر هو الَّذي يكمل ضعفنا، ويكمل نقصنا.

نجد هؤلاء الظلمة يعطون للقدر الفرصة أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، إنَّهم يظلمون الخلق، ولا يتوقفون في الظلم عند حد أبدًا، يظلمون الناس، ويبغون في الأرض بغير الحق، انظروا ماذا يفعلون في مصر! ماذا يفعلون في سوريا! ماذا يفعلون في العراق! ماذا يفعلون في بلاد شتى! يقتلون المدنيين الَّذين ليس معهم سلاح، ويقتلون الَّذين معهم أسلحة خفيفة يدافعون بها عن أنفسهم بأسلحة ضخمة، بأسلحة

QaradawiBooks.com

الجيـش، بالطائرات ترمي من السـماء، والبـوارج البحرية، وراجمات الصواريخ، والمدافع الكبيرة، والقنابل الهائلة، وما شـاؤوا من الذخائر، يقتلون النَّاس بغير حق والله.

والله قتلوا النَّاس في مصر، عند مسجد رابعة العدويَّة، ورابعة العدويَّة كانت أمة من الإماء، وكانت جارية وتغني وترقـص، ثمَّ تابت إلى الله، وأصبحت رابعة العدويَّة العابدة الزاهدة، وبُني لها مسجد في مدينة نصر (مسـجد رابعة العدويَّة)، ووقف أهل الحق وأهـل الإيمان من الرجال والنسـاء، والبنات والصبيان والأولاد الصغار، وقفوا عند هذا المسجد يصلون طوال رمضان، والله قد صلوا صلاة لا يمكن أن تُنسـى أبدًا، في أوَّل الليل وفي آخر الليل، صلوا صلـوات هائلة لا تضيع عند الله، والله ركعة من هذه الركعات جديرة أن تزلزل على هـؤلاء أركانهم، وتحطم بنيانهم، فجـاء هؤلاء الظلمـة وقتلوا هـؤلاء الناس، قتلـوا المصلين الصائمين، القائمين القانتيـن، القارئين للقرآن، الَّذين لم يمسـوا أحدًا بسوء، لم يضربوا أحدًا، ليس معهم أي سلاح!

هؤلاء العسـكريون الظلمة، لا أقول: كل العسـكريين ظلمة. ولكن هؤلاء الَّذين أصبحوا يمثلون العسـكريين ويقودونهـم: يتحمل الجيش مسؤوليتهم إذا رضي عنهم، من رضي عن ظلم الظالم أصبح شريكًا له، أمَّا من قال: برئت إلى الله من هؤلاء، يا رب عافني من ظلم هؤلاء. ولم يسمع لهم فيما يأمرونه به، من حق كل جندي أن يقول لهم: لا، لا أقتل أخي ولا إخواني.

الذين قتلوهم في الأزهر، دخلوا عليهم بيوتهم وحجراتهم في الليل، أصبح الأزهر الشـريف مباءة لهؤلاء، أُعطي هؤلاء حق اقتحام المنازل،

QaradawiBooks.com

واقتحام ساحات الجامعات، بإذن وبغير إذن، وبدعوى التهديد، وفي كل وقت يقولون: هناك تهديد. ويدخلون الجامعــات بغير إذن، يقتلون من أبنائنا وبناتنا، قتلوا أبناء الأزهر وبناته!

غير مرخصة للطباعة

**ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء:**

ولكن للأسف وجدنا من القضاة، ويا للأسف: أن يتورط القضاء في مثل هذا، يحكم على اثني عشر شابًّا من جامعة الأزهر لكل واحد سبع عشرة سنة، وغرامة كذا وســتون ألف جنيه، من أين يأتي الطالب بهذا؟ هؤلاء ظلمة، والله لو قتلوا هم ما حُكم عليهــم بهذا، كيف يحكم على هؤلاء الطلاب بهذا؟ كيف يرضى شــيخ الأزهر بهــذا؟ وكيف يرضى علماء الأزهر بهذا؟ وكيــف يرضى رجال الأمة بهذا الظلــم البين؟ أنا أخشى على هؤلاء القضاة أن يأخذهم الله أخذًا أليمًا شديدًا.

**إذا جَــارَ الأميــرُ وحاجبــاه ... وقاضي الأرضِ داهنَ في القضاءِ**
**فويــلٌ ثــمَّ ويــلٌ ثــمَّ ويــلٌ ... لقاضي الأرضِ من قاضي السَّمَاءِ**[1]

ويلٌ لك أيُّها القاضي الَّذي تحكم على هؤلاء الشــباب بسبع عشرة سنة، ماذا فعل هؤلاء؟! يدافعون عن أزهرهم، عن جامعتهم، عن وطنهم، عن رؤيتهم، عن الديمقراطية الَّتي حُطمــت وقُتلت، لم تعد ديمقراطية، مصر الَّتي صبــرت على الباطل وعلى الاســتبداد وعلــى الظلم وعلى الفوضى ستين عامًا؛ حينما استردت حريتها، وعادت إليها ديمقراطيتها، وأصبح الأمر في يد الشــعب، أصبح الشــعب هو الَّذي يختار رئيســه، فمحمد مرســي كان أوَّل رئيس يختاره الشعب بنفســه، هو الَّذي أعطى

(١) انظر: تاريخ ابن أبي خيثمة (١٠٠١/٢)، تحقيق صلاح بن فتحي هَلل، نشــر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الشعب الحرية والديمقراطية، يقول النَّاس ما يقولون، ويفعلون ما يشاؤون، هذا ما ذاقه النَّاس في عهد مُحَمَّد مرسي، الَّذين ذهبوا إلى ميدان التحرير ووقفوا.. من الَّذي أعطاهم هذه الحرية؟ إنَّه مُحَمَّد مرسي!

## الظالمون انقلبوا على الحرية:

ثم انقلب هؤلاء الظالمون على الحرية والديمقراطية، وأرادوا أن يعيدوا البلاد العربيَّة كلها إلى الوراء، ويأبى الله ذلك، لا يمكن أن يعود هؤلاء بالبلاد إلى الوراء؛ لأن سنة الله تأبى ذلك، البلاد الَّتي قامت كلها عن بكرة أبيها؛ برجالها ونسائها، وشبابها وشيوخها، ومسلميها وأقباطها، وليبراليها وإسلامييها، وكل من فيها، قامت تسترد الحرية والديمقراطية، وتعود إلى ذاتها؛ كيف تُسلب منها هذه الأشياء؟ هذا لا يمكن أبدًا.

نقول لهؤلاء: لا تظنوا أنَّ الأمر أصبح في أيديكم، بالعكس، كل يوم يزداد الخراب في البلد، لا ينتج هؤلاء الناس، ما عادوا يبنون حجرًا في البلد، إنَّما يهدمون البلد حجرًا حجرًا، ولا يمكن أن يُترك لهم الأمر أبدًا، هذا الظلم المستمر لا يمكن أن يتركه الله عَزَّ وَجَلَّ، لا بدَّ أن يأخذ الله الظالمين أخذ عزيز مقتدر، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

## البغي لا يأتي إلَّا على صاحبه:

قلت لكم من قبل: إن هناك أشياء لا يتركها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى الآخرة، يأبى عدل الله أن يترك النَّاس الضعفاء المستضعفين في الأرض إلى الظلمة المتجبرين، يأبى عدل الله هذا، ولذلك نجد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ [يونس: ٢٣]. البغي: الظلم الواضح البين، وهؤلاء

QaradawiBooks.com

ظُلمهم بين واضح، قتلوا الآلاف في رابعة، والله آلاف قُتلوا، قتلهم الجيش والشرطة والقناصة، والله رأيت واحدًا منهم يقتل النَّاس من فوق السطح ويصوب عليه بالمنظار وهو يمضغ اللبان (العلك) كأنه يقتل قططًا أو كلابًا، هؤلاء قتلة، لا تظنوا أن قدرة الله يمكن أن تترك هؤلاء أبدًا، ولذلك قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾.

البغي لا يأتي إلَّا على صاحبه، والغدر والنكث لا يأتي إلَّا على صاحبه، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الفتح: ١٠]، والمكر كذلك، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، هؤلاء يمكرون، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١]، ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧]، كيد الله أقوى من كيدهم، ومكر الله أسرع من مكرهم، هم يحفرون قبورهم لأنفسهم بأظافرهم، يحفرون نهايتهم ببغيهم، بظلمهم، بعدوانهم على الناس.

## الظالمون يقتلون روح الأمة:

هؤلاء يقتلون الطلبة، والطلبة هم روح الأمة، ثروة الأمة، أعظم ثروة في الأمة ليست الثروة الصفراء (الذهب)، ولا الثروة البيضاء (القطن)، ولا الثروة السوداء (النفط)، إنَّما أعظم ثروة في الأمة هي الثروة البشريَّة، وخير من يمثل هذه الثروة هم الشباب، الشباب هم عين هذه الثروة، هم صرة هذه الثروة، وهؤلاء الظالمون يقتلون شباب الأمة، أبناء الأمة في الجامعات يقتلونهم في كل مكان، خصوصًا أبناء الأزهر الَّذي رفَض الظلم رفْض الأعزاء، رفض أن يُساق شباب الأزهر كالنعاج أمام قوات الشرطة والجيش، ومن معهم من البلطجية، ومن القناصة ومن المعتدين، الَّذين ملكهم هؤلاء زمام الناس.

QaradawiBooks.com

أصبح البلطجية يحكمون في البشر الآن، يقتلون النَّاس كما يشاؤون، ويسرقون من أموال النَّاس كما يشاؤون، ولا يستطيع أحد أن يقول لهم شيئًا، أتظنون أن مثل هذا الحكم يدوم، لا والله، لا يدوم أبدًا مثل هذا الحكم، يأبى عدل الله ذلك، الله سبحانه وتعالى يُنزل بأسه على حين غفلة من الناس، كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

## إنَّ ربَّك لبالمرصاد:

هذا ما يجب علينا أيُّها الإخوة في هذه المرحلة من مراحل الأمة، ألَّا نيئس أبدًا، الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يتخلى عنا، هو الَّذي ينظر إلى هذا الكون من فوق سبع سماوات، من فوق العرش وما لا نعلم، يحيط بهذا الكون كله وينظر إليه ويرقبه، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤]. جمعوا بين الطغيان والفساد، ودائمًا يقترن الطغيان بالفساد، هؤلاء أفسدوا في الأرض، أفسدوا الخلق، أفسدوا الدين، وأفسدوا الدنيا، وأفسدوا الحياة، وأفسدوا الناس، ولا يمكن أن يتخلى الله عن هذا الكون، ويدعه للفسدة والفسقة، والظالمين والجاحدين، يفسدون في الأرض كما يشاؤون، لا والله أبدًا، الله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]. هؤلاء كلما فعلوا منكرًا وأفسدوا في الأرض زادهم الله نعمًا، كلما أحدثوا معصية أعطاهم نعمة جديدة

QaradawiBooks.com

فيطغون، وهذا من الإمــلاء الإلٰهي، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعـراف: ١٨٢، ١٨٣]، الله يملــي لهــؤلاء ثــمَّ يأخذهم، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

غير مرخصة للطباعة

## الظلم لا ينتصر على العدل:

أنا أريد منكم أيُّها الإخوة المســلمون في قطر، وفي كل بلاد الخليج العربي، وفي كل البلاد العربيَّة، وفي كل البلاد الإسلاميَّة، وفي كل العالم، أريد من أهل الإيمان أن يعتصموا بالأمل، ولا يلجؤوا إلى اليأس أبدًا.

والله لا نيئس أبدًا، كيف نيئس ومعنا الله؟ كيف نيئس ومعنا الحق؟ كيف نيئس ونحــن أهل العدل؟ كيف ينتصر الظلــم على العدل؟ كيف ينتصر الباطل على الحق؟ كيف ينتصر الشــر على الخير؟ كيف ينتصر الفســاد على الصلاح؟ هذا لا يمكن أبدًا، نحن موقنون بنصر الله تبارك وتعالى، ثقوا أنَّ النصر لنــا نحن المؤمنين، مهما طــال بنا الزمن فهذا بالنسبة لعمر الأمة وعمر الكون شــيء بسيط، بالنسبة لله تبارك وتعالى، هذه أمور هينة كلها.

وعندما ينزل بأس الله ﷻ ويأخذ الظلمة أخذًا أليمًا شديدًا، يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، لا يبقى فيهــم من باقية، حين ذلك يتمنون أن يعودوا ليتوبوا من جديد، ولكن فات أوان التوبة، من كان يريد أن يتوب فليتب الآن، أدعــو الظالميــن وأدعو المغمَّــى عليهم، الَّذيــن لا ينظرون إلَّا ما تحت أقدامهم، الَّذين استغشوا ثيابهم فلا ينظرون، ووضعوا أصابعهم في آذانهم فلا يســمعون، حرموا على أنفســهم أن يســمعوا أو يبصروا فكيف يعرفون الحق؟ لا يمكن أن يعرفوا الحق، ندعو الجميع أن يعودوا

نسخة تجريبية

إلى الله، وأن يقولـــوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

إن أعظم الظلم أن تظلم المؤمنين المستضعفين في الأرض، الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قد يغفر ما بينك وبينه، ربَّما لم تصلِّ، ربَّما شربت الخمر، ربَّما أهملت في حق الله، أمَّـــا حقوق الناس، ديـــون الناس، أمـــوال الناس، أعراض الناس، رقاب الناس، دماء الناس، هذه لا يسامح الله فيها أبدًا، لا بدَّ أن يسامحك الشخص المظلوم؛ وإلا لا يسامحك الله أبدًا، ارجع إلى الله.

أيها الظلمة في مصر، أيُّها الظلمة في سوريا، أيُّها الظلمة في العراق، أيُّها الظلمة في بـــلاد الله، ارجعوا إلى الحق، ارجعوا إلى الله، قولوا: ربنا تب علينـــا واغفر لنا وارحمنـــا، ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### قضيَّة القدس والمسجد الأقصى:

قضايا المسلمين في بلاد المسلمين كثيرة، يصعب على الإنسان أن يتحدث في واحدة ويترك أخرى، ولكنِّي أحدثكم اليوم عن أمر واحد، يجب أن نتنبه جميعًا إليه، هذا الأمر هو أمر القدس الشريف والمسجد الأقصى، الَّذي ذكره الله في القرآن مع المسجد الحرام، حيث ابتدأ الإسراء من المسجد الحرام وانتهى في المسجد الأقصى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]. انتهى الإسراء إلى المسجد الأقصى، وابتدأ المعراج من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، إلى حيث شاء الله تبارك وتعالى.

هذا المسجد الأقصى أصبح اليهود الآن يدبرون له تدبيرات، ويفعلون له مؤامرات، ويصنعون له ما يصنعون، في كل يوم يزدادون ظلمًا، وضغطًا على المسلمين في المسجد الأقصى، يأخذون أرض هؤلاء المقدسيين، لم يكتفوا بما أخذوا من أرض الفلسطينيِّين وبنوا عليها دولة ظالمة، وقد جاؤوا من دول أخرى؛ فلم يكن الإسرائيليون من أهل هذه البلاد، جاؤوا من أوروبا ومن أمريكا ومن أستراليا، ومن آسيا ومن إفريقيا، ومن بلاد العالم كله إلى أرض فلسطين!

وفلسطين لأهلها، حتَّى لما دخلها أنبياء بني إسرائيل: داود وسليمان، ظلوا فيها بضع مئات من السنين، ولم يأخذا الأرض كلها أبدًا في وقت من الأوقات، ولكنَّها مئات من السنين ثمَّ انتهت، عندما دخلوها كان

QaradawiBooks.com

فيها أهلها، ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ ﴾ [المائدة: ٢٢]، ولما خرجوا منها كان فيها أهلها، أهل فلسطين، فأهل فلسطين موجودون فيها قبلهم وبعدهم، وأهل فلسطين قبائل عربيَّة سكنت فلسطين آلاف السنين، ثمَّ جاء الإسلام من أكثر من ألف وأربعمائة سنة؛ فأسلم أهل فلسطين، وأصبحت هذه الأرض أرضًا إسلاميَّة، ومع هذا يدعون أنَّها أرضهم؟ من أين جاءكم الحق فيها؟ دخلتموها ولم يكتب الله لكم فيها بقاءً، طردكم أهلها، فعلتم ما فعلتم فسلط الله عليكم الفرس، ثمَّ سلط عليكم الروم، ثمَّ ذهب بكم الروم، خرجتم من البلاد نهائيًّا، فليس لكم في هذه الأرض أي حق.

وبعد أن أخذ هؤلاء فلسطين، يريدون أن يأخذوا المسجد الأقصى، كما فعلوا في المسجد الإبراهيمي، قسموه بينهم وبين المسلمين، أنا صليت في المسجد الإبراهيمي وخطبت فيه الجمعة، كان مسجدًا إسلاميًّا خالصًا، الآن بعضه للمسلمين وبعضه لليهود، وأحيانًا اليهود يمنعون المسلمين أن يصلوا فيه الصلوات الخمس كلها، هؤلاء يريدون أن يفعلوا ذلك بالمسجد الأقصى، أن يقسموه بينهم!

والآن بدؤوا يدخلون في الحراسات من باب المغاربة، ومن باب كذا وكذا، ويمنعون المسلمين، هم يمنعون النَّاس من صلاة الجمعة، لا يسمحون للشباب بدخول المسجد، لا يدخلون إلَّا من كان قبل الخامسة عشرة ومن كان بعد الخمسين سنة، الأطفال والشيوخ فقط، من أعطاهم الحق بهذا؟!

هؤلاء يريدون أن يفاجئونا في يوم من الأيَّام بانهيار هذا المسجد، ما يدبرونه من خطط لا بدَّ أن تنتهي إلى هذا، أخونا الشيخ رائد صلاح

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حفظه الله من سنين وهو ينادي الناس، ونحن نناديِ النَّاس من قديم من عشرات السنين: أن يتنبهوا للمسجد الأقصى، خصوصًا الفلسطينيِّين الَّذين ينقسمون على أنفسهم!

آن لكم يا أهل فلسطين أن تتحدوا، وأن تكونوا يدًا واحدة، وأن تقفوا ضد هذه البلوى، الَّتي تريد أن تفترسكم وتأخذ مسجدكم، لا بدَّ أن يتحد المسلمون، هؤلاء الصهاينة الَّذين جاؤونا واحتلوا بلادنا، وأخذوا يقتلوننا: أنسوْا المسلمين المسجد الأقصى؛ وبدل أن يقتل المسلمون هؤلاء الصهاينة، الَّذين يأكلون الأرض، وينهبون العرض، ويسفكون الدم، ويرتكبون الموبقات، تركوا هؤلاء وبدؤوا يقتل بعضهم بعضا بغير حق!

نحن ننادي الأمة الإسلاميَّة، أن تتنبه إلى ما يجري في أرض فلسطين، وأرض المسجد الأقصى وبيت المقدس، يفعل هؤلاء كل يوم جديدًا، لا يقفون ساكتين ولا مكتوفي الأيدي؛ بل عندهم خطط وراء خطط، عقولهم تشتغل، وأيديهم تشتغل، ونحن غافلون عن هذا، فيا أيُّها المسلمون في كل مكان، هذه أمانة الله، أمانة الأمة عندكم، لا بدَّ أن تنادوا بكل أصواتكم: نحن فداء المسجد الأقصى، نحن فداء فلسطين، نحن فداء القضيَّة العادلة، لن ندخر دماءنا، ولا أرواحنا، ولا أبناءنا، ولا كل ما نملك في أيدينا لنفدي المسجد الأقصى.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك في أمتنا، وأن ينفخ فيها من روحه، وأن يُهيِّئ لها من أمرها رشدًا، وأن ينصرها على عدوه وعدوها.

اللهمَّ إنَّا نسألك العفوَ والعافيةَ في دِيننا ودُنْيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ استرْ عوراتِنا، وآمِنْ رَوْعَاتِنا، واحفَظْنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهمَّ أعز الإسلام وأيِّد المسلمين، اللهمَّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا،

QaradawiBooks.com

وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى، اللهمَّ انصرنا على عدوك وعدونا، اللهمَّ خذ الصهاينة المعتدين أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ أنزل عليهم بأسك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهمَّ خذ الَّذين ظلمونا في بلادنا أخذًا أليمًا شديدًا، اللهمَّ انصر عبادك المؤمنين، اللهمَّ انصر عبادك المستضعفين في الأرض، اللهمَّ أيدهم بروح من عندك، اللهمَّ أيدهم بجند من جندك، اللهمَّ احرسهم بعينك الَّتي لا تنام، واكلأهم في كنفك الَّذي لا يُضام.

اللهمَّ انصرْ إخوتَنا في مصر، وانصرْ إخوتَنا في سوريا، وانصرْ إخوتَنا في العراق، وانصرْ إخوتَنا في فلسطين، وانصرْ إخوتَنا في ليبيا، وانصرْ إخوتَنا في تونس، وانصرْ إخوتَنا في المغرب، وانصرْ إخوتَنا في الجزائر، وانصرْ إخوتَنا في لبنان، وانصرْ إخوتَنا في الأردن، وانصرْ إخوتَنا في إيران، وانصرْ إخوتَنا في السودان، وانصرْ إخوتَنا في الصومال، وانصرْ إخوتَنا في أثيوبيا، وانصرْ إخوتَنا في إريتريا، وانصرْ إخوتَنا في أفغانستان وباكستان وبنجلاديش، وانصرْ إخوتَنا في الهند والصين، وانصرْ إخوتَنا في الفلبين، وانصرْ إخوتَنا في إندونيسيا وفي ماليزيا، وفي سائر بلدان الإسلام ما ذكرته وما لم أذكره، وفي غير بلاد الإسلام في بلاد الدُّنْيا كلها يا ربَّ العالَمِين.

اللهمَّ انصر أهل الحق على أهل الباطل، انصر أهل الإيمان على أهل الكفر، انصر أهل الصلاح على أهل الفساد، انصر أهل الوسطية والاعتدال على أهل الشطط والجفاء.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهمَّ أيد هذا البلد بروح من عندك، اللهمَّ انصرهم بجند من جندك، ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبَنا، وإسرافَنا في أمْرِنا، وثبِّتْ أقدامَنا، وانصُرْنا على القومِ الكافرين.

***

QaradawiBooks.com

# ٢

# الفساد والإفساد في القرآن الكريم (١)(١)

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في موضوعات القرآن الكريم، الموضوعات الَّتي يتحدث عنها القرآن ليُعلِّم بها المسلمين، ويهدي بها غير المسلمين إلى الإسلام، واليوم نتحدث عن موضوع الفساد والإفساد في الأرض، الَّذي يُحرِّمه القرآن، والذي يباعد عنه القرآن.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق الأرض صالحة للإنبات، صالحة للعمارة، صالحة للخلافة، صالحة لأن يعيش النَّاس فيها حياة طيبة، هكذا خلق الأرض، وخلق الله كل شيء في غاية من الصلاح ليؤدي ما يُراد منه، ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، يعطي الله كل شيء خلْقه الَّذي يبتغيه، ويهديه إلى ما يُراد منه، هكذا خلق الله الأرض كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]. ما معنى بعد إصلاحها؟ أي بعد أن هيأها الله صالحة لتعيشوا فيها وتتمكنوا منها، وتؤدوا وظائفكم فيها نحو أنفسكم، ونحو إخوانكم، ونحو ربكم، ونحو الحياة كلها.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٧ ديسمبر ٢٠١٣م.

نسخة مجانية غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

## الإصلاح وعمارة الكون:

خلق الله الأرض صالحة، وخلق الله الإنسان صالحًا ليعمر هذه الأرض، خلق الله النّاس ليعمروا الأرض، من أهداف خلق الله الإنسان أن يخلف الله تعالى في الأرض، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ما معنى خليفة؟ أي ينوب عن الله تعالى في إقامة أحكامه، وإقامة عدله، ونشر دعوته ونوره في الأرض.

وأمر الله الإنسان أيضًا أن يعمر الأرض كما قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]. ما معنى استعمركم فيها؟ السين والتاء هنا للطلب. استغفر: أي طلب المغفرة، واستفهم: أي طلب الفهم، فاستعمركم: أي طلب منكم أن تعمروا هذه الأرض، لا تتركوها هملًا ولا خرابًا، فعمارة الأرض مقصد من مقاصد خلق الله تعالى للإنسان.

وهيأ الله تعالى الإنسان ليقوم بهذه الوظيفة، خلق فيه العقل، وخلق فيه الشهوة، لم يجعله كالبهائم شهوة بلا عقل؛ لأن مثل هذا لا يصلح للعمارة، ولم يجعله عقلًا بلا شهوة مثل الملائكة، فهم ليسوا مهيئين لعمارة الأرض، ولذلك حينما تكلم الله مع الملائكة وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

الله سبحانه وتعالى يعلِّم عباده أن يستشير بعضهم بعضًا، لم يرد الله أن يخلق الإنسان؛ دون أن يعلم الخلْق الَّذين كانوا موجودين عن هذا الأمر شيئًا، فقال للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

QaradawiBooks.com

كيف عرفت الملائكة أن هذا الإنسان من شأنه أن يفسد في الأرض ويسفك الدماء؟ لأنَّهم لما عرفوا أن هذا المخلوق له غرائزه وشهواته ودوافعه، له شهوة كشهوة البهائم، وله قوَّة غضبية كقوة السباع المفترسة، فمعنى هذا أنَّه يمكن أن تدفعه شهوته إلى أشياء، أو يدفعه غضبه إلى أشياء، فيفسد في الأرض ويسفك الدماء.

**ما حدث بين ابني آدم:**

وهذا ما حدث في عهد آدم عليه السلام بين أولاده وأسرته، قتل الأخ الشرير الأخ الخيِّر، حينما تقدم كلاهما بقربان إلى الله ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧].

الذي لم يتقبل الله قربانه توعد أخاه بالقتل، وما ذنبه؟ ليس هو الَّذي يقبل القرابين، الله هو الَّذي يقبلها، انظر ماذا فعلت أنت؟ لعلك لم تقدم أفضل ما عندك، لعلك لم تقدم الشيء الَّذي ينبغي أن يُقدم لله، ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨]. ولكن طوَّعت له نفسه قتل أخيه فقتله، فأصبح من الخاسرين!

كانت هذه أوَّل جريمة من بني آدم في هذه الأرض، طوعت له نفسه، لا تستطيع أن تقول كما يقول علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي وأمثالهم: إنَّ المجتمع هو الَّذي يُعلم الإنسان الجريمة. لكن المجتمع لم يفعل جريمة قبل هذه، لم يكن هناك مجتمع يُعلِّم، ما علَّمه أحد، نفسه هي الَّتي أمرته بهذا، ممَّا يدل على أنَّ النفس قد تكون هي المصدر الشرير للفعل، ولذلك قال السامري حينما أضل بني إسرائيل وجعلهم يعبدون العجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦]. فالنفس هي الَّتي دفعت ابن آدم إلى أن يفسد في الأرض، ويقتل أخاه.

QaradawiBooks.com

جاء القرآن الكريم أيُّها الإخوة لينهى النَّاس عن الفساد في الأرض، يُعلمهم الصلاح، هناك فساد يُقابله الصلاح، الشيء يمكن أن يكون صالحًا أو فاسدًا، الإنسان يمكن أن يكون صالحًا أو فاسدًا، بماذا يصلح وبماذا يفسد؟ بالإيمان وبالعمل، الإنسان الصالح إنسان آمن بالله والتزم بمكارم الأخلاق، بعمل الصالحات، باجتناب السيِّئات. أمَّا الإنسان الفاسد فهو في الغالب الإنسان المشرك، والذي يدله الشرك على أن يفسد في الأرض، على أن يأكل مال الآخرين، على أن يعتدي على من يقدر على أن يعتدي عليه، هذا هو الفساد.

**محاربة الفساد:**

الأنبياء جميعًا جاؤوا يحاربون الفساد، سيِّدنا شعيب قال للناس: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]. وسيِّدنا صالح قال لقومه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۞ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥٠ ـ ١٥٢]. هكذا قال صالح لقومه، وهكذا قال شعيب لقومه، وسيِّدنا موسى حينما استسقى لقومه قال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

رزق الله واسع، جعل الله الأرض مليئة بالأرزاق، والسماء تمطر، والأرض تنبت، والخير كثير لو أن كل إنسان وقف عند حده ولم يعكسه إلى ضده، ولم يعتدِ على حقوق الآخرين وأرزاق الآخرين، ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. كل دابة في الأرض: إنسان، حيوان، طائر، حشرة، زواحف، أسماك، في البر، في البحر، في الجو، في الصحراء، في كلِّ مكان تكفَّل الله برزقها.

هكذا علَّم الله النَّاس أنَّ الأرزاق موجودة، ولكنَّه يطلب من النَّاس

QaradawiBooks.com

أن يســعوا إليها، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، الرزق يحتــاج إلى حركة، إلى أن تعمل، تسير في الأرض، تزرع، تصنع، تعمل بنفسك، تعمل مع غيرك، الحياة مفتوحة لك، إنَّما الرزق لا يأتي إليك، ولكن لا بدَّ أن تذهب أنت إليه، فالأرزاق موجودة.

## الأرزاق موجودة:

ســافر أحد الصالحين ليرتزق، وفي الطريق أراد أن يتوضأ ويستريح فدخل كهفًا ووجد فيه بومة عمياء، فقال: بومــة عمياء! كيف يأتي إليها رزقها؟! من أين تعيش؟ ومن الَّذي يطعمها والمكان بعيد في الصحراء؟ وإذا بطائر يأتي إليها ويطعمها في فمهــا، فقال الرجل: إذا كان الله يرزق الطائر الكســيح المريض الأعمى، في مثل هذا المــكان؛ فلماذا أتعب نفســي وأســافر؟ فرجع من الطريــق، وكان صديقــه إبراهيم بن أدهم أبو إسحاق؛ فحكى له ما حدث، فقال له إبراهيم: ولماذا رضيت أنت أن تكون الطائــر المريض الأعمــى، ولا تكون الطائر الَّــذي يأتي بالطعام لغيره؟ أعطاك الله القوَّة والعافية فلماذا تعــود أنت وتنتظر أن يأتي إليك غيرك ليطعمك ولا تطعم أنت غيرك[(١)]؟

الأرزاق موجودة أيُّها الإخوة، ولكن المشكلة في شح الإنسان، ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، الإنسان بطبيعته شحيح ويُقتِّر ويحب أن يجعل كل شيء لنفسه، الشح هو الَّذي جعله يريد أن يأخذ كل شيء، ولا يترك لغيره شيئًا، هذا هو مصدر الفساد.

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٣٣٥٠)، تحقيق مشهور بن حسن، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

QaradawiBooks.com

خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الناس، وخلق الحياة، وخلق الأرض، البر والبحر، والجو والسماوات، وكل شيء يساعد الإنسان على رزقه؛ إذا سار النَّاس وفق سنن الله، فلله تعالى سنن وقوانين في هذا الكون، تحكم هذا الكون وتُسيِّره، هذه القوانين ليست مجنونة، هي قوانين عاقلة معقولة، الله هو الَّذي سيَّرها ووضعها؛ ليسير عليها هذا الكون الَّذي نعيش فيه، كل شيء يمضي إلى ما يريد الله تعالى له، لو أنَّ النَّاس أنصفوا أنفسهم، وأنصفوا الكون من حولهم، ولم يحاول كل إنسان أن يأخذ ماله ويترك غيره، لكنَّه يأخذ ما له وما لغيره، يريد أن يطغى على الآخرين!

## طغيان الإنسان:

المشكلة هي طغيان الإنسان على غيره، كما قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦، ٧]. لماذا يطغى الإنسان؟ إذا رأى نفسه مستغنيًا عن غيره، أنَّه أقوى من غيره، وأذكى من غيره، و(أشطر) من غيره، فالغير يحتاجون إليه، وهو لا يحتاج إلى أحد، ويجب أن يخضعوا له، لا، ليس هذا منطق الكون، الله جعل النَّاس كلهم يحتاج بعضهم إلى بعض.

**النّاسُ للناسِ من بدوٍ وحاضرةٍ بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا خدمُ**[1]

كل واحد يخدم الثاني، أنت تخدم هذا وهذا يخدمك، ليس هناك أحد يستغني عن الخلْق، كل أحد يحتاج إلى غيره، المثل يقول: إذا كنت أنت أمير وأنا أمير فمن يسوق الحمير؟! إذا كان كل النَّاس أمراء، فمن يسوق الحمير؟ لا بدَّ ممَّن يسوق الحمير، لا بدَّ ممَّن يحرس الغنم،

---

(١) البيت لأبي العلاء المعري. انظر: اللزوميات (٢/٢٧٧)، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ ممَّن يزرع الأرض، ما يحتاجه النَّاس أمير واحد ومعه أفراد، هذه هي الحياة، هذا أمير، وهذا مأمور، وهذا يزرع، وهذا يصنع، وهذا يحرس، هذه هي الحياة، يخدم النَّاس فيها بعضهم بعضًا.

**النهي عن الفساد في الأرض:**

ولذلك جاء الإسلام ينهى عن الفساد في الأرض، عن الفساد والإفساد، الله تعالى يقول: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. لا يُقتل إنسان إلَّا إذا قتل إنسانًا آخر، أو أفسد في الأرض، وهل هناك إفساد في الأرض مثل القتل؟ ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣].

هؤلاء الَّذين يُسَمِّيهم النَّاس (شيوخ المنسر) مجموعة من اللصوص المسلحين الَّذين يقفون في الطرق، ويأخذون أموال الناس، ويقتلون من يقتلون، ويتركون من يتركون، هؤلاء من شأنهم أن يُقتَّلوا أو يصلبوا لأنَّهم يفسدون في الأرض، والسرقة هي فساد، حينما ضُبط الصاع مع أخي سيِّدنا يوسف قال إخوته: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣]. لسنا من أهل الفساد في الأرض ولا من أهل السرقة، لأن هذه الجرائم الَّتي يصنعها النَّاس هي من الفساد في الأرض.

المعاصي الَّتي يرتكبها النَّاس هنا وهناك كلها فساد في الأرض، ولذلك نهى الله المنافقين عن الإفساد والفساد، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]، حينما يقول المؤمنون للمنافقين: لا تفسدوا في الأرض، عملكم هذا أنَّكم

QaradawiBooks.com

تظهرون شـــيئًا وتضمرون شيئًا، تقولون شـــيئًا وتفعلون ضده، لكل منكم وجهان، وفي كل منكم لسانان، يقابل جماعة بوجه وجماعة أخرى بوجه، ويتكلم مع هؤلاء بلســـان ومع الآخرين بلســـان، هذا هو الفســـاد، لماذا تفسدون في الأرض؟! ولكنهم لا يقرون، يقولون: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾. فيُكذبهم الله تعالى ويقول: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾. هؤلاء يفسدون في الأرض ولا يشعرون أنَّهم يفســـدون، هذا هو الفساد العظيم، تفســـد في الأخلاق، تفســـد في العلاقات، تفســـد في القيم، هذا هو شر ما يقوم به أهل الفساد في الأرض. ولذلك جاء الإسلام يدعو النَّاس إلى أن يصلحوا أنفسهم، جاء الإسلام ينهى عن كل فساد في الأرض.

**الفساد السياسي:**

هناك فساد سياسي كفســـاد فرعون، الله تعالى قال عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]. لم يعامل الرعية كلها على نطاق واحد وبمعيار واحد، ولكن جعل هؤلاء علية، وهؤلاء سفلة، وهؤلاء رقم (١)، وهؤلاء رقم (٢)، لا، النَّاس كلهم سواســـية كأســـنان المشط، الحاكم العادل هو الَّذي يسوي بين الجميع، أبيض وأسود، غني وفقير، حاكـــم ومحكوم، رجل وامرأة، النَّاس سواســـية، هذه هي قاعدة العدل الأولى.

فكان فرعون أوَّل المفســـدين، ولذلك أخذه الله أخـــذًا أليمًا، حينما ابتلعه اليم، دخل بعد بني إســـرائيل البحر، حينما ضرب موسى بعصاه البحر فانفلق؛ فكان كل فرق كالجبل الضخم، وخرج موســـى وأصحابه ناجين، ودخل فرعون وملؤه وجنده ومن معه وراء بني إسرائيل؛ فأطبق

QaradawiBooks.com

عليهم البحر جزاء فسادهم، وحينما أدرك الموت فرعون قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. قال الله له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. تأتي بعد أن أدركك الغرق لتقول: آمنت. لا، لا بدَّ أن تؤمن وأنت في حرية تستطيع أن تقول: نعم. وتستطيع أن تقول: لا. أمَّا حين لا تستطيع إلَّا أن تقول: نعم. فإيمانك مرفوض، لأنك ليس لك حرية في هذه الحالة.

هناك إذن إفساد سياسي، كثير من الحكام الَّذين يحكمون عالمنا اليوم يتمتعون بهذا الإفساد السياسي في الأرض، يفرقون بين النَّاس بعضهم وبعض.

**الفساد الاقتصادي:**

وهناك إفساد اقتصادي، بعض النَّاس يفسدون إفسادًا اقتصاديًّا، لا يهيئون للناس ما يحتاجونه، كل إنسان يعيش في حاجة إلى قوته وقوت أولاده، وقوت من يعيش معه، هل وفرت لهؤلاء أقواتهم؟ لم يوفروا لهم الأقوات ومتطلباتها، من الغذاء المتكامل الَّذي يحتاجه جسم الإنسان القوي القادر على العمل، لا بدَّ للإنسان أن يعمل في الأرض، كيف يعمل وهو لم يأكل، ولم يأكل من الطيبات ما يكفيه، ذَكر الله الطيبات في القرآن وامتن علينا بها، ولكن كثيرًا من النَّاس لا يجد هذه الطيبات.

المسؤول أولًا أن يُهَيِّئ هذه الطيِّبات هو الحاكم، عوامّ النَّاس لا يستطيعون أن يهيئوا هذه الأشياء؛ لأنَّها قد توجد في بلد ولا توجد في أخرى، الحاكم هو الَّذي يُسيِّر هذا الأمر، إذا كان هناك بلد ليس فيها

QaradawiBooks.com

دجاج مثلًا؛ فلا بـدَّ أن تبعث هذه البلد إلى البلـد الأخرى، وتأخذ من البلد الأخرى الحبوب، وهكذا تتكامل البلاد بعضها مع بعض، والناس بعضهم مع بعض.

لا بد للناس أن يعملوا، إذا لم يجد النَّاس عملًا؛ فمن المسؤول عن تعطيل هؤلاء الَّذيـن لا يعملون؟ ولي الأمر هو المسـؤول عن الناس، لا بدَّ أن يبحث لماذا لم يجـد هذا عملًا؟ لعله لم يتـدرب، فلماذا لم يُدَرب؟ لماذا لم يتعلم؟ كل شـيء يحتاج إلى تهيئة وإلى إعداد، فلا بدَّ لولي الأمر أن يعمل على الإصلاح الاقتصادي، توفير القوى العاملة في كل ناحية من النواحي.

النبي ﷺ ذمَّ قومًا يكتفون بالزراعـة وحدها، الَّذين يكتفون بالزراعة وحدها يُكتب عليهم الذل كما جاء في الأحاديث(١)، لأن الزراعة وحدها لا تكفي، لا بدَّ مع الزراعة من الصناعات المختلفة حتَّى للزراعة نفسها، كيف تزرع إذا كنت لا تستطيع أن تصنع المحراث، وتصنع الماكينة الَّتي تجلب الماء من النهر، هذه أمور مطلوبة ليحدث صلاح اقتصادي.

ولكن رأينا في بلادنا الإفساد الاقتصادي شأن الملوك الَّذين يدخلون البلاد فاتحين متغلبين مسـتعمرين، يريدون أن يفسدوا فيها، كما قالت بلقيس ملكة اليمن حينمـا قالت لقومهـا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]. قالوا: ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣]. عندنا قوَّة، وعندنا بأس وحماس،

(١) عن أبي أمامة الباهلي، قال: ورأى سكة وشيئًا من آلة الحرث، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل هذا بيت قوم إلَّا أدخلـه الله الذل». رواه البخاري فـي المزارعة (٢٣٢١). وانظر شرحه في فتح الباري (٥/٥)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

QaradawiBooks.com

والأمر إليك، مرينا بأي شـيء، ونحن مسـتعدون. قالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. القرآن قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾. هذا شـأن الملـوك الفاتحين، وليس الملوك إذا دخلوا بلادهم، لا.

ليس هناك ملك يفسد بلـده، إنَّما الملـوك الَّذيـن يدخلونها من الخارج، المستعمرون الغزاة، الَّذين يدخلون البلاد ليفسدوها ويتمكنوا من أهلها، ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ﴾، يفسدون البلاد ويذلون العباد، النَّاس الأعزاء الأقوياء الَّذين من شأنهم أن يحموا البلاد ويـذودوا عن الديار، هـؤلاء يحاول المسـتعمرون أن يذلوهم، ويفتنوهم بالقوَّة الباطشة، لأن هؤلاء هم الَّذين عندهم الحمية، وعندهم القدرة على الحماية، فهذا هو الإفسـاد الاقتصـادي، وهناك أنواع من الإفساد ندعها للخطبة القادمة لنتحدث عنها إن شاء الله، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### الانقلاب العسكري في مصر:

في خطبتنا الثانية نتحدث أوَّل ما نتحدث عن مصر، البلد الأكبر من حيث السكان، تسعون مليونًا في مصر، إذا كانت تونس عشرة ملايين؛ فمصر تسع تونسات، هي الأكبر في بلاد العرب، وهي الأقدم في النهضة، أوَّل ما قامت النهضات التعليميَّة والتنويريَّة قامت في مصر.

ولذلك حينما تنهض مصر تنهض البلاد العربيَّة؛ بل تنهض البلاد الإسلاميَّة، لماذا؟ لأن مصر فيها الأزهر، حينما تولى صلاح الدين الأيوبي حكم مصر مع الشام وغيرها أرسى الأزهر على قواعد إسلاميَّة قرآنيَّة، نبوية سنية؛ فأصبح يقود العالم الإسلامي كله، ومن هنا فإن أهل مصر حينما ينهضون ينهض العالم الإسلامي كله، مصر ليست بلدًا هيِّنًا.

ولذلك حينما سقطت تركيا انتقلت أركان الجاسوسية والدبلوماسية والعاملون من أجل الغرب، ومن أجل الصليبية والصهيونية، انتقلوا إلى مصر؛ ليحاولوا الإفساد فيها، وظلت مصر تقاوم عصورًا طويلة، لا نستطيع أن نتكلم عن المقاومة المصرية، الوطنية الحرة، الإسلاميَّة الإيمانية خلال هذه العصور؛ حتَّى انتهت إلى عصر الملك فاروق، الَّذي ثار عليه الجيش المصري، وانتهى من فاروق، ورحَّب المصريون بقيادة الجيش المصري لهذه الثورة الَّتي أنهت عهد فاروق، الَّذي رحَّب به المصريون في أوَّل عهده، وكانوا يسمونه الملك الصالح، ويهتفون له: يحيا الملك الصالح، عاش الملك الصالح.

QaradawiBooks.com

كنا طلابًا وكنا نهتف بهذا، وكان الشيخ المراغي بجواره، فلما غلبه الفساد قام الجيش بهذه الثورة، وأيد الشعب الجيش.

ولكن الجيش الَّذي وعد أنَّه سيعيد الأمر إلى الشعب للأسف لم يعد الأمـر إليه، وظل يحكم الشـعب سـتين عامًا، عهـد عبد الناصر، وعهد السادات، وعهد حسني مبارك، سـتون عامًا لقي فيها الشعب ما لقي، زُوِّر على الشـعب فيها ما زُوِّر، أصبح الشعب يقاسـي الهوان، لا يجد اللقمة، لا يجد الحرية، أصبح النَّاس يسيء بعضهم إلى بعض، الابن لا يثق بأبيه، والأب لا يثق بابنه، والأخ لا يثق بأخيه، أفسدوا الحياة الدينية والأخلاقية والاجتماعية، والسياسـية والاقتصادية، وقامـت مقاومات عدة خلال هذه العصور، ولكنَّها قُوبلت بشدة، واستطاع الجيش بقوته أن يغلب الشعب.

ثم قامت ثورات الربيـع العربي، قامـت أوَّل ما قامت في تونس، وانتصر الشعب التونسـي العظيم على الجبابرة، ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾ [الفجر: ١١، ١٢]، انتصر الشـعب على هـؤلاء الطغاة المفسدين في الأرض، وشـكرنا للشعب التونسي هذا، الشعب التونسي نعم الشعب!

وقامت في ذلك الحين ثورة مصر، الشعب الأكبر والوطن الأكبر، قام الشعب المصري كله يرفض الظلم ويطلب التحرر بكل ما يملك، بنفسه بماله بدمه بأولاده، الشـعب كله بمسلميه ومسـيحيِّيه، رجاله ونسائه، شبابه وشـيوخه، مُتَعَلِّميه وأُمِّيِّيه، كل فئات الشعب قامت من أجل هذه الثورة، وضربـت الأمثال للناس، تحدثنـا عنها في أيامهـا، وأنتم أيُّها الإخوة في هذا المسـجد تسـتطيعون أن تعلموا النَّاس ماذا كانت ثورة مصر العظيمة.

QaradawiBooks.com

استطاعت ثورة مصر أن تجمع الشعب كله ضد هذا النظام، وقد خطبت في الشعب المصري خطبة النصر اجتمع فيها أكثر من أربعة ملايين، لم يستطيعوا من كثرتهم أن يصلوا؛ لأن بعضهم كان وراء الإمام، وأكثرهم لا يسمعون الإمام لطول المسافات الَّتي كان النَّاس فيها، كان الشعب المصري كله مع هذه الثورة.

وأصرَّ حسني مبارك على البقاء، ثمَّ استسلم في نهاية الأمر، وكان النَّاس قد يئسوا في يوم استسلامه، وخطبت الجمعة في هذا المسجد، وحلفت أنَّ المصريِّين سينتصرون، لا يمكن أن يترك الله المصريِّين، وفي اليوم نفسه بالليل جاء عمر سليمان، وتحدث أن حسني مبارك كلَّف المجلس العسكري للجيش ليحكم مصر بدلًا منه، تصوروا حسني مبارك الظالم القاتل السارق، الَّذي نهب أموال البلاد بالمليارات، الَّذي فعل ما فعل بالناس، ظل النَّاس يدخلون السجون حلقات وراء حلقات، حسني مبارك هذا وكَّل المجلس الأعلى ليحكم الناس!

الآن مُحَمَّد مرسي الَّذي انتخبه الشعب بكامل حريته، لا يستطيع أحد أن يقول: هذه انتخابات مزورة. صحيح لم يأخذ أغلبيَّة كبرى، لكنَّه أخذ أغلبيَّة تجعله الرئيس الرسمي، وأصبح رئيسًا لكل المصريِّين، من انتخبه ومن لم ينتخبه، مُحَمَّد مرسي عزلوه، حسني مبارك لم يُعزل، هو الَّذي تنازل للمجلس الأعلى، مُحَمَّد مرسي المنتخب من الشعب عُزِل عن مكانه، من الَّذي عزله؟ الجيش المصري، من زعموا أنَّهم يحكمون باسم الجيش المصري.

**السيسي يحلف كإبليس والمؤمنُ يصدق من يقسم له:**

عبد الفتاح السيسي وزير الدفاع الَّذي كان يأتي إلى مُحَمَّد مرسي، ويعلن له أنَّ الجيش معه، وأنَّه يجب أن يطمئن، وأنَّه وأنَّه، وهو كذاب،

QaradawiBooks.com

ومحمد مرسي يصدق من يحلف له، كما صدق سيِّدنا آدم إبليس حينما قاسمه وقاسم زوجته: إنَّه لهما لمن الناصحين، المؤمن يصدق من يقسم له بالله.

صدَّق مرسي هذا السيسي، ولم يعلم أن هؤلاء النَّاس لم يكونوا معه يومًا ما، المجلس العسكري لم يكن مع هذه الثورة، سلمها لمرسي رغمًا عنه، وفي نيته أنَّه لا بدَّ أن يعمل على أن يعيد هذا الأمر إلى الجيش، هذا ما كان والله، سألت والله مرسي مرتين حينما لقيته، وقلت له: هل أنت مطمئن إلى هؤلاء الناس؟ قال: أنا مطمئن إليهم تمامًا. يطمئن إليهم وهم يكذبون عليه ويخونونه.

قالوا: مُحَمَّد مرسي فشل. فشل في ماذا أيُّها الناس؟ هل تعاون معه أحد؟ لم يتعاون معه هؤلاء النَّاس من أوَّل يوم، وليس بعد سنة، من أوَّل يوم وهم يحاربونه والله، اقرأ تاريخ هذه الفترة: تجد هؤلاء النَّاس لم يكونوا مع مُحَمَّد مرسي أبدًا، كانوا كاذبين عليه، كانوا سارقين لهذا الشعب، لم يكونوا مخلصين أبدًا.

ولذلك انتهزوا الفرصة، وجاؤوا بمن جاؤوا بهم في ٣٠ يونيو، وزعموا أنَّهم جاؤوا بأغلبيَّة مطلقة، ولم تكن أغلبيَّة مطلقة إطلاقًا، الصناديق لا يحكم عليها إلَّا صناديق مثلها، جاء مُحَمَّد مرسي بواحد وخمسين في المائة، هاتوا لنا غيره بواحد وخمسين في المائة، بخمسين في المائة مع صوت واحد زائد سنقبله، هذه هي الديمقراطيَّة.

الشعب المصري ثار من أجل الديمقراطية، وقمنا مع هذا الشعب: العلماء والدعاة، والأدباء والشعراء، والرجال والنساء، وكل الشعب من كل الأطياف، ومن كل الجهات، من الصحارى ومن المدن ومن القرى،

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كل الفئات وقفت مع مُحَمَّد مرسـي، هؤلاء النَّـاس لم يكونوا صادقين والله، كذبوا على مُحَمَّد مرسي ولم يصدقوا معه.

وجاؤوا بالأقباط في ٣٠ يونيو، للأسـف معظـم الأقباط مع هؤلاء، يخافون من المسـلمين، وعلينا نحن أن نطمئن هؤلاء الأقباط، الإسلام ليس ضدهم، الإسـلام هو الَّذي يوفر لهم حقوقهم، الإسـلام هو الَّذي يحميهم، الإسـلام هو الَّذي يحمي دماءهم وأعراضهـم وأموالهم، وقد عاشوا مع الإسلام طوال القرون، وكانوا في غاية الحماية، علينا أن نُعلِّم الأقباط حقيقة الإسلام.

جاؤوا بالأقباط، وبحزب حسني مبارك، وبالبلطجية الَّذين معه، ومن جاؤوا من الجيش والشـرطة وألبسوهم لبسًا مدنيا، وبعض الآلاف ممَّن يؤيدون هؤلاء، لا يزيدون عن عشرات الآلاف، والشعب كله مع مرسي، وربما تأثر كثير من النَّاس بالدعايات المغرضة، والدعايات الكاذبة، الَّتي شوهت مرسي.

ومرسـي والله رجل صادق، وصدقه وأمانته وإسلامه هو الَّذي هيَّج عليه الهائجين: الغرب، الصليبية، الصهيونية، الَّذين يكرهون الإسلام هم الَّذين دبروا هذه المؤامرات، حينما رأوا رئيسًـا يحفظ القرآن، يصلي به في الليل، يصـوم الاثنين والخميـس، يعرِّف النَّاس بكتاب الله وسـنة رسول الله، يخشى الله في كل أمر من أموره، والله هكذا رأيت هذا الرجل، ما كنت أعرفه قبل ذلك.

أنا حينمـا اخترت في المرة الأولى اختـرت الدكتور عبد المنعم أبا الفتوح، لم أختر الدكتور مُحَمَّد مرسي، ولكنِّي اخترته في الجولة الثانيـة؛ لأني إما أن أختـاره أو أختار أحمد شـفيق، إمـا أن أختار

QaradawiBooks.com

الحرامي أو أختار المسلم الصحيح، هكذا كان مُحَمَّد مرسي، وانتهى أمر هؤلاء.

**انقلاب على اختيار الشعب:**

ثم انقلب هؤلاء على اختيار الشعب، ووقف الشعب ضد انقلابهم، وقف الشعب وقفة سلميَّة، احتجاجات سلميَّة يجيزها الدستور والقانون، ولا اعتراض عليها، ما كان بيد هذا الشعب أي سلاح، أتحدى أي أحد أن يأتي لي بأحد كانت في يده بندقية أو مدفع أو مسدس، أو سلاح أبيض أو سكين، أو عصا أو حجر!

أطفال الحجارة في فلسطين كان معهم حجارة يقاومون بها، هؤلاء لم يكن معهم حتَّى حجارة، كانوا يرفعون أيديهم ليس فيها شيء، هؤلاء وقفوا يرفضون الانقلاب العسكري الغاشم الظالم، انتهينا من الانقلابات العسكرية، وأصبحنا في حياة ديمقراطية، لماذا يأتي هؤلاء النَّاس ينقلبون علينا عسكريا، من الَّذي قال: إنَّ العساكر يحكمون المدنيين؟ هذا لا يوجد إلَّا في عهود الاستبداد الملطخة بالدماء، هذا ما رأيناه حينما انقلب هؤلاء.

رأينا ما رأينا حينما أراد هؤلاء الانقلابيون في مصر أن يفرقوا هذه الجموع بالبطش، بالقتل، بالنار، أرادوا أن يفرقوا هؤلاء بالأسلحة، أسلحة الجيش، أسلحة الطيران، الدبابات، المدافع، القناصة نراهم يقتلون النَّاس من فوق، بكل ما يستطيعون، قتلوا الآلاف، هناك أناس يسجلون الآن المقتولين بالاسم والعنوان وكل شيء، سجلوا آلافًا، ولم يستسلم هؤلاء أبدًا، قتلوا من قتلوا، وأحرقوا من أحرقوا، أحرقوا أناسًا وهم أحياء والله، لم يبالوا بحي أو ميت.

QaradawiBooks.com

ما رأيت أناسًا أجرأ على خلق الله من هؤلاء، والله ما فعل ذلك عبد الناصر، ولا فعل ذلك السادات، ولا فعل ذلك حسني مبارك، هؤلاء أشد فسادًا واستبدادًا، وأجرأ على أرواح النَّاس وعلى دمائهم من كل من حكموا مصر، سيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، الله لا يغفل ولا ينام أيُّها الإخوة، لا تظنوا أنَّ الله نائم، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، سيأخذهم الله.

## حلُّ الجمعيات الخيرية:

ثم جاؤوا وقالوا: إنَّ الجمعيَّات الخيرية تشارك في هذا الإرهاب لأن الإخوان وبعض الإسلاميين يشاركون فيها. فصادروا ألفًا وخمسًا وخمسين (١٠٥٥) جمعيَّة خيريَّة إسلاميَّة، بعضها جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، وبعضها جمعيات للأيتام، وبعضها جمعيات للمرضى، وبعضها جمعيات لعلاج مرض الكبد، ومنها الجمعية الشرعيَّة الَّتي صار لها مائة سنة وهي تعالج هذه الأمراض، هؤلاء النَّاس منعوا هذا الخير، قالوا: هناك ثلاثة ملايين أسرة تستفيد من هذه الجمعيَّات. لو كل أسرة فيها خمسة مع أنَّ الأسر المصريَّة أكبر من ذلك؛ خصوصًا أن أسر الفقراء أكثر عددًا من أسر الأغنياء عادة، ثلاثة ملايين أسرة أي خمسة عشر مليون إنسان، حرموهم ممَّا كان يأتيهم من هذه الجمعيَّات الخيرية، الَّتي يقوم عليها أناس يتعبدون الله؛ بإيصال هذا الخير إلى أهله.

## ننكر كل تفجير يقع في مصر:

ثم رأيناهم بعد ذلك حينما حدث تفجير المنصورة، نحن ننكر كل تفجير يقع في مصر، نحن نرفض أن تستعمل السيارات المفخخة أو

QaradawiBooks.com

ما يشابهها في تفجير النَّاس بعضهم لبعض، هذا ما ننكره إطلاقًا، ولا نحب أبدًا أن تصبح مصر ساحة لهذا التفجير، حرام أي حرام، ومنكر أي منكر، وإفساد أي إفساد أن يُقتل مسلم بغير حق أو يُقتل مسيحي بغير حق، حتَّى المسيحي نرفض قتله وإيذاءه، «**من قتل مُعاهدًا لم يَرَح رائحةَ الجنَّة، وإنَّ ريحَها ليوجد من مسيرةِ كذا وكذا**»[1]، لأنَّ المُعَاهَد الَّذي بيننا وبينه عهد: دمه مصون لا يجوز أن يُقتل، لا يجوز أن يُقتل إنسان بغير حق، فنحن ننكر ما حدث في المنصورة، ونرى أنَّه إما أنَّه من داخل رجال الأمن، أو بترتيب بعضهم؛ لأن الأمر من الداخل وليس من الخارج، من الَّذي يأتي من الخارج ويفعل هذا؟

## ليس للإخوان صلة بالإرهاب:

اتهموا الإخوان المسلمين، ما أعجب هذا! الإخوان المسلمون ظلوا ستين عامًا يُظلمون وتُلفَّق لهم الاتهامات، ويُساقون إلى السجون أفرادًا أفرادًا، وحلقات حلقات، سنين طويلة وهم يحاكَمون في المحاكم العسكريَّة الَّتي تحاكم العسكريين، ماذا فعل عبد المنعم أبو الفتوح؟ وماذا فعل عصام العريان؟ وماذا فعل خيرت الشاطر؟ وماذا فعل مُحَمَّد بديع؟ وماذا فعل العشرات والمئات والآلاف من الإخوان؟ أصيبوا خلال هذه السنين كلها وهم مظلومون، ثمَّ يأتي هؤلاء ويتهمون الإخوان بأنَّهم هم الَّذين فعلوا هذه الأفاعيل.

يقولون: الإخوان جماعة إرهابية! يا عجبًا! من الإرهابي؟ والله أنتم الإرهابيون، أنتم أيُّها العسكريون القتلة، الَّذين قتلتم النَّاس بغير حق، قتلتموهم وليس معهم سلاح، قتلتموهم بأسلحة الجيش، قتلتم النَّاس

(١) رواه البخاري في الجزية (٣١٦٦)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

قتلًا، أنتم الإرهابيون! قالوا: الإخوان إرهابيون. كما قال بشار الأسد عن الإخوان في سوريا، هؤلاء يريدون أن يجعلوا الإخوان في مصر إرهابيين كما جعلهم حافظ وبشار الأسد في سوريا إرهابيين، يقولون: الإخوان قتلة. بماذا قتلوا ومن قتلوا؟!

الإخوان هم المقتولون، يُقتلون إلى اليوم، يُقتل شبابهم، تُقتل نساؤهم، والطلاب والطالبات يُقتلون في الجامعات، يُحكم عليهم أحكام غريبة ١١ سنة و١٤ سنة و١٧ سنة، ما هذا الظلم؟! الإخوان يُحكم عليهم بأنَّهم جماعة إرهابية، يا عجبًا! أين الإرهابي عند الإخوان؟ ماذا أمسكتم معهم غير المصحف أو كتاب؟ ودخلتم بيوت الإخوان ماذا وجدتم فيها؟ خربتم بيوت الإخوان، وهيجتم البلطجية وغيرهم ليحرقوا بيوت الإخوان، ومحلات الإخوان؛ فماذا وجدتم فيها؟ هل وجدتم فيها مدفعًا أو بندقية أو مسدسًا؟ والله ما وجدتم فيها شيئًا إلَّا الخير الَّذي نهبتموه.

ووالله لن يذهب هذا الظلم أبدًا عند الله، الله يسجل هذا عليكم أيُّها الظلمة، الإخوان ليسوا إرهابيين، الإخوان مسالمون منذ فترة طويلة. في أوَّل الأمر فكر الإمام حسن البنا أن ينشئ نظامًا خاصًا في أيَّام الاحتلال الإنجليزي؛ ليحارب الاحتلال الإنجليزي ويحارب اليهود، وعملوا أشياء ضد الإنجليز وأشياء ضد اليهود، ولكن بعضهم ارتكب خطأ واحدًا أنَّهم قتلوا قاضيًا ظالمًا اسمه الخازندار، ولكن حتَّى لو كان ظالمًا ليس من حقنا أن نقتله، ولهذا غضب الأستاذ البنا غضبًا شديدًا، وصار يشد في شعره، ويقول: ما لنا وللقضاة، حرام عليكم هذا. وقال ما قال.

وكان المسؤول عن هذا الأمر هو عبد الرحمن السندي رئيس النظام الخاص الَّذي فعل هذه الفعلة، ثمَّ قالوا بعد ذلك: إنَّهم قتلوا النقراشي،

QaradawiBooks.com

والنقراشي قُتل والجماعة محلولة، من المسؤول عن جماعة محلولة، النَّاس في المعتقلات، أنا كنت في هذا الوقت في الشهادة الثانوية وكنت معتقلًا في الطور، ما لنا ولمن قتل النقراشي، فليس للإخوان صلة بالإرهاب، وقد طلقوا العمل بالعنف من سنين طويلة.

قامت جماعات الجهاد والجماعة الإسلاميَّة في مصر، وكانوا يتهمون الإخوان أنَّهم خانوا مبدأهم، وأنَّهم كانوا يقولون: الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا. وتركوا هذا وأصبحوا يلاينون الحكومة، ويلاينون أولي الأمر، واتهموا الإخوان بما اتهموهم به، ولكن الإخوان ظلوا على ما هم عليه، اتهموهم في قضيَّة محاولة قتل عبد الناصر في المنشية، ولكن كتب المؤرخون الصادقون كتبًا، وبينوا أنَّ الَّذي يتحمل هذا هو النظام الحاكم وليس الإخوان، وحتى لو اتُّهِم الإخوان في ذلك يُتَّهم هنداوي دوير ومجموعته، هم الَّذين فكروا في هذا الأمر، هل اكتشفهم هؤلاء ورتبوا الأمر بعد ذلك؟ الله أعلم، لا يستطيع أحد أن يتهم الإخوان بأي حادث عنف منذ ذلك اليوم إلى الآن، لا يستطيع أحد أن يتهم الإخوان بأي شيء من ذلك.

طلَّق الإخوان العنف، ولذلك رأيناهم قُتلوا والله، شباب من الَّذين في فلسطين، واشتغلوا في قناة السويس، شباب مدربين على كل شيء، ويستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم، ولكن ما فكر أحد منهم قديمًا أن يستخدم القوَّة ضد هؤلاء الحكام، تركوا هذا تمامًا.

ولكن هؤلاء الَّذين يحكمون الآن: الببلاوي الَّذي كنا نظن أنَّه من رجال الاقتصاد والثقافة؛ فإذا هو إنسان قبيح، اشتد قبحه للأسف، أنا أعجب من هؤلاء الَّذين يدَّعون أنَّهم مثقفون، وهم ليس لهم من الثقافة

QaradawiBooks.com

شـيء، إنَّهم ضد الشـعب، إنَّهم ضد السـلام، إنَّهم ضد الأُخوَّة، إنَّهم يريدون لهذا البلد أن يقاتل بعضه بعضًا.

والإخوان والإسلاميون في مصر عامة، وكل من يسير مع الإخوان، الآن مصر كلها أصبحت مع الإخوان، لا تظنوا أن كل الَّذين يسيرون في الشوارع الآن في مسـيرات إخوانًا، لا، عشرة في المائة منهم إخوان كما يقولون، والباقي ناس من أهل البلد، هؤلاء النَّاس لا يمكن أبدًا أن يقبلوا هذا الاتهام، الَّذين يريدون أن يقاتل النَّـاس بعضهم بعضًا، هم يدفعون الإخوان دفعًا ليدافعوا عن أنفسهم، ليقاتلوا من يقاتلهم، ولكن الأمر كما قاله الدكتور مُحَمَّد بديع المرشد العام للإخوان: ثورتنا سلميَّة، وستظل سـلميَّة، وسـلميتنا أقوى من الرصاص. هذا ما قاله وسـمعناه بآذاننا، السلميَّة المطلقة هي الَّتي يسعى إليها الإخوان.

هـذا ما نقوله لهؤلاء الظالميـن، نقوله لهم: ارجعوا إلى أنفسـكم، اخشوا الله، اتقوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله، الله تعالى يعلم ما في أنفسكم فاحذروه، اعلموا أنَّ الله مطلع على قلوبكم، اعلموا أن هذا الشعب شعب بريء، وشـعب لا يرضى بالهوان، ولا يمكن أن يقبل منكم هذا، خافوا الله، كل قطرة دم أنتم مسؤولون عنها والله، أيُّها الحكام.

يا سيسي ومن معه، يا ببلاوي، ويا منصور، ويا طرطور، ويا كل من معكم، الله سـائلكم عن دم هذا الشـعب، حرام عليكـم أن تقتلوا هذا الشعب، هذا الشعب حريص على كل قطرة من دمه، فاتَّقوا الله، اتَّقوا الله، اتَّقوا الله، إنكم راجعون إلى الله ﷻ.

أقول هذا للشـعب المصـري العظيـم، وأدعو الله تعالـى أن يؤيد المصريِّيـن، وأن يجمـع كلمتهم على الهـدى، وقلوبهم علـى التقى،

QaradawiBooks.com

ونفوسهم على المحبة، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، وأن يأخذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر، وأن يُنزل عليهم بأسه الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

اللهمَّ انصر إخواننا في مصر، وانصر إخواننا في سوريا، وانصر إخواننا في اليمن، وانصر إخواننا في ليبيا، وانصر إخواننا في تونس، وانصر إخواننا في كل مكان، وانصر إخواننا في فلسطين، في غزَّة وفي الضفة، انصرهم ضد الصهاينة وضد الظالمين من المصريِّين الَّذين يتهمونهم كذبًا.

اللهمَّ اجمعْ كلمةَ المصريِّين يا رب، اللهمَّ هيِّئ للخيِّرين القلوب الدافئة بالإيمان؛ كالتي جمعت واحدًا وثلاثين مليونًا لإخواننا في سوريا من أهل هذا البلد الكريم، نسأل الله أن يعوضهم خيرًا، وأن يزيدهم سخاءً وخيرًا، وأن يُنجي إخواننا في هذا الشتاء القارس، الَّذي يموت النَّاس فيه، أربعة عشر شخصًا من قريب قُتلوا من شدَّة البرد، واثنان بعدهم، وفي كل يوم يُقتل النَّاس من شدَّة البرد، ندعو الله ﷿ أن يؤيدهم بروح من عنده، وأن يُهيِّئ لهم النصر والعزة يا ربَّ العالَمِين.

ربَّنا عليك توكَّلنا، وإليكَ أنبْنَا وإليك المصير، ربَّنا لا تجعلْنا فتنةً للَّذين كفروا، واغفر لنا ربَّنا إنَّك أنت العزيز الحكيم، اللهمَّ إنَّا نسألك أن تعز أهل قطر بعزتك، وأن ترحمهم برحمتك، وأن تنصر أهل الخليج وأهل العروبة وأهل الإسلام وكل خيِّر في بلاد العالم، وصلِّ اللهمَّ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

* * *

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

# ٣

# الفساد والإفساد في القرآن الكريم (٢)(١)

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا فيما كنا فيه حول موضوعات القرآن الكريم، وفي آخر جمعة تحدثنا عن مقاومة القرآن للفساد والإفساد في الأرض، ودعوته للصلاح والإصلاح، فإن أوَّل ما يواجهه القرآن الكريم والإسلام العظيم: هو الطغيان والفساد في الأرض، يجتمع الفساد من ناحية، مع الطغيان من ناحية، فينخر كل منهما في جسم الأمة، ولذلك ذمَّ الله الجاهليات القديمة، جاهليَّة عاد وثمود وفرعون، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۞ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾ [الفجر: ١١، ١٢].

### ما الطغيان؟

الطغيان أن تتجاوز بكل شيء إلى أعلى حد، ومنه الظلم، فكل شيء يزيد عن حده يسمى (طغيانًا)، حتَّى إنَّ الماء في طوفان نوح لما زاد وغمر البيوت والمساكن، والأرض والزروع والجبال؛ قال الله تعالى:

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٠ يناير ٢٠١٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]. زاد الماء إلى حد الطغيان على كل شيء، فهذا نوع من الطغيان، والناس قد تطغى في حياتها، ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

والطغيان قد يكون أحيانًا طغيانًا صغيرًا، وقد يكون طغيانًا كبيرًا، كما قال تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]. يزيد طغيانهم ويكبر، والإنسان عنده في طبيعته استعداد للطغيان، إذا لم يهده الوحي ولم يوفقه الإيمان: يزداد طغيانًا، قال الله في شأن بعض الناس: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٨]. القرآن الَّذي ينزل ليهدي النَّاس ويرشدهم إلى العدل والاستقامة: يزيد هؤلاء طغيانًا وكفرًا.

يقول الله تعالى في أوَّل آيات نزلت من سورة العلق: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]. يطغى الإنسان على غيره، ويظلم ويزداد في الظلم، ويضاعف ظلمه، خصوصًا على الضعفاء من الناس، الَّذين لا يملكون قدرة على المقاومة يزداد طغيانًا عليهم، ويزداد طغيانه إذا رأى نفسه مستغنيًا عن غيره، مستغنيًا عن الناس، وحتى مستغنيًا عن الله، فهذا يزداد طغيانًا، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

ولذلك اعتبر القرآن هذا الطغيان هو أساس دخول جهنم، لماذا يدخل النَّاس جهنم؟ لطغيانهم وازدياد ظلمهم وعصيانهم وتجبرهم، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٣٩].

وحينما أرسل الله موسى إلى فرعون ماذا قال له؟ قال: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٧]. لم يصفه إلَّا بهذه الكلمة، اذهب إلى فرعون

QaradawiBooks.com

برسالتك السماوية الربانية، لماذا؟ لأن فرعون طغى، وما دام طغى فسيفسد في الأرض، سيذل العباد، وسيفسد البلاد، وسيشيع الشرور، وسيقف ضد الخيرات والصالحات، ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾.

وهذا الطغيان فصله الله في موضع آخر: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]. علا وأفسد، فهو طغيان مع إفساد في الأرض، يستضعف طائفة من الرعية، يُذبِّح أبناءها، ويستبقي نساءها، يُقتل أولادها الذكور، ويبقي النساء للخدمة والاستمتاع.

وفي آية أخرى يقول: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣٠، ٣١]. هذا العلو في الأرض هو الطغيان، يستعلي في الأرض؛ فيأخذ أكبر من حجمه، وأكثر من ساحته، ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، وهذا جمع بين العلو والفساد، فالعلو هو تعبير عن الطغيان.

**الإفساد السياسي:**

تحدثنا في الخطبة الماضية عن الإفساد السياسي الَّذي كان فرعون يمثله، يفسد الحياة السياسية، يفرق بين النَّاس بعضهم وبعض، ويعلي بعضهم على بعض، لا باسم الحق ولا باسم العدل، ولكن ما يهواه الظالم يأمر به، يعلي قومًا على قوم، لا يعلي الحق على الباطل، ولا يعلي العدل على الظلم، ولا يعلي الخير على الشر، وإنَّما يعلي من يهواهم هو؛ لأنَّهم إما لأنَّهم أقرب إليه نسبًا، أو لأنَّهم يحققون له المصالح، أو لأنَّهم يدفعون عنه، فهو يحابيهم بما يستطيع، هذا هو الإفساد السياسي.

QaradawiBooks.com

## الإفساد الاقتصادي:

وتحدثنا أيضًا في الخطبة الماضية عن الإفســاد الاقتصادي الَّذي ذكره الله تعالى عن قوم سيِّدنا شــعيب، ﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۞ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۞ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ ـ ١٨٣]، كانوا يطففون المكاييل والموازين، ويظلمون النَّاس في البيع والشراء، فكانوا يعثون في الأرض مفسدين، فجاء سيِّدنا شعيب ليقيم عدل الله فــي الأرض ويقاوم هذا الإفســاد، ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ [هــود: ٨٧]، يفهمون أنَّهم ما داموا مالكين أموالهم فهم أحرار فيها، لا، ليس لأحد حرية مطلقة في ماله، لأن حريتك تصطدم بحرية غيرك، وحقك يصطدم بحقوق غيرك، فلا بدَّ أن ترعى حريــات النَّاس وحقوق النــاس، كما أنَّ لك حقًّا فلكل إنســان حق، قالــوا لشــعيب: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾، من الأصنام والأوثان، ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون؛ فهذا هو الشر كله، هذه هي الرأســماليَّة المرذولة الطاغية، الَّتي تجعل النَّاس يفعلون في أموالهم ما يشــاؤون؛ دون أن يبالوا بالمجتمــع، ودون أن يبالي الأقوياء بالضعفــاء، ودون أن يبالوا بحقــوق الفقراء والأيتام والمســتضعفين في الأرض، هذه هي الرأســماليَّة الغبية، الَّتي لا تعتــرف لله بحق، ولا للناس بحق، هذا هو الإفساد الاقتصادي.

## الإفساد الاجتماعي:

وهناك إفساد اجتماعي، الَّذين يريدون أن يأخذوا كل شيء لأنفسهم، الله أعطى كلا منهــم عقلا يفكر به، وإرادة يرجِّح بهــا، وقدرة ينفذ بها،

QaradawiBooks.com

فلماذا يأتي بعض النَّاس ويريد أن يأخذ كل شيء لنفسه ويحرم الآخرين؟!

إذا كان عنده قدرة على ذلك، عنده أولاد وأتباع وأنصار؛ فهو يستقوي بهم، ويستضعف الآخرين، ويحرمهم من كل خير، ويستفيد هو من كل ما في الأرض، هذا ظلم، الإسلام يرفض هذا الظلم؛ لأنَّه يجعل النَّاس يكره بعضهم بعضا، يصبح النَّاس الضعفاء يكرهون الأقوياء، والفقراء يكرهون الأغنياء، تزول المحبة بينهم، كيف يحب الإنسان ظالمه؟ كيف يحب الإنسان من يأخذ كل شيء، ولا يدع له شيئًا؟ ومن هنا يقاوم بعضهم بعضا.

ولذلك الإسلام جاء يجمع النَّاس جميعا على مائدة واحدة، هي مائدة الله، جعل الله هذا الكون مائدة مفتوحة للجميع، يأكل منها الجميع، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، كلوا من رزق الله، رزق الله ممدود للجميع، فلا يجوز لأحد أن يأخذ رزق الله، أو جزءًا منه كبيرا لنفسه ويحرم الآخرين، لا، لا يرضى الله هذا الظلم أبدا، إنَّما المائدة ممدودة للجميع، كل واحد حسب جهده، حسب عقله، حسب اجتهاده، وحسب تفكيره.

ولذلك لا يمكن أن يكون النَّاس بعضهم كبعض تماما، لا، لا بدَّ من تفاضل، ولكن ليس معنى التفاضل أن يحرم بعض النَّاس الآخرين تماما، لا، حتَّى الَّذي لا يستطيع أن يعمل، هب أن إنسانا أعمى أو أعرج أو مريض، أو لا يستطيع أن يعمل في كسب العيش؛ هل يموت جوعا؟ الإسلام يفرض له على المجتمع من حوله، على أقاربه، ثمَّ من بعدهم من أهل الحي، ثمَّ أهل البلد، ثمَّ أهل المنطقة، الكل يتكافل بعضهم مع بعض، هذا ما جاء به الإسلام.

QaradawiBooks.com

فالذين يريدون الإفساد الاجتماعي هم الَّذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]. خاسرون في الدنيا، وخاسرون في الآخرة، وخسارة الآخرة هي الأشد، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، ويقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]. فهذا هو الإفساد الاجتماعي.

## الإفساد الأخلاقي:

وهناك الإفساد الأخلاقي، هناك أناس يعملون على إفساد الخُلُق، وهذا ما حذر الله تعالى منه، الَّذين نشروا فاحشة اللواط، قوم لوط هم أوَّل ناس جاؤوا بهذه الفاحشة، لم يسبقهم بها أحد من العالمين كما قال القرآن، وجاء سيِّدنا لوط يدعوهم إلى توحيد الله، وإلى ترك هذه الفاحشة الفظيعة، قال: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦]. خلق الله لكم النساء لتتزوجوهن طاهرات، تترك امرأتك وتذهب إلى الرجال، فهؤلاء غيَّروا الفطرة الَّتي فطر الله النَّاس عليها، وأصبح هذا مرضهم المزمن، يصبحون عليه ويمسون عليه، ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦]. معتدون على حدود الله، سماهم سيِّدنا لوط المعتدين والمسرفين.

وقف سيِّدنا لوط ضد هذه الفاحشة، وقال لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٤-٥٦]. لا يريدون أن يدنسوا أنفسهم مثل الآخرين!

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن حقهم أن يتطهروا، ومن حق كل إنسان أن يتطهر، الطهارة هي أصل الإنسان، وكل إنسان مطالب أن يطهر نفسه، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠]، وقف سيِّدنا لوط ضد هذه الفاحشة الرذيلة المنكرة.

وكذلك من الإفساد الأخلاقي أنَّ الإنسان يعيش بشخصيَّة مزدوجة؛ فيكون له وجهان، وله لسانان، وله طريقتان، له وجه يقابل به هؤلاء، ووجه يقابل به قومًا آخرين، لسان يكلم به هؤلاء، ولسان يكلم به آخرين، طريقة يتعامل بها مع هؤلاء، وطريقة يتعامل بها مع آخرين، الإسلام لا يريد هذا أبدًا، الإسلام يريد الشخصيَّة المحترمة المُوَحَّدة، لها وجهة واحدة، وصيغة واحدة، وطريقة واحدة؛ أمَّا الشخصيَّة المتلاعبة المتلونة هذه ليست من شخصيات الإسلام أبدًا، كما جاء في الحديث: «**شرُّ النَّاس يوم القيامةِ ذو الوجهَيْن، الَّذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**»(١). المنافقون عادة يتعاملون مع النَّاس بوجهين وبلسانين.

**يُعْطِيكَ من طَرَفِ اللِّسانِ حَلاوَةً ... ويَزِيغُ مِنْكَ كما يَزِيغُ الثَّعْلَبُ**(٢)

كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]. هذا من الإفساد الأخلاقي.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٥٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٢٦)، عن أبي هريرة.
(٢) البيت من القصيدة الزينبية لصالح بن عبد القدوس، انظر: ديوانه صـ١٢٥، تحقيق عبد الله الخطيب، نشر دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

## الإفساد البيئي:

وهناك إفساد ذكره القرآن هو الإفساد البيئي الَّذي يفسد البيئة، فقد خلق الله البيئة للناس صالحة يستطيعون أن ينتفعوا بها، خلق الأرض تثمر، الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦، ٨٥]. أصلحها الله، خلقها صالحة مهيأة لتنبت الزرع، وتهيئ الضرع، ويأتي منها الحيوان وحدائق ذات بهجة، يأتي منها هذا كله ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، أشياء حسنة ذات بهجة، وذات حسن وجمال، هذا ما صنعه الله في الأرض.

ثم يأتي الإنسان ليفسد في هذه الأرض، بعض النَّاس جاؤوا إلى أرض مصر بما يفسد الزرع، أخذوا من إسرائيل بذورا، وإسرائيل تعمدت أنَّها تفسد الأرض وتفسد القمح، هذا لا يجوز، لا بدَّ أن نحافظ على تربة الأرض، لا بدَّ أن نحافظ على الهواء، لا بدَّ أن نحافظ على الماء، على الحرارة، لكن النَّاس لعبوا وعبثوا في البيئة فأفسدت عليهم حياتهم، أصبحت الحرارة غير الحرارة، والبرودة غير البرودة، وأصبح النَّاس يشكون من تغير الأجواء، ومن تلوث الأجواء، هذا ممَّا فعله النَّاس بأنفسهم.

النبي ﷺ قال: «**من قتل عصفورًا عبثًا عجَّ إلى الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، يقول: يا ربّ، إنَّ فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني لمنفعة**»(١). يُسأل أمام الله من يقتل عصفورًا، أو حمامة، أو حُبارى، أي شيء، يقتله ولا يأكله. بعض النَّاس يذهب للقنص يقتل الصيد ويتركه، لا، هذا حرام، معناه أنَّك تلعب بهذه المخلوقات، لا يجوز العبث بهذه الأرواح! سيِّدنا عبد الله بن عمر وجد بعض شباب قريش يعبثون بدجاجة اتخذوها هدفًا يصيبونها بالسهام،

(١) رواه أحمد (١٩٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الضحايا (٤٤٤٦)، وابن حبان في الذبائح (٥٨٩٤)، وضعَّفه الألباني في تخريج الحلال والحرام (٤٦)، عن الشريد.

QaradawiBooks.com

فلعنهم وقال: لعن الله من اتخذ هذا غرضًا، سمعت هذا من رسول الله ﷺ[(١)]. لأنَّهم يجعلون هذه المخلوقات الحية أغراضًا، هذا إفساد للبيئة.

يجب على النَّاس أن يحافظوا على كل شيء في البيئة، حين اشتكى الصحابة من الكلاب الضالة، وقالوا: نقتلها يا رسول الله؟ قال: «**لولا أنَّ الكلابَ أُمَّة من الأمم؛ لأمرتُ بقتلها**»[(٢)]. الكلاب أمة من الأمم لا يجوز إبادتها، هذا عن الكلاب؛ فكيف بالإنسان؟ هناك من أباد الآلاف من بني آدم بالمدافع، بالطائرات، بالقناصين، يقتلون النَّاس بالآلاف، النبي عليه الصلاة والسلام رفض أن تُقتل الكلاب الضالة الَّتي تؤذي الناس؛ لأنَّها أمة من الأمم، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٨].

كل أمة من هذه الحيوانات والحشرات والطيور والأسماك، كل ما فيه روح أمم أمثالنا، أمة العنكبوت، أمة النمل، أمة النحل، أمة الكلاب، أمة القطط ﴿**أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم**﴾، لها أرواح مثلكم، خلقها الله؛ فيجب أن تحترموها، ولذلك لم يقتل النبي ﷺ الكلاب، ولكن الحضارة الغربيَّة قتلت الناس، وللأسف وجدنا من المسلمين من يقتل الناس، النَّاس يُقتلون في مصر، والناس يُقتلون في سوريا، آلاف وآلاف من الرجال والنساء، والشيوخ والولدان، ومن كل الفئات، والناس يُقتلون في العراق على الهوية: أنت

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٥١٥)، ومسلم (١٩٥٨)، كلاهما في الصيد والذبائح.

(٢) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.

QaradawiBooks.com

سني أم شيعي؟ إذا كان شيعيًا لا يُقتل، أمَّا إذا كان سنيًّا فيُقتل، تقتله الجيوش، تقتله النيران، تقتله المدافع، تقتله الطائرات، تقتله الدبابات، وفي بلاد كثيرة يُقتل الناس، هذا إفساد في الأرض.

**الإفساد الأمني:**

ومن هنا كان هناك إفساد أمني، يفسد النَّاس في الأرض؛ حتَّى لا يكون فيها أمن، حتَّى خاف النَّاس بعضهم من بعض. فالأمن أن تحس في نفسك بالاطمئنان، أنَّك آمن من كل من حولك، النبي ﷺ يقول: «**من أصبح آمنًا في سربه، معافًى في بدنه، عنده قوتُ يومِهِ فكأنَّما حِيزت له الدُّنْيا بحذافيرها**»[1]. معافى في بدنه، وعنده قوت يومه، وآمنا في سربه: في جماعته، هذا كأنَّ الدُّنْيا كلها عنده.

فقْدُ النَّاس الأمن هي المصيبة الَّتي يشكو منها الناس، بلادنا العربيَّة في مصر وسوريا والعراق، وفي بلاد كثيرة: أصبحت تشكو من اختلال الأمن، الَّذي فعل هذا سيجزيه الله شر الجزاء، سيجزيه بما يستحق.

والأمن نعمة عظيمة امتن الله بها على قريش: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٣، ٤]. الحياة تقوم على أمرين: الأوَّل هو الرخاء والاكتفاء الذاتي، والثاني هو الأمن، ولذلك كانت الجنَّة دار أمن مطلق، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]، فالأمن نعمة عظيمة.

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٤٦)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١٤١)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨)، عن عبيد الله بن محصن الأنصاري.

QaradawiBooks.com

وهناك أناس يفسدون الأرض بإضاعة الأمن، قتلوا النَّاس في بيوتهم، وفي شوارعهم، وفي مدارسهم، وفي جامعاتهم، وفي الطرقات، قتلوهم فلا يشعر النَّاس بالأمن.

ولكن المؤمنين أقوى من هؤلاء، ظلوا مستمسكين بحقهم، لم يتركوا البقاء في الشارع، ظلوا ينادون بالحق، يُقتل منهم من يُقتل ولا يبالون؛ يعلمون أنَّ المقتول ليس ميتًا، المقتول حي عند ربه، ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۞ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۞ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ [محمد: ٤ ـ ٦]، ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]، انظر إلى هؤلاء الشهداء هم أحياء، ومن حياتهم أنَّهم يفرحون بما آتاهم الله من فضله على ما أدوا للأمة، ويفرحون بمن يأتي بعدهم على نفس الطريق، كلما يجدون جيلًا من بعدهم يحمل الراية، ويتقدم إلى الأمام ولا يبالي بما يُصاب به في سبيل الله، يفرحون بهم، هم معنا بعواطفهم.

هؤلاء يفسدون الأمن كما قال الله عن اليهود: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]. الله لا يحب المفسدين، ولا يحب الفساد كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥]. الله لا يحب الفساد أبدًا، إنَّما يحب الصلاح والإصلاح للناس جميعًا، كل فساد يكرهه الله ويبغض أصحابه، وينزل بهم النقمة، ولا يُرد بأسه عن القوم المجرمين والقوم المفسدين أبدًا.

ولذلك أيُّها الإخوة كونوا دُعاة إصلاح، ولا تكونوا دعاة فساد

ولا إفساد، الَّذين أفسدوا حياتنا السياسـية، وحياتنا الاقتصادية، وحياتنا الاجتماعية، وحياتنـا الأخلاقية، وحياتنا البيئـة، وحياتنا الأمنية، حياة النَّاس وحياة الأحياء، كل شيء أفسدوه، هؤلاء سينتقم الله تعالى منهم، وسيأخذهم أخذ عزيز مقتدر، الله ﷻ لا يغيب عنه شيء، ولا يعجز عن شـيء، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [العنكبوت: ٢٢].

كونوا مع إخوانكم الَّذين أصابتهم البأسـاء والضراء وزلزلوا زلزالًا شـديدًا، كونوا مع إخوانكم في مصر، وإخوانكم في سوريا، وإخوانكم في ليبيا، وإخوانكم في العراق، وإخوانكم فـي اليمن، وإخوانكم في تونس، وإخوانكـم في المغـرب، وإخوانكم في كلِّ مـكان من أرض الإسـلام، وخصوصًا الأرض الَّتي يُبتلى فيها المسـلمون، فالمسلمون يُبتلون في بلاد شتى، ولكن الله معهم، لن يتخلى الله تعالى عنهم، ثِقوا أيُّها الإخـوة أنَّ المؤمنين منصـورون، والله إنَّ المؤمنيـن لمنصورون، لا نيئس أبدًا، الله معنـا، إذا كان الله معنا لماذا نخاف؟ الله مع المؤمنين، سـيتجلى عليهم بقوته ورحمانيته وأحديته، وسـينصرهم نصرًا عزيزًا، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله لي ولكم فاسـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

**المستبدون يحكمون الشعب من الوراء:**

يريد حكَّام مصر غير الشـرعيِّين: أن يحكموا الشعب المصري رغم أنفه، هناك حُكَّام شـرعيون وحُكَّام غير شرعيين، الحكام الشرعيون هم الَّذين انتخبهم النَّاس بإرادتهم الحرة، وأعطوهم أغلب أصواتهم، ظلت مصر سـتين عامًا يحكمها العسـكر، يحكمونها بالاسـتبداد والطغيان والفسـاد والظلم، الَّذي شمل كل شيء، سـتون عامًا تفاوتت من حين لآخر، حينًا يشتد الفساد والظلم ويخفت حينًا.

وانتهت هذه السـنون بقيام الشـعب المصري على بكرة أبيه بكل فئاته، مسلميه ونصاراه، ومتعلميه وأمييه، وفلاحيه وعماله، بكل الفئات رجال ونساء وشيوخ وشباب حتَّى الأطفال الَّذين يعون شاركوا في ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

وانتصر الشعب، وسلَّم حسـني مبارك الحكم للمجلس العسكري، هذا المجلس الَّذي عزل الرئيس المنتخب مُحَمَّد مرسي: لم يعزل حسني مبارك، الَّذي قتل وسرق وأفسد في البلاد، وأذل العباد، وفعل ما فعل من مآثم ومظالم يعرفها الجميع، تركوه يختار المجلس العسكري، قال: أنا فوضت المجلس العسكري ليحكم مصر.

وحكم المجلس العسـكري مصر إلى أن أخذ النَّاس ينتخبون، وهيَّأ النَّاس دسـتورًا شـرعيًّا، من رجال منتخبين عن طريق مجلس الشعب

QaradawiBooks.com

والشورى، مائة شخص، وظلُّوا ستة أشهر يعملون ليلًا ونهارًا، من أجل هذا الدستور، وأقاموا دستورًا واستُفتي الشعب عليه، وأفتى الشعب بنعم بأكثرية حوالي الثلثين.

ولكن المستبدين الَّذين كانوا يحكمون الشعب من الوراء، من غير أن يعلم الشعب: لم يصبروا على اختيار الشعب، ووقفوا ضد الرئيس المنتخب مُحَمَّد مرسي، إذا كان لمحمد مرسي خطأ فأول خطئه أنَّه لم يكتشف هؤلاء الناس، وربما كان معذورًا، لأن الإنسان الصالح لا يظن السوء بمن يظهر له الخير، هؤلاء كانوا يظهرون له الخير، ويهشون في وجهه، ويكلمونه الكلام الطيب، ويحلفون له أنَّ الجيش معه، وهم كذَّابون.

قالوا: إن مُحَمَّد مرسي فشل! وهل حكم حتَّى يفشل؟ هل تركوه شهرًا واحدًا يحكم يا جماعة؟ والله ما تركوه شهرًا يحكم فعليًّا، ظل سنة كاملة يشكو، والله قال لي مُحَمَّد مرسي: إن عندي من ملفات الفساد ما أستحيي أن أتحدث عنه؛ لأنَّه فضيحة لمصر. هؤلاء هم الَّذين تآمروا على مُحَمَّد مرسي، وزعموا أنَّ الشعب ضده، من الَّذي قال: إنَّ الشعب ضده؟ من الَّذي عدَّ الشعب؟ نحن عندنا صناديق معدودة فردًا فردًا، وصوتًا وصوتًا، من أين جئتم بهذه الدعوى؟ ولكن هؤلاء أرادوا أن يقمعوا الشعب ويحكموه رغم أنفه، حرموا الشعب الديمقراطية الَّتي اكتسبها، وهي تعبير عما يسميه الإسلام الشورى، حرموه الحرية، سيِّدنا عمر يقول: متى استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[1]؟ هؤلاء استعبدوا الأحرار من الناس، أصبحوا يحكمون الشعب بالقهر.

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

**لا لحكم العسكر:**

اختلف النَّاس مع العســكريين، فقال الناس: لا نريد حكم العسكر. نادوا بسقوط حكم العسكر، ومن حقهم هذا أيُّها الإخوة، لا يجوز لأي شعب من الشعوب الحرة الَّتي عرفت حريتها وآمنت بها أن تترك مجموعة من العسكر يتحكمون فيها، العسكر يجب أن يكونوا في خدمة وحماية الأمة، يحمونها في الداخل ويحمونها من الخارج، القوات المسلحة سواء كانت قوات جيش أو قوات شرطة تكون في خدمة الشعب، ولكن ضباط الجيش المصري، لا أقول: كل الضباط. أنا أعرف ضباطًا محترمين يخافون الله، ويحبون الشعب، ويحبون الحرية للناس، ولا يريدون أن يفرضوا على النَّاس ما يرونه، هؤلاء هم الَّذين يجب أن يحترمهم الناس، لكن هناك عدد من الضباط يريدون أن يفرضوا رأيهم على الناس، ويفرضوا عليهم ما يريدون.

**العساكر يأكلون حقوق الشعب:**

أنا أيُّها الإخوة مشيت في مناطق كثيرة في مصر عشرات الدقائق، وحولي أماكن يملكها الجيش المصري، ومن حقه بلا شك أن تكون له أماكن يعيش فيها، ويدرب جنوده فيها، ولكن لمن هذه المناطق؟ هذه ملك الشعب، إذا ترك الجيش هذه المناطق تكون للشعب وللجيش، أمَّا أن يملكها الجيش وحده؛ فهذا ما يفعله الجيش المصري!

سألت عن النَّاس في أمريكا وفي أوروبا، وفي أستراليا وفي آسيا، وفي إفريقيا وفي بلاد كثيرة: لم أجد بلاد الاستبداد إلَّا الَّتي يحكمها العسكر، وهي بلاد قليلة جدًّا، أمَّا البلاد الضخمة: الهند والصين واليابان، وأمريكا وكندا، وهذه البلاد الكبيرة؛ فالجيش فيها مثل الشعب،

QaradawiBooks.com

أمَّا في بلاد الاستبداد فالجيش يملك حتَّى غير الأماكن الَّتي يعيش فيها الجنود، كثير من الأماكن يملكها العسكر، يقول: هذه منطقة عسكرية. ويفرض عليها سيطرته؛ فلا يكون من حق أحد أن يدخل فيها.

كثير من الأماكن يملكها العسكر تُركت، حينما تزحف المدن على هذه المناطق ويصبحون في قلب المدينة؛ المفروض أن يترك العسكر هذه المناطق الهائلة، هذه مناطق بعشرات المليارات، لكنهم يظلون يملكونها، الجنود لا يملكون شيئًا؛ فهم يمكثون فترة وتنتهي خدمتهم، لكن الضباط ـ وخصوصًا كبار الضباط ـ تصبح هذه المناطق أملاكًا لهم، أصبح الضباط يملكون أشياء هائلة، أكثر ممَّا يملكه الشعب المصري، أنا لا أقول هذه حسدًا للضباط؛ ولكن أخشى عليهم من غضب الله تبارك وتعالى إذا أكلوا حقوق الشعب، لأن بيدهم السلاح والقدرة، يأخذون من النَّاس ما يقدرون عليه، ويتركون النَّاس لا شيء لهم!

هذا حرام، يجب أن يكونوا شركاء للناس، يمكن أن نعطيهم زيادة قليلة، أمَّا أن يأخذوا كل شيء، ويملكوا بهذه الطريقة أموالًا هائلة، وشركات هائلة في بر مصر كله، يملكون في كل شيء، في العقارات، والإدارات الهندسية، والصحافة، يملك هؤلاء ما يملكون، ويعينون فيها من اللواءات والعقداء والضباط الكبار من يعينون، وفي كل أركان الدولة، كان في التليفزيون المصري خمسة وأربعون ألفَ مُوَظَّف، قالوا: وليست هناك حاجة سوى لعشرة آلاف، والباقي خمسة وثلاثون ألفًا معظمهم لواءات وضباط!

وهذا الوضع لا يصح، لا بدَّ أن يحكم الشعب كله بلاده، الأمور تُقسَّم بالعدل وبالمشورة، أمَّا أن يأتي العسكريون ويقولون: هذا لنا،

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

ونحن الحُكَّام فيه، ولنا مجلسنا العسكري، ولا يجوز لأحد من الشعب أن يتدخل في أمورنا، نحـن أحرار فيما نملكه. مـن يقول هذا؟ هذا صنع الاستبداد، الَّذي يتحكم في أرزاق الناس، وفي أمور النَّاس كلها، ولا يملكهم شـيئًا، النَّاس شركاء في كل شـيء، هناك بعض الأشياء حرَّم النبـي ﷺ أن يمتلكهـا بعض النَّـاس دون بعـض، يمتلكونها ويحرمون الآخرين، مثل الماء أو الهواء أو الرمل أو الشمس أو الأشياء الَّتي يحتاجها الناس، ولا يسـتغنون عنها؛ لا يجـوز لأحد أن يحتكر شـيئًا منها ويقول: هذا لي أنا وحدي. فهذا من الأشياء الَّتي يجب أن يحكم فيها الشعب.

ثم جاء هؤلاء الَّذين حكموا الشـعب بدون خيار من الشـعب، لم يخترهم الشعب، من الَّذي اختارهم؟ هنا كثير من المصريِّين، هل اخترتم هؤلاء؟ هل قلتم: هؤلاء حكامنا؟ من الَّذي أعطاكم الفرصة لتقولوا هذا؟ هؤلاء حكموا النَّاس رغم أنوف الناس، والرئيس الشـرعي خطفوه، هم يقولون: الرئيس المعـزول. من عزله؟ لا يوجد أحـد عزله، هذا رئيس مختطف، اختطفه القوم وأخفوه، والآن لا يُعرف أين هو، هل هو حي أو ميت؟ لم يحضـر محاكمته الأخيرة ولا يُعرف لمـاذا لم يحضر؟ كذبوا على النَّاس وقالوا: الجو لم يسـمح. ولكن النَّـاس رأوا الجو صحوا، والشمس مشـرقة، ليس هناك أي غبار ولا أي شيء يمنع حضوره، أين مُحَمَّد مرسي؟ ماذا يريد هؤلاء أن يفعلوا به؟

هؤلاء حكموا البلد رغم أنوف أهلها، قتلـوا من قتلوا عند الحرس الجمهوري، وعند المنصة في شارع النصر، وفي مجزرة رابعة العدويَّة، ومجزرة النهضة، ومجزرة جامع الفتح، ومجازر في الإسكندريَّة، ومجازر

QaradawiBooks.com

في المنصورة، ومجازر في بلاد شتى، رآها النَّاس بأعينهم، رأينا هؤلاء الَّذين ليس معهم أي سلاح يُقتلون بأسلحة الجيش، لو كان معهم سلاح لقيل: يستحقون. والله ليس معهم أي سلاح، أنا أشهد بهذا والله، عرفت الكثير منهم، وبعض الحاضرين معنا هنا شهدوا هذا، لم يكن مع أحد منهم لا بندقية ولا مدفعًا، ولا مسدسًا، ولا سيفًا، ولا سكينة، ولا عصا، ولا حجرًا، أنا أقول هذا، وعندي من أقاربي من كانوا موجودين وحضروا هناك، وبعضهم موجودون معنا الآن، لم يكن معهم إلَّا أيديهم يرفعون أصابعهم الأربعة في كلتا يديهم، قُتل هؤلاء، هل رأيتم أحدًا قُتل من الضباط والجنود الَّذين قتلوهم، هم قتلوا بعضهم بعضًا أحيانًا بالخطأ، وأحيانًا بما رتبوه.

والله هؤلاء قوم ظلمة قتلوا هؤلاء النَّاس بدون وجه حق، والله يغضب لمن قُتل بغير حق، الله يغضب للَّذين قتلهم الظالمون، قتلوهم وسيقتلهم الله، قتلوا هؤلاء الأبرياء الأتقياء الأنقياء، الَّذين ظلوا رمضان يصلون في أوَّل الليل، وفي آخر الليل، ما رأيت أخشع منهم لله والله، رجالهم ونساؤهم، وشبابهم وشيوخهم وأطفالهم، رأيت النَّاس الخُلَّص خير من في مصر، أفضل من فيها، اجتمعوا في رابعة العدويَّة، وفي النهضة، وفي المدن الأخرى، قتلهم هؤلاء الظالمون.

واليوم يريدون من الشعب أن يبارك هذا القتل، هم قَتلوا ويريدون النَّاس أن يشتركوا معهم في القتل، أعوذ بالله، من يشارككم في هذه الجريمة البشعة؟ ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: ٣٢]، الإسلام يُفظِّع قتل امرئ واحد، وهؤلاء قتلوا الآلاف.

QaradawiBooks.com

يريدون أن يشـركوا الشـعب المصري في الدسـتور الَّذي صنعوه، والدسـتور الَّذي صنعه الشـعب المصري أعظم دسـتور، ومع هذا فإن الدكتور مُحَمَّد مرسـي قال: إذا كانت هناك ملاحظات على الدسـتور؛ فيمكن أن نعقد أوَّل جلسة نقوِّم فيها الدستور، ونضيف إليه ما نضيف، ونحذف ما نحـذف، ونُعدِّل ما نُعدِّل. وهذا إنصـاف، وكانت لي بعض الملاحظات، قال: يمكـن أن نأخذها وننظـر فيها، وينظـر فيها الَّذين انتخبهم الشعب، والرأي للأغلبيَّة.

**ارفضوا هذا الاستفتاء:**

هذا هو الإنصاف أيُّها الإخوة، أمَّا أن يأتي هؤلاء بعشـرة، والعشرة يكونون خمسين، ويظلوا بضعة أيَّام ويفرضوا علينا دستورًا يحذفون فيه الشـريعة الإسـلاميَّة، كل ما أهمهم حذف المادة الَّتي يُرجع إلى علماء الأزهر بالنسبة للشريعة، لتصبح الشريعة الإسـلاميَّة أمورًا مختلفًا فيها، والشـريعة كما هو معلوم، منها ما هو متَّفق عليه، ومنها ما هو مختلف فيه، المتَّفق عليـه منها هي الأمور الَّتي يسـمونها القطعيـة وهي أمور محدودة، أمَّا معظم الشريعة الإسـلاميَّة ففيها خلافات، ولكن الَّذي معه القرآن ومعه السـنة والإجماع ويملك أدوات الاجتهـاد يجب أن يكون النَّاس معه، فهؤلاء رفضوا هـذا وجاؤوا لنا بدسـتور يريدون للأمة أن تصوت عليه.

وأنا أدعو كل الشعب المصري في القاهرة والإسكندريَّة، وفي المدن المصرية: فـي الصعيد، وفي الوجه البحري، وفـي المدن، وفي القرى، وفي الصحارى، وفي كل مكان: أن يرفضوا الذهاب إلى هذا الاستفتاء، هذا الاستفتاء ساقط، الَّذي تقوم به حكومة ليست لها أصل، حكومة غير

QaradawiBooks.com

شرعية، لا قيمة لما تعمله، هذا عمل باطل، ولا ينبغي نحن أن نؤيد الباطل، نحن ضد الباطل، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، نحن ندعو كل الشعب المصري، مسلميه ومسيحييه، ليبرالييه وإسلامييه، رجاله ونساءه، شيوخه وشبابه، في القرى وفي المدن وفي كل مكان، أدعوهم إلى مقاطعة هذا الدستور، هذا دستور ميت، لا يجوز أن يعيش، هذا ما أدعو إليه الشعب المصري.

## لا تقتلوا الأبرياء:

وأدعو الجنود المصريِّين كما دعوتهم من قبل: أن يرفضوا قتل امرئ مصري، أنا أعجب لهؤلاء الجنود، سواء كانوا جنود شرطة أو جنود جيش، الَّذين يقتلون المصريِّين، من عدة أيَّام قتلوا عشرين شخصًا في يوم واحد، غير الآلاف الَّتي قُتلت من قبل، وفي سائر الأيَّام يُقتل شباب مثل الزهر الناضر الوردي الجميل، يقتلونهم في جامعاتهم، يدخلون على هؤلاء الشباب وهم يدرسون العلم، وللأسف نجد من الشيوخ في الأزهر من يسكت على هذا، بل من يؤيد هذا، بل من يقول: هذا هو الدين وهذا هو الشرع. أين أنتم أيُّها الشيوخ من الدين، أنتم بعيدون عن الدين، الدين يستعيذ بالله تعالى من شروركم ومن فجوركم، هذا ليس من الدين في شيء، أتبيحون دماء الأبرياء؟! الحديث تحفظونه: «**لا يحِلُّ دمُ امرئٍ مسلم، يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله، إلَّا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيِّب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة**»(١). وهؤلاء لم يقتلوا ولم يزنوا ولم يخونوا، لم يرتكبوا شيئًا يوجب هدر دمائهم.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الديات (٦٨٧٨)، ومسلم في القسامة (١٦٧٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

هؤلاء يقتلون التلاميذ، وهؤلاء يتجرؤون على النســاء لأول مرَّة في مصر، أنا اعتُقلت في أيَّام فاروق ســنة ١٩٤٩م. لم تكن معنا امرأة واحدة في الاعتقال، واعتُقلت في ســنة ١٩٥٤م. في عهد الثورة، لم تُعتقل معنا امرأة، وفــي الاعتقال الثاني في أواخر ســنة ١٩٥٤م. وفي ســنة ١٩٥٥م. و١٩٥٦م. لم تُعتقل معنا امرأة، وفي سنة ١٩٦٥م. اعتقل عبد الناصر بعض النساء مثل الســيدة زينب الغزالي ومن كن مثلها من الداعيات إلى الله، عُذِّبن عذابًا شديدًا ولكن كن عددًا محدودًا.

## عبث بالمحجبات والمنقبات:

أمَّا الآن فما أكثر من المعتقلات من النساء، وأصبحت البنات يعبث بهن البلطجية الَّذين اســتأجرهم المســتأجرون، أصبحوا يعيشون على حساب الدولة، يعيثون في الأرض فسادًا، ويطغون على الناس، ويعبثون ببناتنا، والله رأيت مناظر يندى لها الجبين، أستحيي أن أنظر إليها، يعبثون بالمرأة المحجبة والمرأة المنقبة، يفعلون هذا ويحكمون عليهن بعشــر سنوات وإحدى عشرة ســنة، ويأخذونهن إلى المعتقلات، هؤلاء أناس لا بدَّ أن يرفضهم الشعب.

أنا أقــول للجنــود المصريِّين: ارفضــوا ما يأمركم به هــؤلاء، فهم لا يأمرونكم بما يوافق الدســتور ولا القانون ولا الشرع، لا يوجد شرع ولا قانون يأمر بقتل الناس، النَّاس أبرياء أتقتلونهم؟! لا يجوز لكم هذا، والله لا يجوز لأي شــرطي أن يعتدي على أي إنسان في الشارع بالقتل، يقتله حتَّى بالخرطوش، والخرطوش ممكن يقتل، إذا حدث بطريقة معينة وفي أماكن معينة، يمكن أن ينتهي إلى القتل.

أنا أدعو الشــعب المصري كله أن يقف ضد هؤلاء الطغاة المفسدين

QaradawiBooks.com

في الأرض، هؤلاء الَّذين يحكمون مصر أناس لا يخافون الله، لا يرجون الآخرة، لا يعلمون أن هناك يومًا يجتمع فيه النَّاس إلى الله، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۞ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۞ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤ ـ ٦]، هناك يوم ستقفون فيه أيُّها العسكر، يا سيسي ومن مع السيسي، يا مُحَمَّد إبراهيم يا وزير الداخليَّة، يا من تقتل النَّاس بغير حق اخشَ ربك، ستقف يومًا أمام هذا الملك العظيم حينما يقال: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [غافر: ١٦]. فلا يرد أحد، فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. في هذا اليوم لن تجدوا لكم نصيرًا، ولن تجدوا لكم وليًّا، الله ﷻ هو صاحب المُلك كله في هذا اليوم العظيم.

إنِّي أرى أيُّها الإخوة أنَّ الشعب المصري سينتصر، ثقوا في هذا، لأن الشعب المصري صاحب حق، وصاحب الحق سينتصر، علينا أن نصبر، الحق لا بدَّ له من صبر، الله تعالى يقول: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وكما قال سيِّدنا يوسف لإخوته حينما اكتشفوا أنَّه عزيز مصر: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُعلي كلمته، ويرفع شريعته، ويكرم أمته، ويعز أنصار دينه، ويخذل الظالمين، اللهمَّ اخذل الظالمين، اللهمَّ خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ أنزل عليهم بأسك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهمَّ رد عنا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهمَّ انصرْ إخوتَنا في مصر، وانصرْ إخوتَنا في سوريا، وانصرْ إخوتَنا في العراق، وانصرْ إخوتَنا في ليبيا، وانصرْ إخوتَنا في تونس، وانصرْ

QaradawiBooks.com

إخوتَنا في اليمن، وانصرْ إخوتَنا في فلسطين، وانصرْ إخوتَنا في الأردن، وانصرْ إخوتَنا في لبنان، وانصرْ إخوتَنا في كلِّ مكان في بلاد الإسـلام جميعًا، ما نعرفه وما لا نعرفه، انصر أهل الحق المستضعفين في الأرض، اللهمَّ كُن لهم ولا تكن عليهم، وأعنهم ولا تُعن عليهم، واهدهم ويسـر الهدى إليهم، وانصرهم على من بغى عليهم.

ربنا اجعلهم لك ذكَّارين، لك شـكَّارين، لك أوابين، لك مطواعين، لك مخبتين، إليك منيبين.

ربنا تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وأجب دعوتنا، وثبت حجتنا، واهد قلوبنا، وسدد ألسنتنا، واسلل سخائم صدورنا، اللهمَّ اجعلْ هذا البلدَ آمنًا مُطمَئِنًّا سـخاءً رخاءً وسـائر بلاد المسـلمين، اللهمَّ انصر كل من يعز المسـلمين وينصرهم يـا ربَّ العالَمِيـن، اللهمَّ خذ الظالميـن، وأتباع الظالميـن، وأنصـار الظالميـن، واهدِ أهـل الخير فيهم إلـى طريقك المستقيم، ربَّنا عليك توكَّلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربَّنا لا تجعلْنا فتنةً للَّذين كفروا، واغفر لنا ربَّنـا إنَّك أنت العزيز الحكيم، وصلِّ اللهمَّ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# ٤

# الكِبْر والاستكبار في القرآن(١)

## الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

**أمراض الشتاء:**

صار لي ثلاث جمع لم أخطب، جمعة كنت قد اعتذرت عنها، وجاءت جمعتان بعد هذه الجمعة أقعدني فيهما المرض الَّذي يقعد النَّاس في هذه الفترة من الزمن، خصوصا في أواخر الشتاء، حين تتبدل الأجواء، ويتغير على النَّاس الأمر، فيصابون بما يصابون به.

وهذا شأن الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. وخصوصا إذا اجتمع ضعف المرض مع ضعف السن، فالإنسان يصاب في حياته بضعفين بينهما قوَّة: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

---

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢١ فبراير ٢٠١٤م.

QaradawiBooks.com

فلا عجب أن يصاب الشيخ الكبير بمرض (الأنفلونزا) أو البرد أو نحو ذلك، ولكن الكذَّابين والأفَّاكين يأخذون هذا الأمر، ويقولون ما يقولون.

غير مرخصة للطباعة

## الصدع بكلمة الحق:

وأحب أن أقول لهؤلاء الناس: إنِّي ـ إن شاء الله ـ ما دمت حيًّا، وما دام فيَّ عقل يفكر، ولسان ينطق، وجسم يتحرك، فسأظل أخطب، وسأظل أقول كلمة الحق، الَّتي يرضى بها مَنْ يرضى، ويغضب منها مَنْ يغضب، فأنا لا يهمني غضب الغاضبين، ولا رضا الراضين، وإنَّما يهمني رضا ربِّ العالمين، مهما حاولت أن ترضي النَّاس فإن رضا النَّاس غاية لا تُدرَك، كما يقول الشاعر[(١)]:

**ومَنْ في النَّاس يُرْضِي كُلَّ نَفْسٍ        وبين هَوَى النُّفُوسِ مَدًى بَعِيدُ؟**

وكما يقول الآخر:

**إذا رضيَتْ عَنِّي كرامُ عشيرتي        فلا زال غضبانًا عليَّ لئامُها[(٢)]**

إن أرضيت أهل الشرق غضب أهل الغرب، وإن أرضيت زيدًا غضب عمرو، فلا مكان لإرضاء النَّاس جميعا، حسبك أيُّها الإنسان المؤمن بالقرآن، المؤمن بالسنة، المؤمن بالإسلام العظيم: أن تقول الحق، لا تنحرِف عن الحق، ولا تخشَ في الله لومة لائم، فقل الحق، وقله بلغة خفيفة ما أمكن.

---

(١) هو الشاعر والأديب اللبناني ناصيف اليازجي.

(٢) البيت لأبي العيناء محمد بن القاسم قاله للمتوكل العباسي، كما في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٤٧١/١). نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأنا أقول الحــق والله دائما بلغة خفيفة جدًّا جــدًّا، ولكن الظالمين الَّذين يبغون في الأرض بغير الحق، الَّذين يســفكون دمــاء الناس، أو يدفعون المليارات لســفك هذه الدماء، هؤلاء النَّــاس تخيفهم الكلمة، ســطران قلتهما في خطبة من الخطب، فكيف لو أفردت لهؤلاء خطبة، وسردت على النَّاس فضائحهم ومظالمهم، ماذا يفعلون؟ إنَّهم لا يطيقون سبع كلمات، أو عشر كلمات تكتب في سطرين، فأنا سأظل أقول الحق.

**بناء الأمة:**

وأنا والله لا أعادي أحــدًا، لا أعادي دولة من الــدول، ولا فردًا من الأفراد، ولا جماعة من الجماعات، ولا مجلسا من المجالس، ليس بيني وبين أحد عداوة، أنا كل الَّذي يهمني هو الإسلام والمسلمون، كل الَّذي يهمنــي أن أجمع الأمَّة، النَّاس يريــدون أن يفرقوا الأمَّــة، وأنا أريد أن أجمعها، يريدون أن يهدموا الأمَّة، وأنا أريد أن أبنيها، يريدون أن يميتوا الأمَّة، وأنا أريد أن أحييها، والله ما أريد إلَّا هذا، ليس لي في هذه الدُّنْيا طمع في شيء، أنا في الثامنة والثمانين من عمري، ماذا أريد من الدنيا؟ لا أريد من الدُّنْيا شيئا، إلَّا أن يهتدي الضالُّون، ويتوب العاصون، ويسلم الكافرون، ويرجع إلى الله التائهون والضائعون، هذا كل ما أريده.

ليت هؤلاء الغافلين المســتكبرين في الأرض يفيقون من ســباتهم، ويحيون من مماتهم، ويرجعون إلى الله، ويفكرون بعقل الإنســان الَّذي لديه عقل، ولكن هؤلاء فقدوا عقولهم، وقد حدَّثنا الله عن أوصاف أهل جهنَّــم فقــال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فهؤلاء النَّاس كثيرون.

QaradawiBooks.com

أمَّا أهل الخير فهم قليلون، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. ففي الأقلِّيَّة دائما خير.

وأنا لا أريد إلَّا أن أخاطب هذه الأقليَّة الخيِّرة، وأن أُكَثِّرها ما استطعت، وكلنا ينبغي أن نُكثِّر هذه الأقليَّة الخيِّرة الَّتي تسعى إلى ما ينفع الناس، إلى الحق، إلى الخير، إلى الهدى، إلى الجمال، إلى كل ما يُجمِّل الحياة، إلى كل ما يبني الخراب، إلى كل ما يُرمِّم الأشياء المتهالكة والضعيفة، نحن نريد أن نُكثِّر هذه القلة، وكل مَنْ يريد أن يُكثِّر هذه القلة، عليه أولًا أن ينضم إليها إذا لم يكن منها، لماذا تدَعهم وحدَهم؟ كَثِّر القلة المؤمنة العاملة للخير.

**الخير للجميع:**

أقول أيُّها الإخوة: أنا والله لا أعادي أحدًا من أجل شخصه، ولا أعادي بلدًا من أجل ذاته، ولا أعادي جماعة من أجل أفرادها، أبدًا والله، ليس بيني وبين أحد أي عداوة أبدًا، أنا مع النَّاس جميعا، كل الناس، حتَّى غير المسلمين أنا معهم، لأني أتمنى أن يهديهم الله إلى أصلح ما يجعل الإنسان سعيدًا، الإسلام يريد للناس الخير، حين يريد لهم أن يسلموا.

ونحن لا نريد أن نتملك النَّاس أو نستكبر عليهم، ولكن نريد أن ننشر الحق والخير في الأرض، وبين النَّاس جميعا، نريد أن يكون العدل لكل الناس، للضعفاء والأقوياء، وللفقراء والأغنياء، لا أن يستأثر الأقوياء بالمنافع وبالخيرات، ولا يدعون للفقراء والضعفاء إلَّا الفتات، ولعل

QaradawiBooks.com

الفتات لا يصيبهم، أحيانا يرمون الفتات في صناديق القمامة، يبخلون به على الفقراء والضعفاء، نحن لا نريد ذلك أيُّها الإخوة.

هذا ما أحببت أن أقوله، والله ما كنت أقصد أن أقول هذا الآن، ولكنِّي أقول ما في نفسي، فليس عندي شيء أحاسَب عليه، ومستعدٌّ أن أقف أمام أي محكمة لتحاكمني، ليس في قلبي شر لأحد، لست حقودًا على أي أحد، مسلمًا كان أو غير مسلم، طيبًا كان أو خبيثًا، برًّا كان أو فاجرًا، أنا مع النَّاس كل الناس، أريد الخير للناس جميعا، هذا ما أحببت أن أقوله في تقديمي لخطبة اليوم.

## الاستكبار والمستكبرون:

اعتدنا في السنوات الماضية أن تكون خطبة الجمعة موضوعًا من موضوعات القرآن الكريم، وخطبة اليوم عن الكبر والاستكبار والمستكبرين في القرآن الكريم، نريد أن نتحدث عن المستكبرين الَّذين ينتفخون في أنفسهم، ويتضخَّمون حتَّى يُخيَّلُ لأحدهم أنَّه أصبح كالجبل، يستكبر على الناس، يعتبر نفسَه كبيرًا عظيمًا، والناسَ من حوله صغراءَ حقراءَ.

هؤلاء المستكبرون لا يسعدون في دنيا، ولا يسعدون في آخرة، فهم عندهم هذا الخلق السيئ، خلق الكبر، ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦]، يقول ابن عباس: في صدورهم عظمة لا يبلغونها[(١)]. ليسوا أهلًا لهذه العظمة، يظنون أنفسهم كبراء، وليسوا كذلك.

(١) تفسير الوسيط للواحدي (١٨/٤). تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

حينما يستكبر الفرد يأخذ ما عند النَّاس ويضيفه إلى نفسه، يعتبر نفسه هو الشعب، كما قال أحد أباطرة فرنسا: أنا الشعب، أنا الدولة. وكما قال خديوي مصر لأحمد عرابي باشا؛ حينما ثار بجنوده عليه: ماذا تريدون؛ إن أنتم إلَّا عبيد إحساناتنا؟ هكذا ينظر الخديوي إلى نفسه، أنَّه صاحب المُلك، وكل النَّاس عبيد عنده، هذا شأن المستكبرين.

الكبر خلق من الأخلاق الذميمة الَّتي يبغضها الله تعالى، ويبغضها رسوله، ويبغضها المؤمنون، نحن عندنا أعمال نسميها أعمال القلوب، وأعمال أخرى نسميها أعمال الجوارح، وهناك معاصٍ تدخل في أعمال الجوارح، ومعاصٍ تدخل في أعمال القلوب، ولكن الذنوب الخطرة هي ذنوب القلوب، وأقل منها خطرًا ذنوب الجوارح.

### معصية أبينا آدم:

وقد كانت معصية أبي البشر آدم عليه السلام من معاصي الجوارح، أكل من الشجرة الَّتي نُهِي عنها، قال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. أباح له كل الأشجار في الجنَّة عن يمين وشمال، ومن كل الأصناف والألوان والطعوم، إلَّا شجرة واحدة، وما زال الشيطان اللعين به حتَّى جعله يأكل منها بالوسوسة والقسم، ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ۞ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠، ٢١]، ولم تكن عند آدم خبرة بعمل الشياطين وأباطيلهم؛ فانخدع بكلامه، ولكن هذا أمر سهل بالنسبة لما هو أعظم.

QaradawiBooks.com

**توبة أبينا آدم:**

وقد جعل الله لكل ذنب ممحاة تستطيع بها أن تمحوه وينتهي الأمر، هذه الممحاة هي التوبة، إذا تبت من ذنبك فقد غسلته وخرجت منه سليمًا، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، قال هو وزوجته: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. هكذا قال آدم عليه السلام فتاب الله عليه، كما قال القرآن الكريم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]. وانتهت القضيَّة بذلك.

**موقف النصارى من معصية آدم:**

لكن المسيحيين جعلوا معصية آدم هي مشكلة البشريَّة جميعًا، انظر كم بيننا وبين آدم عليه السلام من سنوات لا نعلم عددها؟ يقول اليهود: إنَّها سبعة آلاف سنة. لكنها أكثر من ذلك بكثير، ولا يعلم عددها إلَّا الله، كيف نحمل ذنبًا لم نفعله، ولم نحضره، بيننا وبينه آلاف السنين أو أكثر؟ هل يتحمل الإنسان ذنب أبيه؟

لا يتحمل الأب ذنب ابنه، ولا يتحمل الابن ذنب أبيه، ربَّما يحمل الأب بعض ذنب ابنه لأنَّه لم يحسن تربيته، أو قصَّر في تأديبه، لكن كيف يحمل الابن ذنب أبيه، وقد يكون بينه وبينه آلاف، أو عشرات الآلاف، أو مئات الآلاف من السنين؟ لا يحمل أحد ذنب آخر، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، فكيف إذا كان هذا الذنب قد تاب صاحبه؟ فإذا تاب الإنسان من الذنب انتهى الذنب، «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»(١)، كأنه لم يفعله قط، وقد تاب آدم عليه السلام من ذنبه.

---

(١) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٥٠)، والطبراني (١٠/١٥٠)، والبيهقي في الشهادات (١٠/١٥٤)،

QaradawiBooks.com

لكننا نجد هذا الأمر مشكلة عند المسيحيين الَّذين يظنون أنَّ البشريَّة كلها تحمل خطيئة آدم، وأنَّهم يظلون هكذا حتَّى يأتي مُخَلِّص للبشر، وأنَّ سيِّدنا عيسى جاء مُخَلِّصًا للبشر، وكأن ذنب آدم ذنب عظيم، مع أنَّه ذنب بسيط، أكل من الشجرة، والقرآن يقول: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]. فكيف اعتبروه مشكلة البشريَّة؟

## الكبر معصية إبليس:

أقول أيُّها الإخوة: ذنب آدم من الذنوب الصغيرة؛ لأنَّه ذنب جارحة، من ذنوب البدن، أمَّا الذنب الكبير فعلًا فهو ذنب إبليس؛ لأنَّه من ذنوب القلوب، فماذا فعل إبليس؟ حينما خلق الله تعالى آدم وسوَّاه، ونفخ فيه من روحه، وقال للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. تحية لهذا المخلوق الَّذي خلقه الله بيديه؛ ليكون صاحب رسالة جديدة، هذا المخلوق الَّذي كرَّمه الله، وكرَّم ذريته بعد ذلك.

أمر الملائكة أن يسجدوا له، وكان إبليس ضمن الملائكة، لم يكن منهم كما قال القرآن: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]. ولكنَّه عاش مع الملائكة آلاف السنين، بحيث يعتبر أن ما يؤمر به الملائكة يكون الأمر موجَّهًا إليه، ونحن نقول: مَنْ عاشر القوم أربعين يومًا صار منهم. وهذا عاش بينهم مدة طويلة. فلمَّا وُجِّه الأمر للملائكة بالسجود لآدم ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١]، فسأله الله تعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٥، ٧٦].

---

وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٨)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

إذا كنت أيُّها الشيطان اللعين تعرف أنَّك مخلوق لله، فلماذا لم تسجد استجابة لأمر خالقك؟ وما أدراك أنَّ النَّار خير من الطين؟ ثمَّ أنت مأمور من الخالق وهو الَّذي يملك الأمر، ولكن استكبر عن الامتثال للأمر، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. الاستكبار هو الَّذي منعه أن يسجد لله تحيَّة لآدم عليه السلام، فذنب إبليس هو الاستكبار، وهو من ذنوب القلوب.

## أمراض القلوب:

احذروا ـ أيها الإخوة ـ من ذنوب القلوب، يمكن أن تتوب وتستغفر من ذنب الجوارح، لو سرقت، أو زنيت، أو شربت الخمر.. سرعان ما ترجع عن هذا إلى الله، ولكن المشكلة أن يكون عندك رياء أو حسد أو كبرياء، أو نحو ذلك، سيظل هذا يأكل قلبك كما تأكل النَّار الحطب، يوقعك في بلايا بعد بلايا، ومصائب بعد مصائب، وكوارث بعد كوارث، فاحذر من الكبرياء، الاستكبار هو المعصية الأولى الَّتي جرَّبها الناس، وأوْدت بهم إلى مصائر السوء في الدُّنْيا والآخرة.

## أنواع الاستكبار:

والاستكبار أنواع، هناك مَنْ يستكبر على الله، وهناك مَنْ يستكبر على رسل الله، وهناك مَنْ يستكبر على خلق الله.

هناك مَنْ يستكبر على الله؛ مثل إبليس الَّذي تمرَّد على ربه، ورفض أمره، ولذلك كان من الكافرين.

أحيانًا يرتكب الإنسان المعصية ولا يكون كافرًا، لأنَّه يظل يعترف

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بأنَّ الله هو صاحب الخَلْق والأمر، من حقِّه أن يأمر وينهى، ويحلِّل ويحرِّم، وإذا وقعت منه معصية يقول: يا ربِّ أذنبت فتبْ عليَّ، أمَّا إبليس فأبَىَ ذلك، وهذا استكبار على الله ﷻ.

وقد حكى لنا القرآن عن النَّاس الَّذين يستكبرون على الله، ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]، استكبر فرعون على الله، واستكبر على رُسل الله أيضًا، قال: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]. هذا استكبار على رسل الله.

وهناك استكبار على خلْق الله، كما في الحديث الَّذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يدخل الجنَّة مَنْ كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كِبْر**».

سمع ذلك أحد الصحابة فقال: يا رسول الله، إنِّي رجل أولعت بالجمال في كل شيء، أحب أن يكون ثوبي حسنًا، ونعلي حسنًا؛ فهل هذا من الكِبْر يا رسول الله؟ يحب الأناقة، يحب أن يلبس أحسن الثياب، ويتعطَّر بأحسن عطر، وأن تكون هيئته جميلة، فقال ﷺ: «**إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، الكِبْرُ بَطَرُ الحق، وغمْطُ الناس**»(١). إنَّ الله يحب الجمال، وهذا من الجمال.

## الجمال في القرآن:

وقد ذكر القرآن الجمال في السماء: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥]، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وذكر الجمال في الأرض، الجمال في النبات، كما قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [ق: ٧]، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]. ذات بهجة: أي ذات حسن وجمال.

وذكر جمال الحيوانات، كما قال عن الإنسان حين يرعى بالجمال والغنم: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]. حين تسوق القافلة أمامك فيها الإبل والأبقار والأغنام، تروح بها وتغدو، تقول: ما أجملها. لو رأيتها لوحة لأعجبت بجمالها، فكيف لو رأيتها حيَّة؟

كما ذكر القرآن جمال الإنسان: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨]، ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤]، وهكذا أيُّها الإخوة، «**إنّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكِبْر بَطَرُ الحقِّ، وغمْط النَّاس**».

ما معنى بَطَر الحق، وغمْط الناس؟ إن شاء الله في الجمعة القادمة نستكمل هذا الموضوع، فنحن بدأنا فيه، وهو موضوع يستحق أن نعرفه حقَّ المعرفة، فإلى الجمعة القادمة إن شاء الله. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى؛ إنَّه سميع الدعاء.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

جرت عادتنا أن نخصص الخطبة الثانية لأحوال المسلمين، وأحوال المسلمين في العالم لا تَسُرُّ حبيبا، ولا تسوء عدوًّا، حيثما ذهبت ببصرك أو بسمعك لترى أو تسمع الأخبار: لا ترى شيئًا يسرُّك في حياة المسلمين إلَّا القليل، ولا تسمع شـيئًا يُعجبك في أمور أمَّة الإســلام إلَّا القليل، ولكن معظم ما يأتي من بلاد المسلمين يملأ القلب حسرة وحزنًا، على ما يجري في ديار الإســلام، وعلى أمَّة الإســلام! هكذا كُتب على هذا الجيل، لا نكاد نفرح إلَّا ونحزن.

**ثورات الربيع:**

فرحنا بما حدث لبلاد الربيع العربي: تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، خمسة بلاد قامت فيها ثورات عربيَّة عظيمة، قامت الشعوب تقاوم الظلمة الفَجَرة المستبدِّين الَّذين يأكلون أموال النَّاس بالباطل، يســتبيحون الدماء والأمــوال والأعــراض، قامت الشــعوب وهي لا تملك سلاحًا ولا مالًا، كما تملك هذه الأنظمة، قامت تقاوم هذا الاستبداد الأعمى.

واستطاعت الشعوب أن تنتصر على هذا الاســتبداد والطغيان، لأنَّ الشــعوب معها الله، ومعها الحق، وليس هناك مَنْ هــو أقوى منه، ليس هناك أحد يقول: أنا أقوى مــن الله. مَنْ أنت؟ والحق أقوى من كل باطل في الدنيا، ولذلك انتصرت هذه الشــعوب، انتصرت أربع دول، وكادت الدولة الخامسة أن تنتصر.

QaradawiBooks.com

**الكيد للثورات:**

ولكن التفَّ أهل الباطل الَّذين سعى بعضهم مع بعض، وآذن بعضهم بعضًا، ووشــوش بعضهم في أذن الآخر، تآمروا بليل على هذه الصحوة المنتصرة، على هذه الدعــوة الجديدة الَّتي قادت الأمَّــة، أصبح النَّاس أحرارًا في ديارهم، يقول كل أحد منهم ما يشاء، ويفعل ما يشاء، لا يؤخذ من بيته إلى مكان لا يعلم أين هو؟ ولا يعرف أهله وأقاربه أين هو؟

**الانقلاب في مصر:**

هذا ما حدث في البلاد الأربعة، ولكن البلد الأكبر ـ مصر ـ لم يدعوا رئيسها المنتَخَب شرعًا يكمل ســنة واحدة، أخذوه واختطفوه، ووضعوه حيث أرادوا، انتصرت القوَّة المسلحة على الشعب الأعزل، وعادوا بالأمَّة إلى حيث كانت، كأنَّ هذا الشــعب لم يُقدِّم المئــات والآلاف من أجل حريته طوال ستين سنة.

بعض النَّاس يظنُّ أنَّ الشعب المصري يقبل الذل والهوان، وهذا غير صحيح؛ فهو شعب لا يقبل بهذا الذل ولا الهوان، ولكنَّه صبر على هذا ستين عامًا: حكم فيها عبد الناصر، والســادات، ومبارك، حتَّى قام هذا الشعب بثورته العظيمة الَّتي تُعتبر ثورة مُعلِّمة للعالم.

انتصر الشعب على حســني مبارك الَّذي نتَّهمه بشدَّة الغباء، والذي كان نائبًا للســادات، ولم يجد مبارك من هو أغبى منه ليختاره نائبًا له، حكم هذا الرجل مصر ثلاثين سنة، ولم يكتفِ بهذه الثلاثين، بل أراد أن تكون مصر (عزبة) يرثها أبناؤه، ولم يكن من أبناء الملوك أو الأمراء، أو الباشوات أو الأغنياء، لكنَّه أراد أن يظل هذا الأمر في ذُرِيِّته.

QaradawiBooks.com

ولكن الله تعالى نصر المصريِّين، أناب حسني مبارك المجلس العسكري ليحكم بدلًا منه، فظل المجلس العسكري يعمل في مكر وخفية، طبعًا الحديث عمَّا جرى في مصر، وما يجري، وما يتوقع أن يجري فيها يحتاج إلى أكثر من خطبة.

استطاع المجلس العسكري أن يمكر مكره، وصبر على مُحَمَّد مرسي سنة واحدة، لم يتمكن فيها من شيء، كان وزير الدفاع ووزير الداخليَّة يحرصان على أن يظن الرئيس بهما خيرًا، وما بهما من خير، كانا يعملان ضده، حتَّى انقلبا عليه، ولا زالا إلى اليوم.

ونحن ننتظر أن هؤلاء الَّذين غدروا بمحمد مرسي، ومكروا به، وافتروا عليه أنَّهم لن يفلحوا أبدًا، لأن الله قال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]. وهؤلاء افتروا وكذبوا، ولا زالوا يكذبون، وظلموا ولا زالوا يظلمون، والله يقول: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]. وتَجبَّروا في الأرض، والله تعالى يقول: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]. ننتظر النقمة تنزل بهؤلاء.

كان هناك مسلمون.. فكَّروا وقدَّروا وقرَّروا ـ للأسف ـ أن يقتلوا مسلمين آخرين من حولهم، من بلاد العرب، قرَّروا أن يدفعوا المليارات وراء المليارات؛ ليقتلوا أناسًا بغير حق، ليعزلوا حاكمًا اختاره الشعب في مصر اختيارًا حرًّا بالانتخاب، ويأتوا مكانه بحكم العسكر.

وحكم العسكر ليس هو الحكم الَّذي تريده الشعوب، إنَّ الشعوب تريد أن تحكم أنفسها بأنفسها، أمَّا حكم الجنود فلا تريده، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۞ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج: ١٧، ١٨]، سمَّى القرآن هؤلاء الجبابرة المستكبرين في الأرض بغير الحق الجنود، العساكر.

QaradawiBooks.com

وكان مع هؤلاء العسكر آلاف الملايين من أموال الشعب، أخذوها دونه، لم يقاسمهم الشعب فيما أخذوه، وهذا ظلم، لم يكفهم هذا، وإنَّما أرادوا أن يظلوا يحكمون الشعب، ويكذبون على الناس، ويضحكون عليهم، ثمَّ سلبوا النَّاس كلَّ حريَّاتهم، كل مظاهر الشورى والديمقراطية، وكل مظاهر الكرامة الإنسانيَّة، والعدالة الاجتماعية، لم يعد كل هذا موجودًا في مصر الآن.

عندما حكم هؤلاء الَّذين فعلوا ما فعلوا في المسلمين: اضطر الكثيرون أن يفروا تاركين ممتلكاتهم وأموالهم، ولم يحملوا معهم إلَّا ما يستطيع المرء أن يحمله من ملابس ونحوها.

يحدث هذا والمسلمون صامتون، أين أمَّة الإسلام؟ الإسلام يأمر الأمَّة أن يدافع بعضها عن بعض، لا أن يقاتل بعضها بعضًا، النبي ﷺ في حجة الوداع قال: «**لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1]. لا يجوز أبدًا أن يقاتل بعضهم بعضًا، ولا أن يُتركوا يفعلون ذلك، أين الجامعة العربيَّة؟ أين مُنظَّمة التعاون الإسلامي؟ أين الأمم المتحدة؟

تصوروا حدثت بعض المقاتل في أوكرانيا، فثار العالم الغربي وهاج، مع أنَّ الَّذين قتلوا عشرات، أعداد قليلة جدًّا، وليست آلافًا كالَّذين قتلوا في ميدان (رابعة العدويَّة) وما حوله، غير الَّذين جُرِحوا وعُوِّقوا، والَّذين أُخذوا إلى السجون، فهم أضعاف ذلك.

رغم ذلك لم يثر أحدٌ للمسلمين كما ثار هؤلاء في الغرب لإخوانهم، لأنَّ أمَّة الإسلام متفرقة، لا توجد بينها وحدة كما أراد الله لها أن تكون، ﴿**إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿**وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ**﴾ [المؤمنون: ٥٢]، أمة كما قال النبيُّ ﷺ:

---

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

«**المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنْيَانِ يشــدُّ بعضُه بعضًا**»[١]. وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف: ٤]. هكذا ينبغي أن تكون الأمَّة، ولكن أمَّة الإسلام ضائعة، نرى بعضها يتفرَّج على بعض، ولا يملك أن يصنع شيئًا، هذا ما يجري في مصر.

## اضطهاد المسلمين في إفريقيا الوسطى:

ثم هناك إخوان لنا في إفريقيا الوسطى، هم أقلية مسلمة، يقدرونهم بأكثر من (١٥٪)، ولكن أبت جماعة (بلاكا) أن يبقى هؤلاء في إفريقيا، وفعلوا بهم الأفاعيل الَّتي ليس فيها شيء من الرحمة، ولا من الإنسانيَّة، فظائع ارتكبها هؤلاء في حقِّ المســلمين، ممَّا اضطرهم أن يهجروا العاصمة، وخرجوا من بلادهم الَّتــي هم فيها، عشــرات الآلاف ذهبــوا إلى تشــاد، والكاميرون، والنيجر، ونيجيريا، والسنغال، وغيرها، ومعظمها بلاد إسلاميَّة.

هؤلاء المســلمون يُقتَلــون ويُهجَّــرون، ويُهاجَــم المَهجَّرون بكل الأسلحة، وسائر المسلمين لا يفعلون شيئًا، أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة مُحَمَّد ﷺ عددها مليار وسبعمائة مليون، وهم أكثر من ذلك، فهم يقللون عدد المسلمين، لكن هذا العدد يسكت عن قتل هؤلاء، هذا ما يجري في إفريقيا الوسطى الَّتي يحيطها عدد من البلاد الإسلاميَّة.

## التآمر على المسجد الأقصى:

وهناك القدس الَّتــي يتآمر عليهــا المتآمرون، يريــدون أن يأخذوا المســجد الأقصى، ويلاعبوننا، ويعبثون بنا وبأمَّتنــا الكبرى، يقتحمون

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

المسجد الأقصى، ويحفرون تحته ويبنون ما يبنون، ولا ندري إلى متى يتحمل المسجد هذه الحفريات؟ وهم لا يكتفون بذلك، يريدون أن يقسموا المسجد الأقصى مكانيًّا وزمانيًّا، بعضه للمسلمين، وبعضه لليهود، وبعض الأوقات لكل منهما كما فعلوا في المسجد الإبراهيمي، وظنوا أنَّ المسجد الأقصى كالمسجد الإبراهيمي.

ولكن أقول لهؤلاء، وأقول للأمة المسلمة كلها: لا يمكن أن تفرِّط الأمة في المسجد الأقصى، إذا فرَّطت الأمة في المسجد الأقصى تفرِّط في المسجد الحرام، وقد ذكرهما الله تعالى في آية واحدة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

إذا فرَّطنا في المسجد الأقصى نوشك أن نُفرِّط في المسجد النبوي، وأن نُفرِّط في المسجد الحرام، وأن نُفرِّط في الأمَّة كلها: في دمائها، وأعراضها، وحرماتها. حرام علينا يا مسلمون أن نظل مفرطين في المسجد الأقصى، على الأمَّة أن تتنبه لهذه المصيبة، لهذه الكارثة الَّتي تحيط بها في كلِّ مكان وفي كل وقت، وهي لا تزال غافلة عما يُدبَّر لها، إذا ظللنا على ذلك فسنفاجأ في يوم، وقد دخلت جيوش اليهود مسجدنا الأقصى، وحينها سنصرخ وقت لا ينفع الصراخ.

يا أمَّة الإسلام، يا أمَّة القرآن، يا أمَّة مُحمَّد ﷺ: اذكروا ربكم، واذكروا دينكم، واذكروا موقعكم، واذكروا ما أنتم مُكلَّفون به، اذكروا ما فرضه الله علينا، والله لن يعيش أحد أكثر من عمره، الميت يموت في وقته، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. فلماذا نخاف؟ ينبغي ألَّا نخاف من شيء، وينبغي أن نعلن بأعلى ما يمكن من

QaradawiBooks.com

أصواتنا إلى حكامنا الَّذيــن يقاتل بعضهم بعضًا، والَّذين يتنافســون على الدنيا، وإن لم تزل الدُّنْيا عنهم زالوا هم عنها.

**هــبِ الدُّنْيا تُســاقُ إليــكَ عَفْوًا    أليــس مَصِيــرُ ذاك إلــى انْتِقَالِ**
**ومــا دُنْـيَــاكَ إلَّا مِـثْـلُ ظِـلٍّ    أظـلَّـكَ ثُـمَّ آذَنَ بـالـزَّوَالِ**(١)

أســـألُ الله تعالى أن يُهيِّئ لهذه الأُمَّة من أمرها رشدًا، وأن ينصرها على عدوِّهِ وعدوِّها.

* * *

(١) عزاهما بلفظ مقارب ابن أيدمر المستعصمي إلى أبي العتاهية في الدر الفريد وبيت القصيد (٩/١١)، تحقيق د. كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م، والبيت الأول في ديوان أبي العتاهية ٣٣٨، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م. وهما بلفظهما في إحياء علوم الدين (٢٠٨/٣).

QaradawiBooks.com

# ٥

# الإسلام دعوةُ سلامٍ وإخاءٍ وتسامح(١)

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

**المشاركة في مؤتمر الإسلام والتفاهم بين الديانات والشعوب:**

كان المفروض أن أُحَدِّثكم عن ذكرى الهجرة النبويَّة بمناسبة حلول العام الهجري الجديد، ولكنَّ الهجرة وحديثها أمرٌ معروف لديكم، وطالما تَحَدَّثنا فيه، وطالما استمعتم إلى أحاديث الهجرة وعِبَرها ودروسها.

ولهذا رأيتُ أن أُحَدِّثكم اليومَ عن ذلك المؤتمر الَّذي شاركتُ فيه في مدينة موسكو الَّتي أزورها لأوَّل مرَّة بعد أن انهدمت خيام الشيوعيَّة هناك، وبعد أن تنفس الناس أجواء الحرية وأصبح هناك انفتاح واستطاعة لأن يقيموا مثل هذا المؤتمر، مؤتمر (الإسلام والتفاهم بين الديانات والشعوب في العالم المُتغَيِّر).

شارك في هذا المؤتمر مؤسَّسات شتَّى من البلاد الإسلاميَّة، وشارك فيه الأزهر ووزارة الأوقاف المصريَّة، ووزارة الأوقاف الكويتيَّة، وجمعيَّة

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، سنة ١٩٩٥م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قطر الخيريَّة، وعدد من الشخصيَّات الإسلاميَّة من عددٍ من البلاد الإسلاميَّة، كما شارك فيه بعض المستشرقين، وبعض النصارى، فالمؤتمر ينعقد بتعاون عدَّة جهات، بعضُها إسلامي، وبعضها غير إسلامي.

**الإسلام دعوة سلام:**

وقد رحَّبنا بهذا المؤتمر؛ فالإسلام لا يضيق ذرعًا بالدعوة إلى السلام، والدعوة إلى الإخاء العالمي، والدعوة إلى التسامح والتفاهم بين الشعوب والديانات المختلفة.

الإسلام دينُ سلام، بل إنَّ كلمة الإسلام نفسها مشتقَّة من مادَّة السلام، وأحيانًا يُعبَّر عن السلام بالسِّلْم، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. والمراد بالسِّلْم في الآية الإسلام؛ لأنَّ الإسلام سلامٌ للنَّفْس، سلام للضمير، وسلامٌ في البيت، وسلامٌ في المجتمع، سلامٌ في العالَم، فالإسلام دعوة للسلام.

وتحيَّة المؤمنين بينهم: (السلام عليكم)، وتحيَّتهم يوم يلقون ربَّهم سلام، ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، والجنَّة دار السلام، ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ [الواقعة: ٢٥ ـ ٢٦]، ومن أسماء الله الحسنى السلام، ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ولهذا اشتهر المسلمون دون غيرهم بهذا الاسم الَّذي لا يوجد في أُمَّة أخرى (عبد السلام)، أي عبد الله، وحين يفرغ المسلم من صلاته يناجي ربَّه فيقول: «**اللهمَّ أنت السلامُ، ومنك السلامُ**»[1].

(١) رواه مسلم في المساجد (٥٩١)، وأحمد (٢٢٣٦٥)، عن ثوبان.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

## الإسلام لا يقاتل إلَّا اضطرارًا:

الإسلام دعوة سلام للناس، وإذا كان القتال قد فُرض في الإسلام فهو قد فُرض كَرهًا، ما كان يحبُّ المسلمون أن يقاتلوا أحدًا لولا أنَّ السيف شُهِر في وجههم، جاء المسلمون يقولون للناس: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الشورى: ١٥]. فقالوا: لا، لنا دِينُنا وليس لكم دِينُكم، ولنا أعمالنا وليس لكم أعمالكم. وأُوذِي المسلمون وعُذِّبوا، وأُخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ إلَّا أن يقولوا: ربُّنا الله. فكان لا بدَّ للإسلام من أن يدافع عن نفسه، ومن أجل هذا فُرض الجهاد، يقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. المسلمون لا يُحِبُّون القتال ولا سفك الدماء، يُسالمون من سالمهم، ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]، ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٩١].

المسلمون دعاةٌ إلى السلام، ولكنَّهم يخوضون الحرب ويتجرَّعون مرارتها دفعًا عن دينهم وحرماتهم وأرضهم وكرامتهم إذا لزم الأمر، فإذا لم يكن هناك قتال وانتهت الأمور دون قتال، فهذه نعمة يمتنُّ الله تعالى بها على المؤمنين.

في غزوة الخندق ـ غزوة الأحزاب ـ حينما جاءت قريشٌ وغَطَفانُ والأحابيش وأحاطوا بالمدينة إحاطة السوار بالمِعْصَم، وغدر اليهود وانضمُّوا إلى طائفة المُغيرين، ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠ ـ ١١]: أرسل الله على المشركين

QaradawiBooks.com

ريحًا وجنودًا لم يرها المسلمون، وكانت نتيجة ذلك أن عاد المشركون بخُفَّيْ حُنَيْن، لم يحصل قتالٌ ولم يبلغوا ما أرادوا، فامتنَّ الله بذلك على المؤمنين فقال: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]. كفى الله المؤمنين القتال، أهذه لهجة دين يرغب في سفك الدماء؟

وفي غزوة الحُدَيْبية حين انتهى الأمر إلى صلح بين الرسول ﷺ وبين المشركين، هدنة لمدَّة عشر سنوات، أنزل الله في ذلك سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. وسأل الصحابة الرسول ﷺ: أفتحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «**نعم إنَّه فتح**»[1]. وامتنَّ الله في هذه السورة على الرسول وأصحابه بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]. مفهوم أن يمتنَّ الله بكفِّ أيدي المشركين عن المؤمنين، ولكنَّه هنا امتنَّ أيضًا بكفِّ أيدي المؤمنين عن المشركين، وهذا هو السلام، انتهت القضيَّة بسلامٍ ولم يحدث فيها حربٌ ولا سفكُ دماء.

من أجل هذا نقول: إنَّ الإسلام ليس مُتعَطِّشًا للدماء كما يقول من يقول، إذا انتهى الأمر بسلام فمرحبًا به، وإلَّا فالقتال، ولذلك يقول النبيُّ ﷺ في الصحيحين: «**لا تتمنَّوْا لقاءَ العدوِّ، وسَلُوا اللهَ العافيةَ، ولكنْ إذا لقيتموه فاصبروا، واعلموا أنَّ الجنَّةَ تحت ظلال السُّيوف**»[2]. لا يتمنَّوْا لقاء العدوِّ، ولكن إذا اقتضت الظروف أن يلقوا عدوَّهم فلا بدَّ أن يصبروا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٥)، عن سهل بن حنيف.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد والسير، عن ابن أبي أوفى.

QaradawiBooks.com

ويثبتوا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وممَّا جاء عن النبيِّ ﷺ: «**أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدق الأسماء: حارس وهمَّام، وأقبح الأسماء: حربٌ ومُرَّةٌ**»(١). حتَّى لفظة (الحرب) مكروهة عند النبيِّ ﷺ، لا ينبغي أن يُسمِّي المسلم ابنه (حربًا) كما كانوا يُسمُّون في الجاهليَّة.

الإسلام يدعو إلى السلام، يمدُّ يده لكلِّ مسالم له، ولا يُعادي إلَّا من يعاديه، ولا يقاتل إلَّا من يقاتله، ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، إذا سالمَنا عدونا سالمناه، لكنَّنا نقول هنا: لا يمكن أن تكون هناك مسالمة مع عدوٍّ يغتصب الأرض، ويهتك العرض، ويسفك الدماء، ويُشَرِّد المسلمين من ديارهم، فهذه ليست مسالمة ولا جنوحًا إلى السلم، فالإسلام جاء بدعوة السلام إلى العالم كلِّه.

## الإسلام جاء بالإخاء والتفاهم بين البشر:

كما جاء الإسلام بدعوة الإخاء بين الشعوب كلِّها، كما قال النبيُّ ﷺ في حُجَّة الوداع: «**أيُّها النَّاس، إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، كلُّكم لآدم، وآدمُ من تراب**»(٢). كلُّكم تشتركون في العبوديَّة لربٍّ واحد، وفي البنوَّة لأبٍ واحد هو آدم، فلماذا يستعلي بعضُ الناس على بعض،

(١) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، والنسائي في الخيل (٣٥٦٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٠٤، ١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي. وعلَّل الإمام الخطابي قبح اسم «حرب» لما في الحرب من المكاره.

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (٥٦٤١)، عمَّن سمع خطبة النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

ويســتكبر بعضُهم على بعض، ويزعم بعضهم أنَّه أرقى عنصرًا أو أعلى عِرْقًا؟ وكلُّهم لآدم، كما قال الشاعر:

**إذا كان أَصْلِي من تــرابٍ فكلُّها بلادي وكلُّ العالَمِيــنَ أَقَارِبي**(١)

والله تعالى يقــول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجـرات: ١٣]. الخالــق واحد، ومادَّة الخلق واحــدة، إنَّما تتميَّز الأشـياء إذا تميَّز صانــع عن صانع، وتميَّزت مادَّة عن مادَّة، أمَّا إذا كانت المادَّة واحدة والصانع واحدًا فكيف يتميَّز بعضهم عن بعــض؟ ﴿إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، يعــرف بعضكم بعضًا، ويتفاهم بعضكــم مع بعض، ويتعاون بعضكم مع بعض، هذا ما دعا إليه الإسلام، جاء دعوة للتعارف والتفاهم والتعاون بين الشعوب بعضها وبعض على ما فيه خير الإنسانيَّة.

جاء الإســلام يعلن الإخاء البشــريَّ العامَّ، هناك إخاءٌ دينــيٌّ خاصٌّ بين المؤمنين، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]، «**المسلمُ أخو المسلم**»(٢)، وهناك إخاء بشــري عامٌّ، ليســت الإخوَّة هي الإخوَّة الدينيَّة فقــط، الله تعالى يقول: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا﴾ [الأعــراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗا﴾ [الأعــراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ [الأعراف: ٨٥]. وقال أيضًا: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشــعراء: ١٢٣ ـ ١٢٤]، ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤١ ـ ١٤٢]، ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشــعراء: ١٦٠ ـ ١٦١]. وهكــذا، فالنبــيُّ أخو قومه حتَّــى وإن كانوا مشركين، هذا إخاءٌ قوميٌّ.

---

(١) من شعر مصعب بن محمد الصقلي. انظر: خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب والأندلس صـ٢٢٣، تحقيق آذرتاش آذرنوش، نشر الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وهناك إخاء بشري كما جاء في الحديث الَّذي رواه الإمام أحمد عن زيد بن أرقم أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول دُبُرَ كلِّ صلاة: «**اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه، أنا شهيدٌ أنَّك الله وحدَكَ لا شريكَ لك، أنا شهيدٌ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُكَ ورسولُكَ، أنا شهيدٌ أنَّ العباد كلَّهم إخوة**»(١). كلُّ العباد إخوةٌ بعضهم لبعض.

هذه دعوةٌ من الإسلام للتفاهم بين الشعوب بعضها وبعض، والتفاهم بين الأديان بعضها وبعض، ما داموا لا يسلُّون على المسلمين سيفًا، لا يُشْهِرون عليهم حربًا، لا يأكلون لهم حقًّا، لا يَعْدُون عليهم بباطل؛ لا يُخرجونهم من ديارهم، لا يُظاهرون على إخراجهم، فالإسلام يمد إليهم يدَ المصافحة والسلام، هذا هو الدين العظيم الَّذي جاء به مُحَمَّد ﷺ.

وقد جاء الإسلام دعوةً للتسامح، جاء يُقِرُّ الأديان السابقة، خصوصًا الأديان السماويَّة، جاء يبني ولا يهدم، يجمع ولا يُفرِّق، يتسامح ولا يتعصَّب، يُطالِبُ أتباعه بأن يؤمنوا بكلِّ كتاب أُنزل، وبكلِّ نبيٍّ أُرسل، ولا يتمُّ الإيمانُ إلَّا بهذا، ﴿**ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]، هذا شأن المسلمين يؤمنون بكلِّ كتابٍ سبق، وكلِّ رسول سبق.

جاء الإسلام مُتَمِّمًا ومُصَحِّحًا للأديان السابقة، ولم يجئ ليهدمها من أصلها، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ**﴾ [المائدة: ٤٨]. فهو مُصدِّق ومُهَيْمن،

(١) رواه أحمد (١٩٢٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الصلاة (١٥٠٨)، والطبراني (٢١٠/٥)، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٥)، عن زيد بن أرقم.

QaradawiBooks.com

أي مُصَحِّح، يُصَحِّح ما فسد من الأديان، ويُقَوِّم ما اعوجَّ فيها، ويُتَمِّم ما نقص منها، كما قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق**»(١).

هذا هو الإسلام، دينٌ يمدُّ يدَه لكلِّ الأديان، وخصوصًا الأديان الكتابيَّة، اليهود والنصارى اعتبرهما القرآنُ أهل كتاب، أي أنَّهم في الأصل أهل كتابٍ سماويٍّ وإنْ حرَّفوا وبدَّلوا، فلهم معاملةٌ خاصَّة دون غيرهم، حتَّى إنَّه أجاز أكل ذبائحهم والتزوُّج من نسائهم: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

وهذه منزلة لم يرقَ إليها الناس في عصرنا، أن يتزوَّج المسلم غير مسلمة تكون له ربَّة بيتٍ وشريكةَ حياةٍ وأمَّ أولاد، وأن يُصبح أصهارُه من غير المسلمين، ويصبح أجدادُ أولاده وجَدَّاتهم وأخوالهم وخالاتهم وأولاد أخوالهم وأولاد خالاتهم من غير المسلمين، أيُّ تسامحٍ أعظم من هذا التسامح؟!

قلنا للفرنسيِّين: ليتكم ترتقون إلى المسلمين، بدل أن تمنعوا المسلمات من ارتداء الحجاب كونوا كالمسلمين الَّذين لم يحجروا على أحد لا فيما يجب عليه في دِينِه بل فيما هو مباح له في دينه؛ لأن الإسلام لم يحجر على النصراني أن يأكل الخنزير، أو أن يشرب الخمر، مع أنَّ هذا مُحَرَّم في الإسلام، حرَّم الإسلام الخنزير لأنَّه رجس، وحرَّم الخمر

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٢/٦١٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لأنَّهـا أمُّ الخبائث، وهي رجسٌ من عمل الشَّيْطان، ومع هذا لم يُضَيِّق على غير المسلمين فيما هو مباحٌ لهم في دِينِهم، ما داموا لا يُرَوِّجون ذلك بين المسلمين، بل قال الإمام أبو حنيفة: من أتلف خمرًا لنصرانيٍّ وجب عليه أن يغرم قيمتها؛ لأنَّ هذا مالٌ مُتقَوِّم عنده فيجب أن يضمنه ويدفع قيمته وثمنه[1]. أيُّ تسامح أعظم من هذا التسامح؟!

جاء الإسلام يتسامح مع أهل الكتاب، ويناديهم بهذا النداء الرقيق: يا أهل الكتاب. لم يناديهم بقوله: يا أيُّها الكفار. لأنَّ الإسلام يأمر بالجدال أو الحوار بالَّتي هي أحسن، يختار أرقَّ الألفاظ لمخاطبة غير المسلمين، فإذا خاطب اليهود والنصارى قال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]. وحينما خاطب المشركين لم يقُلْ لهم: يا أيُّها المشركون. وإنَّما قال: يا أيُّها الناس. فهذا خطاب للجميع ومنهم المشركون.

## التسامح الإسلامي وأسسه:

هذا هو الإسلام جاء سِلْمًا، وجاء بالتعارف، وجاء بالتسامح، وجاء بالإخاء الإنساني للناس جميعًا، ولأهل الكتاب خاصَّة، وللنصارى بوجهٍ أخصَّ.

ومن أسس هذا التسامح العجيب والرائع الَّذي لا نظير له في أيِّ دين من الأديان، هذا التسامح هو ـ كما قال شيخنا الشيخ محمد الغزالي ـ

(١) المبسوط للسرخسي، (٢٠/٢٤)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

ابتكار إسلامي، اختراع إسلامي، المسلمون هم الَّذين اخترعوا التسامح في العالم، ما كان أهل الأديان السابقة يعرفون التسامح، ما كانوا يعرفون معنى أن يسامحوا المخالفين لهم، بل كانوا يستحلُّون دماءهم وأموالهم وإن لم يصنعوا معهم شيئًا، هذا له أسس في الإسلام.

أوَّل هذه الأسس أنَّ الإسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان، يعترف بكرامة الإنسان، بغضِّ النظر عن لون عينَيْه، أو شَعْر رأسه، أو لون جلده أبيض كان أو أسود، مسلمًا كان أو غير مسلم، عربيًّا كان أو أعجميًّا، يقطن الشرق أم يسكن الغرب، الإنسان من حيث هو إنسان مُكرَّم في نظر هذا الدِّين، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فمن حيث هو آدميٌّ له كرامة أيًّا كان دينُه وأيًّا كان مذهبُه.

وقد روى الإمام البخاريُّ أنَّ النبيَّ ﷺ مرُّوا عليه بجنازةٍ فقام لها واقفًا، إكرامًا للمَيِّت، فقالوا: يا رسول الله، إنَّها جنازة يهودي! فقال ﷺ: «**أليست نفسًا؟!**»(١). بلى هي نَفْس، ولكلِّ نَفْسٍ في الإسلام حرمة ومكان، فما أروع الموقف، وما أروع التعبير، «**أليست نَفْسًا؟!**»، هذا هو الأساس الأوَّل للتسامح في الإسلام: احترام الإنسان وكرامته من حيث هو إنسان.

الأساس الثاني للتسامح أنَّ اختلاف النَّاس في الأديان واقع بمشيئة الله تعالى، وما شاء الله فلا رادَّ له، ومشيئته سبحانه مُتَعَلِّقة بحكمته لا تنفكُّ عنها، فهو لا يشاء إلَّا ما فيه الحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، اختلاف الناس في أديانهم واقع بمشيئته، يقول الله تعالى:

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

QaradawiBooks.com

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. قال بعض المُفسِّرين: أي لهذا الاختلاف خلقهم[1]. لأنَّه لو شاء لخلقهم نوعًا آخر مفطورًا على الطاعة مثل الملائكة، أو لا عقل له ولا إرادة مثل البهائم، أمَّا وقد أعطاهم الله العقل والإرادة ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]؟ لا، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. فممَّا يُريح نفس الإنسان المسلم حينما يرى هذا يهوديًّا، وهذا نصرانيًّا، وهذا وثنيًّا، إلى آخره ـ يعرف أنَّ هذا واقع بمشيئة الله تعالى.

الأساس الثالث للتسامح أنَّ المسلم ليس مسؤولًا عن ضلال الضالِّين وكفر الكافرين في هذه الدُّنْيا، إنَّما أمرُهم إلى الله في الآخرة، يوم يحكم الله بين المختلفين، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨ ـ ٦٩]، ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

الحكم بين الكفَّار والمسلمين وبين الضالِّين والمهتدين إنَّما هو لله، وليس في هذه الدُّنيا ولكن يومَ القيامة، ولذلك أمر الله رسوله أن يقول للمشركين: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]. وهذه قضيَّة أخرى تريح ضمير الإنسان المسلم.

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١٥/٩)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

وأساسٌ رابعٌ للتسامح في الإسلام أنَّ الله تعالى يحبُّ العدل مع أيِّ امرئ كان، مسلم أو غير مسلم، ويكره الظلم لأي إنسانٍ كان، مسلم أو غير مسلم، لا يحب الله تعالى الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين، على من وقع ظلمهم، لا يهم هذا، الظلم مكروه عند الله، والعدل مطلوب عند الله، ولو كان مع غير المسلم، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾ [المائدة: ٨]. أي لا يحملنكم بغض قوم لكم أو بغضهم لكم، بل الشنآن شدَّة البغض وشدَّة العداوة، ومع شدَّة عداوتهم لكم وشدَّة بغضكم لهم أو بغضهم لكم لا ينبغي أن تُفكِّروا إلَّا في العدل، ولا تحكموا إلَّا بالعدل، ولا تتصرفوا إلَّا بالعدل، فالعدل مطلوب مع من تحبُّ، والعدل مطلوبٌ مع من تكره، ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

من أجل هذا اشتهر عدل المسلمين مع غير المسلمين، حتَّى إنَّ بعض قضاة المسلمين منهم من حكم لصالح يهوديٍّ ضدَّ الأمير أو ضدَّ الخليفة، ومنهم من حكم لصالح نصرانيٍّ؛ لأنَّ عدل الله للجميع، وعدل الإسلام هو عدل الله، الله ربُّ الجميع، وعدله للجميع، ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء: ٥٨]، لم يقل: بين العرب، ولا بين المسلمين. وإنَّما قال: بين الناس.

## عالم اليوم في حاجة إلى التفاهم:

هذه أسس التسامح الإسلامي الفريد الَّذي لم ترَ الدنيا مثله، فلهذا نرى الإسلام هو في قمَّة الأديان الَّتي لا ترى مانعًا أبدًا من التسامح

QaradawiBooks.com

والمسالمة والتعارف والتفاهم بين الأديان والشعوب في هذا العالم المُتَغَيِّر، هذا العالم الَّذي يصفه بعض الأدباء بأنَّه قرية كبرى، والواقع أنَّه أصبح قرية صغرى، ليس مُجَرَّد قرية كبرى كما كان من قبل، فقد أصبح قرية صغرى، ضاقت فيه المسافات حتَّى أصبح الناس كأنَّهم يعيشون في قرية صغيرة، ما يحدث في أقصى العالم تعرفه بعد لحظات، تأتيك الأخبار بالراديو، بالتليفزيون، بالهاتف، بالفاكس، بوكالات الأنباء، ما يحدث في العالم كُلِّه يمكن أن ينتشر الخبر به بأسرع من البرق، أليس هذا العالم أصبح قرية صغيرة؟

هذه القرية الصغيرة لم يعد ممكنًا لأحدٍ أن يعيش فيها وحده، وأن ينعزل عن العالم، ولا يمكن لأحدٍ أن يُشهر سيفه في وجه العالم كُلِّه، هذا العالم يحتاج إلى أن يتعارف أبناؤه ويتفاهموا على أن يكون هذا التعارف من أجل الحقِّ والعدل، لا من أجل الظلم والباطل.

**واقع العالم اليوم ودعمه لدولة الصهاينة المعتدين:**

للأسف نرى هذا العالم اليوم رغم تقارب مسافاته وبعد أن أصبح قرية صغرى لا زال هناك بعض الناس يستعملون القوَّة والجبروت في فرض الباطل على الآخرين، هذا ما رأيناه في اتفاقيَّة انتشار الأسلحة النوويَّة، أُعفيت إسرائيل من هذا الأمر ولم تُذْكَر بأي سوء، وطلب إلى العالم كُلِّه أن يُوَقِّع على هذه الاتفاقيَّة.

ورأينا هذا في قضيَّة القدس ـ والحقُّ فيها واضح ـ والأراضي المُصَادَرة والهكتارات الَّتي تضمُّها إسرائيل بالحديد والنَّار، وتغتصب الأرض من أهلها لتقيم عليها مستوطنات لليهود، وما كان لليهود شيءٌ في القدس، لقد اشترط النَّصارى على أمير المؤمنين عمر بن

QaradawiBooks.com

الخطّاب رضي الله عنه يوم دخل القدس ألّا يُساكنهم فيها اليهود، ما كان أهل القدس يريدون فيها يهودًا، ثمَّ تسلَّل اليهود في عهد الانتداب البريطاني، وأصبحوا قلَّة قليلة، ثمَّ امتدُّوا وامتدُّوا وانتشروا وانتشروا وأصبحوا الآن يملكون أغلبيَّة عدديَّة وأغلبيَّة مساحيَّة، ثمَّ لا يكتفون بهذا، يريدون أن يضمُّوا الأرض بعد الأرض بالقوَّة.

ثمَّ حدث الصراخ والضجيج والعويل من العرب ومن الفلسطينيِّين ومن المسلمين هنا وهناك، وأرادوا أن يعقدوا قمَّة مُصَغَّرة، ثمَّ جمَّدت إسرائيل قرارَ ضمِّ الأراضي، جمَّدته، علَّقَتْه، لم تُلْغِه، ولم تُجَمِّدْه من أجل صراخ العرب والمسلمين، لا، جمَّدته لأنَّ هناك أصواتًا للأحزاب العربيَّة داخل إسرائيل أرادت أن تُغَيِّر موقفها وتنضمَّ إلى حزب الليكود بدل حزب العمل، ويمكن بهذا أن يضيع الحكم من رابين وجماعته، فمن أجل هذا جمَّد رابين وحزبه قضيَّة القدس وضمِّ الأراضي بالقوَّة، ليس من أجل صراخنا وضجيجنا وعويلنا، وهو تعليق مؤقَّت يمكن في أيِّ لحظة أن يعود؛ لأنَّ رابين قال: هذا أمرٌ مُنْتَهٍ، وهذه مسألة داخليَّة، والقدس المُوَحَّدة بلدنا، وهي العاصمة الأبديَّة لشعب إسرائيل. هذا ما قاله رابين منذ اتِّفاق أوسلو، وهو إلى اليوم يُؤَكِّد هذا، هذا ما نراه للأسف، أين التفاهم في هذا العالم بين الشعوب والديانات؟

### أوربا وقضيَّة البوسنة والهرسك:

لقد رأينا للأسف الأوربيِّين والغربيِّين يقفون إلى اليوم مع الظلم ضدَّ العدل، ومع الباطل ضدَّ الحقِّ في قضيَّة البوسنة، والعدل واضح، والحقُّ واضح، وقد قلتُ لهم هذا في المؤتمر: آن للنَّاس أن يقفوا مع الحقِّ؛

QaradawiBooks.com

الأرثوذكسيَّة الروســيَّة واليونانيَّة تقف مع الصرب الوحشيِّين المعتدين، والكاثوليكيَّة الفرنسيَّة تقف مع الصرب، والبروتستانتيَّة البريطانيَّة تقف مع الصرب، لم يسمحوا للمسلمين أن يشتروا السلاح بأموالهم ليدافعوا عن أنفسهم.

**مآسي المسلمين أكبر دليل على غياب العدل في العالم:**

أين العــدل في العالــم؟ أيــن التفاهم بيــن الشــعوب والديانات والمسلمون وحدهم في أنحاء الأرض تُهتك حرماتهم، ويُذبَّح أبناؤهم، وتُغتصب نساؤهم، وتُدمَّر مساجدهم، وتُحرَّق بيوتهم، في كلِّ مكانٍ في العالم يحدث هذا، هل نتحدَّث عن البوسنة والهرسك؟ هل نتحدَّث عن كشمير؟ هل نتحدَّث عن الفِلِبِّين؟ هل نتحدَّث عن جنوب السودان؟ هل نتحدَّث عمَّا يجري وتريده الكنائس العالميَّة من هنا وهناك.

إذا كُنَّا نريد أن نتفاهم حقًّا فلا بدَّ أن نعــرف الحقَّ لأهله، لا بدَّ أن يأخذ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وإلَّا فكيف يكون هناك تفاهم بين الشعوب وبين الأديان في هذا العصر؟ قضيَّة القدس قضيَّة واضحة، وحينما أراد مجلس الأمن أن يصدر فيها قرارًا لصالح القدس رأينا للأسف دولة كبرى تقف ضدَّ هــذا الحقِّ الواضح وتســتخدم لأوَّل مرَّة منذ خمس ســنوات حقَّ النقض (الفيتو) لتمنع صدورَ هذا القرار بإجبار إسرائيل على التراجع عن هذا الضمِّ الظالم للأراضي.

إنَّنا دعاة ســلام، ودعــاة مَحَبَّة، ودعاة تســامح، ودعــاة تفاهم بين الشعوب والديانات، ولكن على أن تُعطى للمسلمين حقوقهم المشروعة، على أن يُعطــى كلُّ ذي حقٍّ حقَّه، على أن يُنصــف المظلوم، وأن يُردع الظالم، هذا هو التفاهم الحقيقي بين الشعوب.

QaradawiBooks.com

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُفَقِّهنا في دِينِنا، وأن يُعَلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# ٦
# رعاية البيئة في ضوء الإسلام(١)

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في الأسبوع الماضي دُعيت إلى مؤتمر في مدينة (عمَّان) عاصمة المملكة الأردنية، دعتني إليه (مؤسَّسة آل البيت للفكر الإسلامي)، وكان المؤتمر يدور حول محور واحد هو (الإسلام والبيئة).

وأمر البيئة أمر يهتم به العالم كله: مشرقُه ومغربُه، عربُه وعجمُه، مسلموه ومسيحيُّوه ووثنيُّوه، كل العالم يهتم بالبيئة، تقوم لها المؤتمرات والندوات، وتُنشأ لها وزارات ودوائر؛ لأهميَّة هذا الأمر وخطره، وأثره على حاضر الإنسان ومستقبله.

### معنى البيئة:

وربما يسأل الناس: ما هو معنى البيئة؟ البيئة ـ بدون دخول في التعريفات والمصطلحات ـ هي المحيط الَّذي يعيش فيه الإنسان، سواء كانت بيئة جامدة أم حيَّة، ناطقة أم صامتة، عاقلة أم غير عاقلة، علويَّة أو سفليَّة، فهي تشمل الإنسان والحيوان، والنبات والجماد والفلك، وكل ما حول الإنسان.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٨ أكتوبر ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

## تأثير البيئة في الإنسان:

هذه البيئة تؤثِّر في الإنسان، كما يتأثَّر الإنسان بها، فالإنسان ابن بيئته، الإنسان في القرية غير الإنسان في المدينة، الإنسان في البادية غير الإنسان في الحضر، كما جاء في الحديث: «**من بدا جفا**»(١).

وكما أشار إلى ذلك القرآن حينما قال: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧]. وإن كان منهم المؤمنون أيضًا، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [التوبة: ٩٩]. لكن أثر البادية على الإنسان واضح.

ويحكي لنا الأدب العربي: أنَّ أحد الشعراء دخل على أحد الخلفاء ومدحه بقصيدة، قال له فيها:

**أنت كالكَلْبِ في حِفَاظِكَ للوُدِّ وكالتَّيْسِ في قِراعِ الخُطُوبِ**

ففزع النَّاس حوله من هذا الكلام، ولكن الخليفة كان رجلًا عاقلًا؛ فعرف تأثير البيئة عليه فأخذه وأجلسه عنده، وبعد ذلك أصبح شاعرًا رقيقًا ينشد قصائد الغزل، ويقول فيها:

**عيونُ المَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ والجِسْرِ جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أدري ولا أدري**(٢)

---

(١) رواه أحمد (١٨٦١٩)، وقال مخرِّجوه: هذا حديث ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٢١٠): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير الحسن بن الحكم النخعي، وهو ثقة، عن البراء بن عازب. وروي عن ابن عباس بلفظ: «من سكن البادية جفا». رواه أحمد (٣٣٦٢)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره، وأبو داود في الصيد (٢٨٥٩)، والترمذي في الفتن (٢٢٥٦)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الصيد (٤٣٠٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٦).

(٢) الشاعر هو علي بن الجهم، والخليفة هو المتوكل، انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤٦٩/٣)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

إلى آخره، فالبيئة تؤثر في الإنسان، والإنسان يؤثر في البيئة صلاحًا وفسادًا.

## تأثير الإنسان في البيئة:

ونحن في عصرنا نجد تأثير الإنسان في البيئة أصبح كبيرًا، وأصبحنا نرى ما يشكو النَّاس منه، التأثير باستنزاف الموارد، والتأثير بتلوث البيئة، أصبح النَّاس يشكون من تلوُّث البيئة، ومن تلوُّث المياه، حتَّى البحار والمحيطات أصبحت بقع الزيت وغيرها تلوث الماء، وتؤثر على الأحياء المائيَّة الَّتي يأكلها الإنسان، والتأثير في البيئة يوثر في النهاية على التوازن بين مختلف الكائنات.

## عناية الإسلام بالبيئة:

حينما خلق الله ﷻ هذا الكون خلقه متوازنًا، وخلق كلَّ شيء في موضعه، وكل شيء عنده بمقدار، وكل شيء موزون، وكل شيء متقن، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]، ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

خَلْقُ الرحمنِ كله متوازن متكامل، يمد بعضه بعضًا، ويخدم بعضه بعضًا، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦، ٨٥]. أي بعد أن خلقها الله لكم، وهيَّأها صالحة للزرع والإنبات، والسُّكنى والعيش فوقها، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤]، وصفها القرآن بأنَّه جعلها فراشًا، وجعلها مهادًا، وجعلها بساطًا، فالأرض صالحة مهيَّأة.

QaradawiBooks.com

ولكن الإنسان هو الَّذي يُفسد هذه الأرض، ولذلك جاء الأنبياء جميعًا ينهون عن الفساد في الأرض، كما قال سيدنا صالح لقومه: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]. وقال لهم أيضًا: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]. طلب منكم عمارة هذه الأرض.

وعمارة الأرض من المقاصد الأساسيَّة الَّتي خلق الله لها آدم وذريَّته، كما قال الإمام الراغب الأصفهاني: إنَّ الله خلق النَّاس لمقاصد ثلاثة: العبادة، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والخلافة، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، والعمارة، ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١][1].

ولذلك نجد الإسلام اعتنى بالبيئة عناية بالغة، لا نجدها في أيِّ دين آخر، ولا في أيِّ فلسفة أخرى، وأذكر من نحو ثلاثين سنة تناقشت مع أحد علماء البيئة، وقال لي: هل نجد عندكم يا علماء الشريعة نصوصًا إسلاميَّة تهتم بالبيئة، ولم يكن الاهتمام بأمر البيئة قد ظهر على السطح بوضوح كما هو الآن، فقلت له: عندنا الكثير والكثير.

وذكرت له بعض ما ورد في القرآن، وبعض ما ورد في الحديث، وذكرت له الحديث الَّذي يقول: «**مَنْ قتل عصفورا عبثا عجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني منفعة**»[2].

وذكرت له الحديث الآخر الَّذي رواه أبو داود، قال: «**مَنْ قطع سدرة صوَّب الله رأسه في النار**»[3]. شجر السدر أو النبق مشهور في الصحاري

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة صـ٨٢، ٨٣، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) سبق تخريجه صـ ٥٢.

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٥٢٣٩)، والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٥٧)، وصحَّحه الألباني =

QaradawiBooks.com

والبراري، ينتفع النَّاس بثماره، ويستفيد النَّاس من ظلاله، خصوصًا في لهيب الصحراء له أهمية كبيرة، بعض الشارحين قال: المقصود سدر الحرَم[1]. لكن لا يوجد أي دليل على هذا التخصيص.

المهم أن هذا العالِم البيئي قال: مادامت هناك نصوص في الإسلام تهتم بالبيئة؛ فهل نجد فيه نصوصًا في الحفاظ على الأجناس المختلفة من الانقراض؟

قلت له: نعم، نجد هذا في حديث رسول الله ﷺ، حينما أراد الصحابة أن يجردوا حملة للقضاء على الكلاب الضالَّة الَّتي تؤذيهم فأرادوا أن يستأذنوا النبي ﷺ، فقال لهم، وما أبلغ ما قال: «**لولا أنَّ الكلاب أمَّة من الأمم لأمرت بقتلها**»[2].

وهذا الحديث يشير إلى قاعدة عظيمة أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]. كلٌّ من الطيور، أو الحشرات، أو الحيوانات، من السباع، من الزواحف هي أمَّة من الأمم، أمَّة النمل، وأمَّة النحل، وأمَّة العنكبوت، وأمَّة الكلاب، وأمَّة القطط، كل هذه أمم أمثالكم، لها مجتمعاتها، ولها غرائزها، ولها مطالبها، كل هذه أمم خلقها الله، ولا بد أن يكون خلقها لحكمة، لأنَّه لا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يفعل شيئًا لهوًا ولا لعبًا.

= في الصحيحة (٦١٤)، عن عبد الله بن حبشي. والمراد بالسدرة: شجرة السدر (النبق) التي يكثر وجودها في البراري.

(١) قاله السيوطي، انظر: الحاوي للفتاوى (٦٨/٢)، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.

QaradawiBooks.com

عجب رجل البيئة ممَّا قلته، وقال: إننـا ـ والأمر هكذا ـ نجهل أمر البيئة في الإسلام، وعليكم أنتم يا معشر العلماء والفقهاء أن تبينوا للناس موقف الإسلام من البيئة.

## رعاية لا مجرد حماية:

وقد ألفـت كتابًا بعد ذلك حينمـا دُعيت إلى مؤتمـر في المملكة السعودية سـمَّيته (رعاية البيئة في شريعة الإسـلام)، اخترت مصطلح (رعايـة البيئة)، ولم أعمـد إلى مصطلـح (حماية البيئة) الشـائع عند البيئيين، لأنَّ الحماية تتعلق بالجانب السلبي، الجانب العدمي فقط، أي تحمي البيئة من التلوث، تحميها من الضرر، ولكن بماذا تمدها؟ كيف تقوِّيها؟ كيـف تنمِّيها؟ هذا لا يدخـل في الحماية، ولكـن يدخل في الرعايـة، ولذلك نحن نقـول: رعاية الأمومـة، رعاية الطفولـة، رعاية الإنسان. فالرعاية أشمل من الحماية، ولذلك سميت كتابي (رعاية البيئة في شريعة الإسلام).

## العلوم الإسلاميَّة والبيئة:

ووجدت أنَّ العلوم الإسـلاميَّة تخدم علم البيئة الإسلامي، وجدت ذلك في علم الفقه، وفي قواعد الفقه، كلها تخـدم البيئة، القواعد الَّتي تقول مثلًا: لا ضرر ولا ضرار. هذه قاعدة مهمَّة في حماية البيئة، ورعاية البيئة، والمحافظة على البيئة.

ووجدت علم أصول الفقه يخدم البيئة، فأصول الفقه هو الَّذي يبيِّن مقاصد الشـريعة، ويبيِّن الضرورات الخمس أو السـت: المحافظة على الدين، والمحافظة على النفس، والمحافظة على النَّسل، والمحافظة على

QaradawiBooks.com

العقل، والمحافظة على المـــال، والمحافظة على العرض. هذا ما جاء به أصول الفقه، وكلها تدخل في صميم المحافظة على البيئة.

وكذلك علم السلوك، علم التصوف، علم الأخـــلاق الدينية، كلها تحافظ على البيئة إذا عملنا بها، وكذلك علوم القرآن والسنَّة، مَنْ يدخل في تفاسـير آيات القــرآن، وفي شـروح الأحاديث النبويَّـة الصحيحة والحسنة: يجد أمامه بحرًا زاخرًا، ولذلك نحن المسلمين أولى النَّاس أن نحافظ على البيئة، ونرعى البيئة، ونتعبَّد لله تعالى بذلك.

### أسس ودعائم لرعاية البيئة:

أولها: التشـجير والتخضير، العالم مهـدد الآن بالتصحُّر، زحف الصحراء على الأرض الخضراء، الإسـلام يحافظ علـى هذا الأمر، ويدعو إلى تشجير الأرض، التقرب إلى الله بغرس الأشجار، هذه قربة إلى الله ﷻ، وكلنا يحفظ الحديث الشهير: «**ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا؛ فيـأكل منه طير أو إنسـان أو بهيمـة؛ إلَّا كان له به صدقة**»[1].

وهذا الحديث الشـهير: «**إن قامت السـاعة وفي يد أحدكم فسيلة** ـ نخلة صغيرة، أو ما نسمِّيه شتلة ـ **فإن استطاع ألا تقوم حتَّى يغرسها فليغرسها**»[2]. الساعة قائمة فلماذا يغرسها وهو لن يأكل منها، ولن يأكل منها غيره؟ هذا ليُشعر أنَّ المؤمن منتج معطاء للحياة؛ حتَّى تلفظ آخر أنفاسها، ولو لم ينتفع أحد بعطائه وإنتاجه، لأنَّه يتعبَّد لله بالعمل.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الزراعة والغرس أمر مطلوب، حتَّى ذهب بعض العلماء إلى أنَّ الزراعة هي أفضل مهنة يمتهنها الإنسان، وبعضهم قال: لا، بل الصناعة. وبعضهم قال: لا، بل التجارة. والحقيقة أنَّ أفضل مهنة هي ما يحتاج النَّاس إليه أكثر من غيره، فلو كان النَّاس في حالة مجاعة ولا يجدون من الأقوات ما يكفيهم، يجب أن يتَّجهوا إلى الزراعة، وإذا كانت الأقوات موفورة وهم بحاجة إلى المصنوعات؛ فيجب أن يتَّجهوا إلى الصناعة، وهكذا.

رأى بعضهم أحد الصحابة يزرع شجرة، ويزرعها بعناية واجتهاد، فسأله: ما سرُّ هذا؟ فقال له: سمعت رسول الله بأذني هاتين يقول: «**مَنْ زرع شجرة فصبر عليها وقام عليها حتَّى تُثمر كان له من الأجر كذا وكذا**»[1]. يزرعها ويشتلها ويصبر عليها، يسقيها ويرعاها ويحافظ عليها من الآفات حتَّى تُثمر.

ورأى بعضهم سيدَنا أبا الدرداء يزرع شجرة جوز، ومعروف أنَّها تمكث سنوات طويلة حتَّى تُثمر، وكان كبير السن، فقال له: أنت رجل كبير السن وتزرع هذه الشجرة؟! قال: وماذا عليَّ أن يأكل منها غيري إذا متُّ ويكون لي أجرها[2]؟ أزرعها فإذا أكلت منها فبها، وإلا أكل منها غيري وأصبت أجرها، هكذا كان المسلمون، وللمسلمين في هذا تراث عظيم، في التشجير وتخضير الأرض.

قال أحد المهندسين الزراعيين ذات مرة: أريد أن أؤلف كتابًا في إنشاء الحدائق، ألا يوجد عندك آية أو حديث أبدأ به هذا الكتاب؟ قلت:

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٨٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٩٢٨): رواه أحمد، وفيه قصة، وإسناده لا بأس به. عمَّن شهد النبي ﷺ.

(٢) شرح السنة للبغوي (١٥١/٦)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

عندي آيـة ناطقة معبرة، هـي قوله تعالـى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]. ليس فقط حدائق، بل حدائق ذات جمال وحُسْـن، فعجب الرجل، وقال: سبحان الله! هذا في القرآن؟ قلت: نعم، ونحن نقرؤه ويسمعه الناس.

ومن دعائم رعايـة البيئة: العمـارة والتثمير، قلت لكـم: إنَّ الإمام الراغب الأصفهانـي اعتبر أن عمارة الأرض هي أحـد المقاصد الإلٰهيَّة الثلاثة من خلق الناس. أن يعمروا الأرض، أن يصلحوها ولا يفسدوها، أن يجملوها، أن يحيوها.

اعتبر الإسلام أنَّ الأرض منها ما هو ميت، ومنها ما هو حيٌّ، الأرض الجدباء ميِّتة، والأرض الخضـراء حيَّة، ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحج: ٥، ٦]، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]. نفخ في هذه الأرض الميتة فحييت بعد موتها.

ولذلك يوجد في الفقه الإسـلامي كتاب اسمه (إحياء الموات)، فيه أحكام كثيرة تتعلَّق بمن يحيي أرضًا ميتة، يسميه النَّاس اليوم (استصلاح الأرض البُور)، ويسمِّيه الفقه (إحياء الموات)، ولذلك كافأ الرسول مَنْ يُحْيِي أرضًا ميتة بأن تكون ملكـه، قال: «**مَنْ أحيا أرضًا ميتة فهي له**»[1]. فهذا ممَّا جاء به الإسلام.

(١) رواه أحمد (١٤٦٣٦)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح على شـرط الشيخين. والترمذي في الأحكام (١٣٧٩)، وقال: حديث حسـن صحيح. وابن حبان في إحياء الموات (٥٢٠٢)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

ومن دعائم رعاية البيئة في الإسلام: النظافة والتطهير، لا يوجد دين اهتم بالنظافة كالإسلام، نحن عندنا أول ما ندرس في الفقه كتاب اسمه (كتاب الطهارة)، طهارة الثوب، وطهارة البدن، وطهارة المكان شرط من شروط صحة الصلاة، وهناك الطهارة الحُكمية: الطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء، والطهارة من الحدث الأكبر بالغُسل، الحدث الأكبر الجنابة أو الحيض والنفاس، هذه الطهارة الحكميَّة، وهناك الطهارة الحسيَّة.

جاء الإسلام يُنوِّه بهذه النظافة، حتَّى انتشر عند المسلمين هذا القول: النظافة من الإيمان. هو ليس بحديث في الحقيقة، ولكن هناك حديث صحيح رواه الإمام مسلم يقول: «**الطهور شطر الإيمان**»(١). أي نصف الإيمان، فهناك علاقة للإيمان بالنظافة والبُعد عن التلوث، أن يلوِّث الإنسان نفسه، أو يلوِّث طعامه، أو يلوِّث شرابه، أو يلوِّث الطريق فهذا شيء ممنوع.

بل جعل الرسول تلويث الطريق من أسباب اللعنة، فقال: «**اتَّقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، والظل، وقارعة الطريق**»(٢). نهى أن يقضي الإنسان حاجته في الأماكن الَّتي يرتادها النَّاس فيؤذي خلق الله(٣)، ونهى عن البول في الماء الدائم(٤)، وبول الإنسان في مُستحمِّه(٥).

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

(٢) رواه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، والحاكم (١٦٧/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٩٧/١)، جميعهم في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢١)، عن معاذ بن جبل.

(٣) رواه مسلم في الطهارة (٢٦٩)، وأحمد (٨٨٥٣)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٣٩)، ومسلم في الطهارة (٢٨٢)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه أحمد (٢٠٥٦٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٢٧)، والترمذي (٢١)، والنسائي (٣٦)، وابن ماجه (٣٠٤)، أربعتهم في الطهارة، وحسنه النووي في المجموع (٩١/٢)، عن عبد الله بن مغفل.

QaradawiBooks.com

كما دعا الرسول ﷺ إلى نظافة الإنسان في بيته، فقال: «**إنَّ الله طيب يحب الطيب، وجميل يحب الجمال، ونظيف يحب النظافة؛ فنظِّفوا أفنيتكم** ـ ساحات بيوتكم ـ **ولا تتشبهوا باليهود**»[(١)].

ودعا إلى نظافة الإنسان في بدنه فقال: «**حقٌّ على كل مسلم، في كل سبعة أيام يوم يغسل فيه رأسه وجسده**»[(٢)]. إذا لم يكن يغتسل بسبب الجنابة أو شيء من هذا فينبغي أن يغتسل في كل أسبوع مرة على الأقل.

ودعا إلى تنظيف الشعر: «**مَنْ كان له شعر فليكرمه**»[(٣)]. وإلى تنظيف الأسنان: «**السواك مَطْهَرة للفم ومَرْضاة للرب**»[(٤)]. وإلى نتف الإبط، وحلق العانة، دعا إلى النظافة بكل أنواعها.

**العناية بجانب الجمال:**

والإسلام لا يهتم بالنظافة فقط، بل يهتم بالجمال، «**إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال**»[(٥)]، «**إنَّ الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده**»[(٦)]. حينما كان

---

(١) رواه الترمذي في الأدب (٢٧٩٩)، وقال: هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس يضعف. والبزار (١١١٤)، وضعفه الألباني في تخريج الحلال والحرام (١١٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٨٩٦، ٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أبو داود في الترَجُّل (٤١٦٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٣٤/٨)، والطبراني في الأوسط (٨٤٨٥)، وحسَّن إسناده ابن حجر في فتح الباري (٣٦٨/١٠)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥٠٠)، عن أبي هريرة.

(٤) علقه البخاري بصيغة الجزم قبل حديث (١٩٣٤)، ووصله أحمد (٢٤٣٣٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والنسائي في الطهارة (٥)، عن عائشة.

(٥) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

(٦) رواه الترمذي في الأدب (٢٨١٩)، وحسنه، والطيالسي (٢٣٧٥)، والحاكم في الأطعمة (١٣٥/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٢٦٠)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

الحسن بن علي رضي الله عنهما يذهب إلى المسجد، يلبس أحسن الثياب ويتطيَّب ويتجمَّل، ويسرح شعره ويرجله، فقيل له: لِم تفعل هذا وأنت ذاهب إلى المسجد؟ قال لهم: أنا أتجمل لربي كما تتجملون لأمرائكم، أمَا سمعتم قول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١](١)؟

هكذا جاء الإسلام بالنظافة والتطهير في وقت كان الرهبان في أوروبا يتقربون إلى الله بالقذارة، ويعتبرون النظافة مُبعدة عن الله، ويقول أحدهم: رحم الله القديس فلانًا؛ لقد عاش طول عمره ولم يقترف إثم غسل الرجلين!

ويقول آخر: وا أسفاه! لقد كان القديسون عندنا من قبل يعيش خمسين سنة لا يبل أطرافه بالماء، ولكنا أصبحنا وا أسفاه في زمن يدخل فيه النَّاس الحمامات(٢)! جاءتهم الحمامات من أهل الأندلس فقلدهم الأوروبيون، كان في قرطبة ستمائة حمام عمومي، غير الحمامات الخاصَّة، هكذا كان العالم وهكذا كنا نحن، فالنظافة والتطهير من دعائم البيئة.

ومن دعائم رعاية البيئة في الإسلام: المحافظة على البيئة من الإتلاف، أحيانًا يكون الإتلاف بدافع القسوة كما قتل ابن آدم أخاه، ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، أكبر فساد للبيئة: الفساد البشري، وكما حبست امرأة هرة وتركتها حتَّى ماتت، لم تبال بها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فهذا إتلاف بسبب القسوة.

---

(١) تفسير الآلوسي (٣٤٩/٤)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٢) ذكر ذلك العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه القيم: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، صـ١٥١، نشر مكتبة الإيمان، المنصورة.

QaradawiBooks.com

أحيانًا يكون الإتلاف بسبب العبث، «**مَن قتل عصفورًا عبثًا عجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب، إن فلانًا قتلني عبثًا ولم يقتلني منفعة**»[(١)].

وأحيانًا يكون الإتلاف بسبب الإهمال، كأن يكون عنده دواب؛ فلا يهتم أكلت أم لم تأكل، أخذت حقَّها أم لم تأخذ، إنَّ الله يسألك عن هذا، «**إنَّ الله سائل كل راعٍ عما استرعاه أحفظ أم ضيَّع**»[(٢)]. يسأله عن البشر، ويسأله عن البهائم.

ولذلك قال الفقهاء: إذا كان عند إنسان بهيمة فلم يطعمها يُخيِّره القاضي بين ثلاث: إمَّا أن يطعمها، وإمَّا أن يبيعها لغيره أو يؤجرها له، وإما أن يذبحها إذا كانت ممَّا يؤكل[(٣)]. أمَّا أن تترك هكذا لتهلك فلا يجوز، حتَّى الحيوانات وهذه الأشياء لا يجوز إهمالها.

يقول ابن حزم: مَنْ ترك أرضًا تحتاج إلى السقي ولم يسقها فهو مفسد في الأرض ينبغي أن يُعزَّر[(٤)]. لا بد أن يرعى الإنسان أرضه الزراعيَّة وحدائقه وبساتينه، ولذلك كان المسلمون من قديم يهتمون برعاية أراضيهم، وزراعة الأشجار فيها وحولها، وأمام بيوتهم.

وقد بدأت بلاد الخليج في الأزمنة الأخيرة تهتم بهذا الأمر فامتلأت الشوارع والطرقات بالنخيل، وإن كان النَّاس للأسف كثيرًا ما يتركون الثمر يسقط على الأرض ولا يستفيدون منه، وهذا لا يجوز، لا بد من

---

(١) سبق تخريجه صـ ٥٢.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، وابن حبان في السير (٤٤٩٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرطهما. وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١٣/١١٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١)، عن أنس بن مالك.

(٣) الفواكه الدواني للنفراوي المالكي (٢/٧١)، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٤) المحلى (٩/٢٦٤)، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

الاستفادة منه، يؤْخذ ويُغسل من عوادم السيارات والأتربة ويُحفظ ويُعلَّب ويُستفاد منه، إذا كان النَّاس هنا غير محتاجين إليه فهناك من يحتاجون إلى التمرة وإلى اللقمة، كما يمكن الاستفادة منه في صناعة الأعلاف الحيوانيَّة، وهكذا أيُّها الإخوة.

ومن دعائم رعاية البيئة في الإسلام أيضًا: المحافظة على الموارد، ممَّا يشكو النَّاس منه في عصرنا خطر استنزاف الموارد، واستنفاذ الموارد، أنعم الله علينا بنعم كثيرة، لما خلقنا الله لم يتركنا، قبل أن يخلقنا هيَّأ لنا كل ما نحتاج إليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [الأعراف: ١٠]. ثمَّ قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. قبل أن يخلق آدم هيَّأ المعايش في الأرض، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر: ٢٠].

وحينما خلق الأرض بارك فيها، ﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، وأعلن الله: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. رزقُها موجود في البر أو في البحر.

هيَّأ الله الأرض وبارك فيها، وقدَّر فيها أقواتها، ومكَّن للناس في الأرض، فلا ينبغي أن يفسدوا هذه الموارد، ولا ينبغي أن يضيِّعوها، ولا ينبغي أن يسرفوا فيها، النبي ﷺ دعا النَّاس أن يهتموا حتَّى بالأشياء الصغيرة، يقول فيما رواه مسلم: «**إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان**»[1]. لقمة وقعت منك فلا تأنف من أخذها كبعض الناس، لا، خذها وانفض عنها التراب وكلها، وهذا مهم يعطي الشيء من مناعة، فالذين يخافون من أيِّ شيء يصيبهم الأذى من

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٤)، وأحمد (١٢٨١٥)، عن أنس.

QaradawiBooks.com
نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة

أيِّ شيء، بخلاف الَّذين تعوَّدوا على هذا، لا بد من الخشونة، كان النَّاس قديمًا إذا وقعت من أحدهم اللقمة يأخذها ويُقبِّلها، يقولون: لأنَّها نعمة ربنا. فلا تضيِّع نعمة الله.

مر النبي ﷺ يومًا على شاة ميتة، فسأل: «**لمن هذه الشاة؟**». قالوا: إنَّها لمولاة لميمونة أم المؤمنين. أي لخادمة عندها، قال: «**هلَّا أخذتم إهابها** ـ يعني جلدها ـ **فدبغتموه فانتفعتم به؟!**». قالوا: يا رسولَ الله، إنَّما هي ميتة! قال: «**إنَّما حُرِّم أكلها**»(١). نعم هي ميتة، وأنت لن تأكل لحمها، لكن تأخذ جلدها وتدبغه وتستفيد به.

بعض النَّاس الآن يرمون نصف الأكل في صناديق القمامة، وهناك في بعض البلاد الإسلاميَّة مَنْ يبحثون في صناديق القمامة عن لقمة تصلح للأكل، ونحن نرمي في صناديق القمامة الكثير والكثير من اللحم والأرز، يا أخي، اطبخ أولًا على قدر حاجتك، وكل ما تستطيع، وإلا فابعث لبعض النَّاس ما يحتاجون إليه ولا ترمِ نعمة الله، لا بد أن نعرف قيمة هذه النعمة.

ولذلك جاءت الأحاديث تقول: «**ليلعق أحدكم الصحفة**»(٢). أي: إناء الطعام، بعض النَّاس في الفنادق يملأ أوعيته بمختلف الطعام ويأكل منها القليل، ثمَّ يترك الباقي، لماذا هذا الطمع؟ خذ ما يكفيك، وإن احتجت اذهب ثانية وائت بما يشبعك أفضل من الإسراف، هذه ثقافة، ولا بد أن نراجع ثقافتنا في مراعاة النعم، لا نُضيِّع نعم الله، يأكل الإنسان، وينظف إناءه، فيستغفر له الإناء كما جاء في بعض الأحاديث الضعيفة(٣).

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٢)، ومسلم في الحيض (٣٦٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٤)، وأحمد (١٢٨١٥)، عن أنس.

(٣) منها: «من أكل في قصعة، ثم لحسها، استغفرت له القصعة». رواه أحمد (٢٠٧٢٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في الأطعمة (١٨٠٤)، واستغربه. عن نبيشة الخير.

QaradawiBooks.com

## المحافظة على موارد الأمة وتنميتها:

هكذا ينبغي أن نُربِّي الأمَّة بحيث لا نُضيِّع موارد الأمَّة ونعم الله، ونحن أمَّة عندها بحمد الله موارد كثيرة وغنيَّة، وإن كانت لا تستفيد من غناها ومواردها كما يستفيد الآخرون، لكن من واجبنا أن نشكر نعمة الله، ومن شكر نعمة الله: أن نحافظ على هذه الموارد.

ومن شكر نعمة الله أيضًا: أن ننمِّيها، إذا كانت عندنا أرض زراعيَّة؛ لا بد أن نعمل على خصوبتها، نمدها بالسماد الطبيعي، ولا بأس بالسماد الصناعي عند عدم وجود السماد الطبيعي، ولكن الطبيعي أفضل دائمًا، نرعاها وننقِّيها من الأشياء الَّتي تفسد التربة، نبحث عن أفضل أنواع البذور، هناك نوع من بذور القمح يأتي الفدان منه بستة أراديب، ونوع آخر جيد يأتي باثني عشر إردبًا؛ فلماذا لا نأتي بالبذور الجيدة؟

هكذا ينبغي أن تكون أمتنا حتَّى تتبوَّأ مكانتها بين الأمم، وحتى تكون الأمَّة الوسط، الَّتي جعلها الله شهيدة على الناس، كانت أمَّتنا من قبل خير الأمم ماديًّا ومعنويًّا، والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. الصَّالحون هنا ليسوا فقط الدراويش الممسكين بالسبح الألفية، يسبحون بها ألف مرة، لا، بل هم الصالحون للخلافة في الأرض، لعمارة الأرض، لتنمية الحياة، الصالحون للزرع والإنبات، وللصناعة ولكلِّ عمل يحتاج إليه الناس.

## تكامل الأمة في زراعتها وصناعتها:

وينبغي أن تتكامل الأمَّة في هذه الأشياء، تتكامل في زراعتها، وتتكامل في صناعتها، الصناعة الَّتي قال فيها النبي ﷺ: «**ما أكل أحد**

QaradawiBooks.com

**طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده»**[(١)]. كانت صنعته الدروع الحربيَّة، الَّتي يلبسها المقاتلون في الحروب، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠، ١١]، فينبغي أن تتكامل في الأمَّة الحِرَف المختلفة؛ حتَّى تستطيع أن تكون خليفة لله في الأرض، وأن تتبوأ المكانة اللائقة بخير أمَّة أخرجت للناس.

هذا بعض ما يقال أيُّها الإخوة في أمر البيئة، ينبغي أن نعمل على إصلاح بيئتنا، وعلى الوقوف عند التوازن الَّذي خلق الله عليه الكون، الله تعالى يقول: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩]. لا طغيان ولا إخسار في الميزان، هناك ميزان كوني، ونحن أخللنا بالميزان الكوني فتغيَّر المناخ، وتأثَّرت البيئة، هناك ثقب الأوزون، وارتفاع درجة حرارة الأرض، وغير ذلك.

إلى متى يظل هذا العبث الإنساني بهذه البيئة؟ والله تعالى يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. ما نشكوه من فساد البيئة هو من عمل أيدي الناس، ليس ظلمًا من الله لهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

الناس يظلمون أنفسهم بتجاوزهم لحدود الله، بإسرافهم في الأمور، حينما أمر الله تعالى النَّاس أن يأكلوا ويتمتعوا من طيِّبات ما خلقه قال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ ـ ٢٧].

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدام بن معديكرب.

QaradawiBooks.com

لا تكفروا بالنعمة وتكونوا كالذين قال الله فيهم: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وإذا شكرت النعمة وحافظت عليها زادك الله منها، ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧].

والإنسان يُبتلى بكُفر النعمة في الدنيا قبل الآخرة، الَّذي يشرب السجائر يُعاقب في الدنيا قبل أن يعاقبه الله في الآخرة: لماذا أضعت صحتك؟ ولماذا أضعت مالك؟ ولماذا أضعت عقلك؟ ولماذا آذيت مَنْ حولك؟ هناك ما يسمونه (التدخين القسري)، أن تجلس مع جماعة يدخنون، أو حتَّى أدخل في مكان كان فيه مدخنون قبل أن أدخل فأجد الرائحة تخنقني، فالتدخين مصيبة كبيرة.

ولذلك بدأ الغربيون يراعون ذلك، فيجعلون هناك عربات مخصوصة في القطارات لغير المدخنين، وفي الفنادق حجرات لغير المدخنين، وهكذا راعوا حاجات الناس، والآن بعض الطيَّارات تمنع التدخين فيها نهائيًّا، وأحيانًا يسافر الإنسان أربع عشرة ساعة.

هذا لأن التدخين مصيبة، هو من أشدِّ مفسدات البيئة، يفسد الإنسان نفسه، يفسد جهازه التنفسي، ويفسد بيته، حينما أدخل بيتًا أهله مدخنون لا أطيق نفسي، ولا أدري ماذا تفعل امرأة الرجل المدخِّن؟ كيف تعيش مع رجل هو مدخنة؟ كيف يطيقه الخلق من حوله؟

علينا أن نبرأ إلى الله من كل مفسدات البيئة، ونتوب إلى الله، ونعيش حياة طاهرة نظيفة بعيدة عن هذه المفسدات والملوّثات؛ الملوثات

QaradawiBooks.com

البصرية، والملوثات السمعية، والملوثات بالإشعاع، والملوثات الذريَّة، والملوثـــات الغذائيَّة، والملوثـــات كثيرة، كل هذا ينبغـــي أن يبتعد عنه الإنسان المســـلم، ويكون عنصرًا صالحًا مُصلحًا في قومه، وعضوًا حيًّا في جسد أمته، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه النَّاس على دمائهم وأموالهم.

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم، فادعوا الله يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة:

### كلمة إلى القمة العربية بسرت:

لا بد لي من كلمة في الخطبة الثانية، وكلمتي مُوجَّهة إلى القمة العربية، إلى رؤساء العرب الَّذين يعقدون قمتهم في (سرت) في الجماهيرية الليبية، أريد أن أنصح لهؤلاء، و«**الدين النصيحة**». كما قال نبيُّنا مُحمَّد ﷺ. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولرسوله ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامَّتهم**»(١). أئمة المسلمين هم قادتهم ورؤساؤهم، ومن حقنا أن ننصحهم.

وليس هناك إنسان أكبر من أن يُنْصَح، ولا إنسان أصغر من أن يَنْصح، الله تعالى قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]. ما معنى تواصوا؟ أي أوصى بعضهم بعضًا، فهذا يوصي، وهذا يقبل الوصيَّة، وبهذا يتكامل المجتمع المسلم، فليس هناك أحد أكبر من أن يُوصَى، ولا أحد أصغر من أن يُوصِي.

نحن نوصي هؤلاء القادة والرؤساء الَّذين حمَّلهم الله المسؤوليَّة عن هذه الأمَّة أن يحملوها بحق، وكل راعٍ مسؤول عن رعيته، وإنَّ الله تعالى سائلٌ كلَّ راعٍ عما استرعاه، عمَّن استرعاه: أحفظ أم ضيَّع؟ فليحضِّروا للسؤال جوابًا إذا سألهم الله عن قضايا الأمة: ماذا فعلتم بها؟

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤)، والنسائي في البيعة (٤١٩٧)، عن تميم الداري.

QaradawiBooks.com

ومن هذه القضايا خاصَّة: قضيَّة فلسطين الَّتي طال عليها الأمد، وأصبحت الدولة الصهيونيَّة إسرائيل تعبث بهم، ولا تبالي بهم، تطلب أن تجتمع بالفلسطينيين دون شروط، ولكن هي تشرط شروطًا، طلب منهم أوباما أن يوقفوا الاستيطان فرفضوا، فطُلب منهم أخيرًا أن يوقفوا الاستيطان مدة المفاوضات هذه: غير المشروطة من الفلسطينيين، والمشروطة من إسرائيل: فلم تبالِ إسرائيل، الاستيطان ماضٍ في طريقه ومستمر ويتوسع، ويأكل الضفة الغربية، ويأكل القدس وما حول القدس.

وهؤلاء المستوطنون أصبحوا مستأسدين، أقرب شيء من عدة أيام هاجموا مسجدًا وأحرقوه، وأحرقوا ما فيه من مصاحف وكتب دينية وإسلاميَّة، ولم يبالوا بأحد! والعرب مستكينون لهذا الأمر؛ إلى متى هذا؟ لا يمكن بهذا أن تكون أمَّة العرب أمَّة الفاتحين أمَّة الأبطال، لا يمكن أن تستسلم لما تريده إسرائيل، كأنَّ الحقوق تُستجدَى، كأنَّ استقلال الأوطان يأتي صدقة من الغاصبين، هذا ضدُّ سنن الله، وضدُّ وقائع التاريخ، ورحم الله أمير الشعراء شوقي حينما قال:

**ولِلحُرِّيَّةِ الحَمْرَاءِ بَابٌ بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ**[(١)]

إلى متى نقبل الهوان؟ إلى متى نقبل الذل؟

رحم الله أبا الطيب المتنبي حينما قال:

**مَنْ يهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عليه ما لِجُرحٍ بميتٍ إيلامُ**
**ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذليلَ بعَيْشٍ رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمَامُ**[(٢)]

رُبَّ حياة أخفُّ منها الموت، ألم يأن الأوان أن يسحب هؤلاء القادة مبادرتهم العربيَّة ويقولوا: لا مبادرة عربيَّة، لم يعد هناك مجال لها.

---

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٧٢/٢)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) ديوان المتنبي صـ١٦٤، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

لا بد من إيقــاظ المقاومة من جديد، الخطــأ كل الخطأ هو محاولة إيقاف المقاومة، ثمَّ تذهب إلى ســاحة المفاوضة وأنت مهيض الجناح، مُجرَّد السلاح، ليس معك أي قوة، ولا أي ورق ـ كما يقولون ـ تفاوض به وتهدِّد به، ليس معك شيء إلَّا الاســتجداء المخزي، اعملوا معروفًا يا جماعة، لا ترجعونا (مكسوفين)، أعطونا أي شيء. إنَّه قبول الفتات، وحتى الفتات لا يعطيه الإسرائيليون، لأنَّهم أشح الناس، وأجبن الناس، وأحرص النَّاس على حيــاة، وصفهم القرآن فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النســاء: ٥٣]. فهل تريدون أن يجود هؤلاء عليكم باستقلالكم، وأن يهبوا لكم دولة فلسطينيَّة؟! هيهات!

إلى متى يا قومنا؟ يا أيُّها القادة العرب، يا أيُّها الرؤساء العرب، اتقوا الله في كرامتكم، اتقوا الله في أمَّتكم، اتقوا الله في شعوبكم، آن لكم أن تنفضوا هذا الهزل الَّذي لم يجلب علينا شــيئًا، أمريكا تســوقنا ســوْقًا، ونحن لها طائعون، ثمَّ لا نُحصِّل شــيئًا في النهاية، لا كبيرًا ولا صغيرًا، وليست هذه المرة الأولى ولا الثانية ولا الثالثة.

أدعو هؤلاء القادة الَّذين حمَّلهم الله مسؤوليتي، ومسؤوليَّة أبناء هذا المسجد، ومســؤوليَّة العرب في كل مكان: أن يرجعوا إلى شعوبهم، أن يسمعوا صوت شــعوبهم، أن يحسوا بنبض هذه الشــعوب: ماذا تريد؟ وبماذا تشعر؟ وماذا تطلب؟

أسأل الله ﷻ أن يُهيِّئ لهم من أمرهم رشدًا، وأن يُهيِّئ لهذه الأمَّة من أمرها رشــدًا، وأن يجعل يومها خيرًا من أمسها، ويجعل غدها خيرًا من يومها، ويحسن عاقبتها في الأمور كلها، اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإســرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٧

# عناية الإسلام بالجسم الإنساني

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

شـاركت ليلة أمس في ندوة نظمتها وزارة الصحة في قطر ومؤسسة حمد الطبية حول العناية المركزة للمرضى وما يتعلق بها، اشـترك فيها فقهاء وأطباء وقانونيون، وبعد أن عرضـت مع إخواني بعض ما جاء به الإسلام من تعاليم حول هذه النواحي.

قال لي بعض الإخوة: ما كنا نعلم أنَّ الإسلام له عناية بهذه النواحي إلى هذه الدرجة، كنا نظن أنَّ الإسلام يعنى بالجوانب الروحية والإيمانية والأخلاقية، أمَّا أن يعنى بالجوانـب المادية والبدنية والطبية فهذا ما كنا نعلمه، وللأسف كثير من المسـلمين الذين ينتسـبون للإسلام بالاسم والعنوان يجهلون الكثيرَ الكثير من تعاليم الإسلام وحقائقه.

الإسلام رسالة شاملة جمعت بين الدين والدنيا، ومزجت بين الروح والمادة، واهتمت بالعقل والقلب، وعنيت بالإنسان كل الإنسان، الإنسان في جسمه، والإنسان في روحه، والإنسان في عقله، والإنسان في وجدانه وعاطفته، عني الإسلام بذلك كله، ولهذا ينبغي أن نلقي شعاعًا من ضوء

QaradawiBooks.com

على هذه الناحية، ناحية عناية الإسلام بالجسم الإنساني، بالصحة وبالطب بصفة خاصة.

هناك أديان قامت فلسفتها على أنَّ الجسم عدو الروح، وأن روح الإنسان لا ترتقي إلَّا إذا قامت على تعذيب الجسم، واجتهد الإنسان في أن يعذب نفسه ويؤلم بدنه ويحرمه من التمتع بالطيبات، وإذا عرض له داء لا يحاول أن يداويه، عُرف ذلك في أديان وثنية قديمة، وعُرف ذلك في بعض الأديان الكتابية في العصور الوسطى، حتى إن بعضهم كانوا يعتبرون الأمراض من عمل الشياطين، ولذلك لا ينبغي أن تقاوم إلَّا بعمل مضاد، ما يسمونه بـ«الطب الروحاني».

الإسلام نظر إلى الإنسان نظرة واقعية، نظر إلى هذا البدن فعني به كما عني بالروح، أول ما يدرسه المسلم في كتب الفقه «كتاب الطهارة» أي النظافة، التي هي مفتاح الصلاة، فلا يقبل الله صلاة بغير طُهور، الطهارة من الأحداث، والطهارة من الأخباث، الطهارة من الأحداث بالغسل والوضوء، والطهارة من الأخباث ويعنى بها طهارة الثوب والبدن والمكان، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدّثر: ٤]، هذا ما يدرسه المسلم أول ما يدرس من الفقه، الطهارة، النظافة، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «**الطهور شطر الإيمان**»[١]. نصف الإيمان، وشاع بين المسلمين هذه الكلمة التي لم تشع بين أهل أي دين كان: (النظافة من الإيمان).

عني الإسلام بنظافة الجسم كله، وبنظافة أجزاء خاصة منه مثل الأسنان، «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[٢]. مثل الشعر، «**مَن كان له**

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

(٢) سبق تخريجه صـ ١١٢.

QaradawiBooks.com

**شعر فليكرمه»**[١]. مثل ما جاء في سنن الفطرة من إزالة الفضلات تحت الإبط والعانة وتقليم الأظافر ونحو ذلك، عني الإسلام بنظافة الجسم كله، حتى جاء في الحديث الصحيح: «**حق على كل مسلم في كل سبعة أيام: يوم يغسل فيه رأسه وجسده**»[٢]. على الأقل أن يغتسل مرة في الأسبوع، هذا إذا لم يضطر اضطرارًا إلى الاغتسال المفروض شرعًا من الجنابة أو الاحتلام أو المرأة من الحيض أو النفاس أو نحو ذلك.

جاء الإسلام بالنظافة، نظافة الجسم، ونظافة البيت، يقول النبي ﷺ: «**إنَّ الله جميل يحب الجمال، طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود**»[٣]. أفنية الدار الساحة الصالة المدخل، نظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود، وجاء الإسلام بنظافة الطريق، فـ«**إماطة الأذى عن الطريق صدقة**»[٤].

وحذر النبي ﷺ أشد التحذير من أشياء يستهين بها بعض الناس من الجهال، مثل البول في الماء وخصوصًا الماء الراكد، والتبرز في الطريق، أو عند الظل، أو في موارد المياه، وقد كان بعض البدو والجهال يفعلون ذلك، فحذر النبي عليه الصلاة والسلام من هذا وسمى هذه «**الملاعن الثلاث**»[٥]. أي التي تجلب على من فعلها لعنة الله والملائكة والصالحين من الناس.

جاء الإسلام يرتفع بمستوى الصحة ومستوى الذوق عند الإنسان، جاء بهذه التعاليم للعناية بالبدن، حرم على الناس التقشف الذي جاءت

(١) سبق تخريجه صـ ١١٢.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٨٩٦، ٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه صـ ١١٢.

(٤) رواه مسلم في الإيمان (٣٥) (٥٨)، عن أبي هريرة.

(٥) سبق تخريجه صـ ١١١.

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

به أديان أخرى، أنكر على من فعل ذلك، أن يمتنع الإنسان عن أكل الطيبات، أو لبس ما أخرج الله من الزينة تدينًا، وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، أي هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا يَشْرَكهم غيرهم فيها، أمَّا في الآخرة فلهم خاصة، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾؟ وهذه الإضافة إضافة تشريف وتكريم، ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾.

وحينما غلا بعض الصحابة في زهدهم، وحرموا على أنفسهم أن يأكلوا اللحم أو يستمتعوا بالنساء نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۞ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ ـ ٨٨].

أباح الإسلام التمتع بالطيبات وبزينة الله التي أخرج لعباده، ولكنَّه من ناحية أخرى حرم الإسراف في المأكل والمشرب والملبس: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، ولذلك جاء عن النبي ﷺ: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»(١). ينبغي ألا تغلبه شهوة الطعام فيأكل أكثر من حاجته، ويؤدي به ذلك إلى البِطنة، وقد حذر عمر رضي الله عنه منها فقال: إياكم والبِطنة فإنها مَفسدة للبدن، مَكسلة عن الصلاة، مورثة للسقم.

---

(١) رواه أحمد (١٧١٨٦)، وقال مخرّجوه: رجاله ثقات، غير أن يحيى بن جابر الطائي تكلموا في سماعه من المقدام، فإن صح سماعه منه فالحديث صحيح، وإلا فمنقطع. والترمذي في الزهد (٢٣٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٤٩)، والحاكم في الرقاق (٣٣١/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٢٨/٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٥)، عن المقدام بن معديكرب.

QaradawiBooks.com

هكذا جاء الإسلام يحذر من الإسـراف في تناول الطيبات، إنَّها قد تؤدي بالإنسان إلى الأمراض، وليس هناك أفضل من التوازن والاعتدال في كل شـيء، النبي ﷺ يقول: « **المؤمن يأكل في مِعًى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء**»[١]. كأنه ليس له هم في حياته إلَّا الأكل والشرب، ولذلك كأن له أمعاءً سـبعة، أمعاء الناس واحدة، عند المؤمنين والكفار والمنافقين، ولكن هذا يأكل كأنَّما أعطي بدل المِعى الواحد سبعة أمعاء، جاء الإسلام بهذا كله للعناية بالبدن الإنساني.

عناية ببدن الإنسان طالبه أن يتحرك، ألَّا يتثاقل، شرع له من العبادات ما يجعله إنسـانًا خفيف الحركة، الصلوات هذه، خمس صلوات في كل يوم تتوضأ لها، وتذهب إلى الجماعة، وتقوم من الفجر، وتؤديها بطريقة صحيحة، من أداها بطريقة صحيحة كانت لجسـمه صحة وقوة، شـرع الإسـلام هذا وجعل البركة في البكور، دعا النبي ﷺ لأمته أن يبارك الله لها في بكورها فقال: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**»[٢]. ودعا الناس إلى أن ينتشـروا فـي الأرض ويبتغـوا من فضـل الله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

ودعا إلى تقوية الجسم بألوان الفروسية المختلفة، السباحة والرماية وركـوب الخيل، وكل ما يسـتطيع الناس أن يبتكروه مـن هذه الألوان يباركه الإسـلام، فـ«**المؤمـن القوي خيـر وأحب إلى الله مـن المؤمن الضعيف**»[٣]. هذا كله جاء به الإسـلام للحفاظ على الجسم الإنساني،

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٩٣)، ومسلم في الأشربة (٢٠٦١)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (١٥٤٤٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذي في البيوع (١٢١٢)، وقال: حسـن. وابن ماجه في التجـارات (٢٢٣٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٥)، عن صخر الغامدي.

(٣) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ليكون جسمًا نظيفًا سـليمًا قويًا قادرًا على أداء أعبائه الدينية والدنيوية، الجسم مطية الإنسـان يمتطيها للوصول إلى أهدافه، سـواء كانت هذه الأهداف عاجلة أم آجلة، دنيوية أم أخروية، لا بد للإنسان أن يرعى بدنه، وأن يعتبر ذلك عبادة من الله تبارك وتعالى.

وجاء الإسـلام برعاية الجانب الوقائي قبل الجانب العلاجي، عني الإسلام بالطب، ولكنَّه عني بطب الوقاية أكثر من طب العلاج، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج كما يقال، ولهذا حرص على أن يحمي المسلم من الوقوع فيما يهلكه، حرم المسـكرات والمخدرات، ولعن في الخمر عشرة[1]، ونهى المسـلم أن يجلس مجرد جلوس على مائدة يدار عليها الخمر[2]؛ ليحفظ عليه بدنه ونفسه وعقله.

وحرم الإسلام على المسلم الزنا والشـذوذ الجنسي، هذه الفواحش التي يمكن أن تودي بحياة الإنسان، فالمسلم يراقب الله تبارك وتعالى في السر والعلن فيحفظ فرجه عما حرم الله، قد وصف الله المؤمنين المفلحين بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧].

المسـلم يحفظ فرجه ويغض بصره فلا يرتكـب الزنا، ولا يرتكب الشـذوذ، ولا يقع فيما وقعت فيه تلـك المجتمعـات المتحللة، التي أصيبت بما أصيبت، وعاقبها القدر العقاب الذي تسـتحقه، بما نسمعه

(١) رواه الترمذي في البيوع (١٢٩٥)، وقال: غريب. وابن ماجه في الأشـربة (٣٣٨١)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٦٠)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٤٦٥١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الأدب (٢٨٠١)، وقال: حسن غريب، والنسائي في الكبرى في الوليمة (٦٧٠٨)، والحاكم في الأدب (٢٨٨/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن جابر.

QaradawiBooks.com

اليوم من أمراض لا علاج لها، «الإيدز» وما أشبهه، وصدق في ذلك قول النبي ﷺ فيما رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر، أنَّ النبي ﷺ حذر من خمسة أمور، وقال: «**أعوذ بالله أن تدركوهن**»، ومن هذه الأمور الخمسة بل أولها قال: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[1]، ظهور الفاحشة والاستعلان بها بغير حياء في قوم، في مجتمع من الناس، إذا حدث ذلك سلط الله عليهم، تسليطًا قدريًّا، عقوبة سماوية، ولكنها لا تأتي فجأة، إنَّها ارتباط الأسباب بالمسببات حسب سنن الله، «**فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»، هذا ما نراه في هذا المرض الخبيث الذي يسمونه «الإيدز»، أو يعبرون عنه بالإنجليزية بهذه الحروف «AIDS»، نقص المناعة في جسم الإنسان، الله تعالى جهز الجسم الإنساني بأساطيل للإنقاذ والدفاع، جيش عرمرم في هذا الجسم مستعد لمقاومة أي شيء غريب يهدد هذا الجسم، هذا المرض مدمر لهذا الجند الإلٰهي، لهذا الجيش المخبوء في كيان الإنسان، أي لم نصنعه نحن ولا نعرف به، الله جهزه وجعله في دم الإنسان وفي كرياته، يأتي هذا المرض فيدمر هذا الجيش، يقضي على هذا الجند، على هذا الأسطول، يخرق خطوط الدفاع ويحطمها، ويصبح الإنسان بلا مقاومة أمام هذا المرض.

من أين يأتي هذا؟ يأتي من انتشار الفاحشة، والفاحشة هي الزنا أو الشذوذ الجنسي، عمل قوم لوط، كما قال لوط عليه السلام لقومه وقد وجد فيهم هذه الفاحشة

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٤٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٦).

QaradawiBooks.com

معلنة: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١]، قال لهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، فهم مفسدون، مسرفون، جاهلون، عادون، وصفهم بكل الرذائل؛ لأنَّهم مسخوا فطرة الله، حولوا الذكر إلى أنثى، قال لهم لوط: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦].

أي مسخ للفطرة البشرية أن يدع الإنسان امرأته الحلال الطيب ويذهب ليلاقي ذكرًا مثله؟! والغريب أن مجتمعًا بأسره تسري فيه هذه الفاحشة وتسيطر عليه ويصبح كأنه سكران بهذه الفاحشة، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، حتى إنَّ الضيوف لم يسلموا منهم، إذا جاء ضيوف إلى سيدنا لوط سارعوا إليهم، وينظر الإنسان إلى مجادلة لوط لهم: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، كيف يوجد رجل رشيد في أمثال هؤلاء الشذاذ؟ ولهذا كان لا بد أن يطهر الله الأرض منهم، وأن يعاقبهم عقوبتين لا عقوبة واحدة، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣]، أمطر عليهم حجارة كل حجر مُعلَّم يذهب إلى صاحبه، محاهم الله من الوجود، غسل الأرض منهم، فهم الذين ابتكروا هذه الفاحشة، ما سبقهم بها من أحد من العالمين، وورثوها للعالم إلى يومنا هذا.

للأسف هذه الفاحشة تنتشر في تلك المجتمعات المتقدمة، المجتمعات التي بلغ الإنسان فيها ما بلغ من ناحية العلم المادي والتقدم

QaradawiBooks.com

التكنولوجي، استطاع الإنسان أن يصعد إلى القمر، ولكنَّه لم يستطع أن يسعد نفسه على الأرض، ولا أن ينظم حياته، وكيف يسعد نفسه وينظم حياته بعيدًا عن منهج الله ﷻ؟ وإن مما يؤسف له، ومما تتقطع له القلوب زفرات أن نجد هذا الأمر تقره القوانين في بعض تلك البلاد، وأكثر من ذلك أن تقره بعض الكنائس، ويصبح أمرًا حلالًا زلالًا في نظر هؤلاء، أي مسخ أصاب البشرية؟ لهذا لا عجب أن يحدث ما حدث، وأن يكون هذا النذير الإلٰهي، هذا المرض «الإيدز»، عسى أن يتذكر الناس، مئات الآلاف من الحالات في العالم من الناس لا يجدون لها علاجًا، ويموت منهم كل سنة من يموت، وملايين يحملون فيروس هذا المرض، ولا يدرون متى يظهر عليهم آثاره، وملايين آخرون مهددون بأن تصل إليهم العدوى، لهذا حمى الإسلام الإنسان المسلم بهذه المحرمات، حين حرم كل مسكر ومفتر، وحينما حرم الزنا، وحينما حرم عمل قوم لوط، حتى جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»[1]. واختلف الصحابة في قتل من فعل ذلك، أيقتل بالسيف؟ أم يرمى من فوق جدار؛ فإن الله سبحانه وتعالى قلب قرى قوم لوط وجعل عاليها سافلها، فلنرم من فعل من فوق جدار؟ أم؟ أم؟ إلى آخره، ولم يشترطوا في ذلك ما يشترط في الزنا من أن يكون الشخص مُحْصنًا، وكذا، وكذا.

---

(١) رواه أحمد (٢٧٢٧)، وقال مخرِّجوه: ضعيف. وأبو داود (٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٥٦١)، والحاكم (٣٥٥/٤) وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. والبيهقي (٢٣١/٨)، جميعهم في الحدود، عن ابن عباس. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٦٥٥): فيه عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة، عن ابن عباس، وعمرو هذا قد احتجَّ به الشيخان وغيرهما، وقال ابن معين: ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس يعني هذا.

QaradawiBooks.com

إنَّ الأمر خطير، الله ﷻ شرع للإنسان كلَّ ما يحميه، وهذا ما جاء في هذا الدين العظيم الذي أكرمنا الله تعالى به، إنَّ الله إذا حرم على الناس شيئًا لم يحرم ذلك إلَّا لأنَّه يضرهم، فهذا الدين لم يحرم طيبًا، بل كان وصف رسوله في كتب أهل الكتاب أنَّه يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ما حرم إلَّا خبيثًا ضارًّا بالإنسان، الإنسان في نفسه، والإنسان في أسرته، والإنسان في مجتمعه.

الإسلام عني بالجسم، عني بالصحة، عني بالطب، ووضع مبادئ وقواعد لم تعرفها الإنسانية من قبل، قرر هذا المبدأ الذي لم يسمعه الناس من قبل في دين من الأديان حينما قال هذه الجملة الموجزة: «**إنَّ لبدنك عليك حقًّا**»، قال ذلك النبي ﷺ لبعض الصحابة الذين غَلَوْا في التعبد لله، في صيام النهار وقيام الليل والابتعاد عن الزوجات، كما فعل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال له: «**إنَّ لجسدك عليك حقًّا، وإنَّ لعينك عليك حقًّا، وإنَّ زوجتك عليك حقًّا، وإنَّ لزَوْركَ** - أي زوارك - **عليك حقًّا**»[(١)]، وفي رواية: «**فأعطِ كلَّ ذي حَقٍّ حقَّه**»[(٢)]. أي فراعِ لكل ذي حق حقه.

«**إنَّ لبدنك عليك حقًّا**»، هذا البدن نعمة من الله عليك يجب أن تراعيه، وأن تعرف حقه عليك، تطعمه إذا جاع، تنظفه إذا اتسخ، تريحه إذا تعب، تقويه إذا ضعف، تداويه إذا مرض، كل هذه حقوق لا يجوز لك أن تهمل هذا البدن، ولا يجوز لك أن تجور عليه ولا باسم الدين؛ لأنَّه قال له هذا في مقام المبالغة في التعبد، الإسلام شرع الرخص

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم.

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٩٦٨)، عن أبي جحيفة السوائي.

QaradawiBooks.com

والتخفيفات في العبادات حتى لا يتضرر البدن، إذا كان التوضؤ بالماء البارد يضرك فلا تتوضأ وتيمم، وكذلك الغسل.

كان الصحابة في سرية من السرايا ومعهم عمرو بن العاص قائدًا لهم، وأصابته جنابة فلم يغتسل وتيمم وصلى، فشكاه الصحابة إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله كانت الليلة باردة وتذكرت قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٢٩]. فتبسم رسول الله ﷺ[(١)].

أقره على هذا الفهم وهذا الاستنباط، ﴿**وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ**﴾، ﴿**وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ**﴾ [البقرة: ١٩٥]، لهذا كانت الرخص، يباح للمريض أن يفطر في رمضان، وأن يصلي كيف استطاع، «**صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»[(٢)]، هكذا جاء الإسلام، ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦]، «**إذا أمرتكم بأمر، فائتوا منه ما استطعتم**»[(٣)]. وذلك حرصًا على هذا الجسم، ومن هنا انتشر بين المسلمين هذه الكلمة: (صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان، ورب العباد رؤوف رحيم).

جاء الإسلام فشرع التداوي، وقد سأل الأعراب رسول الله ﷺ: أنتداوى يا رسول الله؟ قال: «**نعم، فإن الله ﷻ لم يضع داء إلَّا وضع له شفاء**». ولهذا فتح باب الأمل على مصراعيه أمام الأطباء وأمام المرضى، لا يوجد داء لا دواء له، كل ما علينا أن نبحث عن الدواء، «**يا عباد الله، تداووا فإن الله لم يضع داءً إلَّا وضع له دواء**»[(٤)]. إذا أصاب الدواء الداء

---

(١) رواه أحمد (١٧٨١٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الطهارة (٣٣٤)، وعلَّقه البخاري مختصرًا قبل الحديث (٣٤٥)، عن عمرو بن العاص.

(٢) رواه البخاري في أبواب الصلاة (١١١٧)، عن عمران بن حصين.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٨)، ومسلم في الحج (١٣٣٧)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٣٤٣٦)، ثلاثتهم في الطب، عن أسامة بن شريك.

QaradawiBooks.com

برئ المريض بإذن الله، «**ما أنزل الله من داءٍ إلَّا أنزل له شفاء**»[١]. هذا في الأدواء المادية والأدواء المعنوية، كل شيء له دواء وله شفاء.

شرع الإسلام التداوي، وتداوى النبي ﷺ، وأمر أصحابه أن يتداووا، وحل تلك المشكلة النظرية أو الفكرية عند بعض الناس، وهي مشكلة الإيمان بالقدر، كيف يتداوى الإنسان وكل شيء بقدر الله؟ وقد قال له بعض الصحابة: أرأيتَ رُقًى نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتقاةً نتقيها، ـ أسباب نتقي بها ـ فهل ترد من قدر الله شيئا؟ ـ فكان جوابه الجامع ﷺ ـ: «**هي من قدر الله**»[٢]. علمهم هذه الحقيقة الناصعة: أنَّ الأسباب من قدر الله والمسبَّبات من قدر الله، لمذا ترى أنَّ المرض بقدر الله ولا ترى أنَّ الدواء نفسه بقدر الله؟ الله هو الذي قدر المرض وقدر الشفاء منه بدواء معين، الجوع قدر والطعام قدر، والعطش قدر وشرب الماء قدر، والداء قدر والدواء قدر، فأنت تدفع قدرًا بقدر.

ولذلك حينما ذهب سيدنا عمر إلى الشام وعرف أن هناك طاعونًا وباءً عامًّا أراد الرجوع بالصحابة الذين معه حتى لا يعرضهم للمهالك والمخاطر، فقال له أبو عبيدة بن الجراح ـ أمين هذه الأمة ـ: أنفر من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله[٣]، فما كان أفقه عمر رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري في الطب (٥٦٧٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزامة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٢٩)، ومسلم في السلام (٢٢١٩)، عن عبد الرحمن بن عوف.

QaradawiBooks.com

حل الإسلام هذه المشكلة، وأقر سنة الله في العدوى، قال النبي ﷺ: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»[١]. وجاءه ﷺ رجل مجذوم يبايعه، فقال له: «**ارجع فقد بايعناك**»[٢]. بغير المصافحة والملامسة. بل أقر النبي ﷺ هذه العدوى حتى في الحيوانات وقال: «**لا يوردن مُمْرض على مُصِح**»[٣]. المُمْرض: صاحب الإبل المريضة بالجرب ونحوه، والمُصِح: صاحب الإبل الصحيحة السليمة، فكانت الإبل ترد على الحياض عند سقي الماء فيختلط هذا بذاك، فيُعدي الأجربُ السليم، وفي هذا ضياع للأموال، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يوردن مُمْرض على مُصِح**»، إذا كانت إبلك مراضًا وبها داء الجرب فلا توردها الماء حتى يفرغ الآخرون من سقي إبلهم حتى لا تصاب بالعدوى، هكذا كان الإسلام.

ولأول مرة يسمع الناس بما نسميه الآن (الحجر الصحي) أو (العزل الصحي)، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**»[٤]. وذلك ليحصر الوباء في أضيق نطاق، ولا يخرج الناس من البلد وهم حاملون للميكروب فينقلونه إلى بلاد أخرى.

وهكذا جاء الإسلام بمبادئ في الطب مبادئ عظيمة، قاوم ما يسمونه (الطب الروحاني)، أو (الطب الخرافي)، من الاعتماد على شعوذات

---

(١) رواه أحمد (٩٧٢٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف. والبخاري تعليقًا (٥٧٠٧) مجزومًا به، والبيهقي في النكاح (١٣٥/٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٧٨٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٣١)، وابن ماجه في الطب (٣٥٤٤)، عن الشريد الثقفي.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٧٠، ٥٧٧١)، ومسلم في السلام (٢٢٢١)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٢٨)، ومسلم في السلام (٢٢١٨)، عن أسامة بن زيد.

QaradawiBooks.com

وتعاويذ ورقى وتمائم ونحو ذلك، قال النبي ﷺ: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك**»[١]، «**من علق تميمة، فقد أشرك**»[٢]. يجب على الناس أن يعترفوا بالطب القائم على الملاحظة والتجربة، أمَّا هذا الطب: أن واحد يقرأ عليه بعض أشياء ويكتفي بهذا! لا مانع من الرقى إذا كانت متفقةً مع تعاليم الشرع، أن تكون باللغة العربية، وأن تكون بأسماء الله تعالى وصفاته، مثل ما علمنا النبي ﷺ أن نقول: «**اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلَّا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»[٣]. هذا مجرد دعاء، ولكن هذا لا يمنع أن تفعل ذلك وأنتَ تتناول الدواء، وأنتَ تعرض نفسك على الطبيب، هذا ما جاء به الإسلام.

جاء الإسلام بالدواء وشرع التداوي إذا كان الإنسان يأمُل في التداوي خيرًا، إذا كان يتألم ألمًا شديدًا وهناك دواء ناجع وهناك طبيب مختص يمكن أن يجري الله على يديه الشفاء فلا ينبغي له أن يمتنع عن ذلك، ولكن إذا لم يكن هناك أمل فلا معنى لأن يذهب الناس يمينًا وشِمالًا، وإلى أوربا وإلى أمريكا، ويكلفوا أنفسهم ويكلفوا الدولة، ولا أمل في شفائه قط، فلا معنى له في نظر الإسلام؛ لأنَّه إضاعة للأموال والجهود والأوقات بلا فائدة، وقد قلتُ للإخوة أمس: إنَّ الإسلام لا يمنع أبدًا إذا كان الإنسان في مرض ميؤوس من شفائه حسب الأسباب المعروفة، وحسب القوانين الطبية، وحسب ما يعرفه الناس، فليس هناك مانع أبدًا

(١) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٢)، عن عقبة بن عامر.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٧٥)، ومسلم في السلام (٢١٩١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وهو حي أن ترفع عنه أجهزة الإنعاش الصناعي، ويترك للقدر وللأحوال العادية يتصرف فيه القدر كيف يشاء، لا حرج في ذلك شرعًا؛ ليأخذ سريره مريض غيره، وينتفع بالأجهزة مريض يرجى شفاؤه، ليس في ذلك حرج قط من الناحية الشرعية.

الإسلام عني بالطب، وعني بالصحة النفسية والبدنية، فهناك تبادل وتأثير بين الجسم والنفس، كل منهما يؤثر في الآخر، وقديما قالوا: (العقل السليم في الجسم السليم)، وعلق على ذلك أديب معروف «برناردشو» فقال: بل الجسم السليم في العقل السليم! أنَّ العقل هو الذي يؤثر في الجسم ويدفع الإنسان إلى حماية بدنه، هناك تأثير، أشار النبي ﷺ إلى تأثير القوة النفسية والروحية حينما كانوا يبنون مسجده ﷺ، فكان الصحابة يحملون حجرًا حجرًا، وعمار بن ياسر يحمل حجرين حجرين، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنّ عمارًا ملئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه**»[1]. هذا الإيمان الذي امتلأ به عمار هو الذي جعله يحمل ضعف ما يحمله غيره، وكذلك حينما نهى النبي ﷺ عن الوصال في الصوم ـ والوصال في الصوم أن يأتي المغرب فلا يفطر الإنسان ويستمر في صيامه يومًا آخر أو أكثر من يوم ـ فقالوا: يا رسول الله تنهانا عن الوصال وتواصل؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**وأيكم مثلي؟ إنِّي أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»[2]. إشارة إلى هذه القوة الروحية التي يتمتع بها ولا يوجد عند غيره مثلها، ليس المعنى أنَّه ﷺ يأكل ويشرب، لا، هو لا يأكل ولا يشرب، ولكن عنده ما يغنيه عن الطعام والشراب من الأنس

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٣٩)، عن ابن عباس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام الكتاب والسُّنَّة (٧٢٩٩)، ومسلم في الصيام (١١٠٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

بالله ﷻ، والشعور بالقرب منه سبحانه، مما يجعله مستغنيًا عن الطعام والشراب، كما قال ذلك الشاعر:

**لها أحاديث من ذكراك تشغلها — عن الطعام وتلهيها عن الزاد**

**إذا اشتكت من كَلال السير أوعدها — روحُ القدوم فتحيا عند ميعاد**(١)

هذا بعض ملامح من موقف الإسلام من الصحة والطب والعناية بالجسم الإنساني، فهذا الدين دين شامل، رسالة عامة شاملة، جاءت لتنظم الحياة وفق منهج الله تبارك وتعالى، ليس معنى أنَّ الإسلام جاء بالتفاصيل الطبية، لا، الطب يُترك لأهله، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، هذا في كل علم من العلوم، وفي كل اختصاص من الاختصاصات يُرجع الأمر إلى أهله، ولهذا حينما جاء طبيبان عند النبي ﷺ لعلاج بعض الصحابة قال لهما: «**أيكما أطب؟**»(٢). يعني من أمهر وأحذق في هذا الفن من صاحبه؟ فأشير إلى أحدهما، فتول هو العلاج، يعني ليس البحث فقط عن الطبيب، بل ابحث عن الأمهر، ابحث عن الأحذق ما استطعت، ابحث عن أخص الناس لعلاج مرضك.

هذا هو الإسلام العظيم الذي أكرمنا الله تعالى به، نسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنَّه سميع قريب، أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، ادعوا ربكم يستجب لكم.

* * *

(١) من شعر إدريس بن أبي حفصة، كما في زهر الآداب للحصري القيرواني (٢/٥٥١)، نشر دار الجيل، بيروت.

(٢) رواه مالك في العين (٣٤٧٤) تحقيق الأعظمي، وقال الحافظ في فتح الباري (١٠/١٣٤): مرسل.

QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

الحمـد لله ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، وخذ بأيدي إخواننا المضطهدين والممتحنين في سائر أرض الإسلام، اللهم أيدهم بروح من لدنك، وأمدهم بملأ من جندك، اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام.

QaradawiBooks.com

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنا، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ونبيِّك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وأقم الصلاة.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

# ٨

# الهجرة النبويَّة والمجتمع الإسلامي الجديد(١)

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### الهجرة بداية التأريخ الإسلامي:

تستقبل الأمة الإسلاميَّة اليوم عامًا جديدًا، تستقبل العام الرابع من قرنها الخامس عشر الهجري، تضيف إلى رصيدها التاريخي الكبير عامًا جديدًا، لا ندري أيكون هذا العام لها أم يكون عليها؟!

تتذكَّر الأُمَّة الإسلاميَّة اليوم حدثًا من الأحداث الجليلة، تتذكَّر هجرة الرسول ﷺ من مكَّة إلى المدينة، ذلك الحدث الَّذي جعله الصحابة رضوان الله عليهم بداية لتاريخ الأُمَّة؛ ذلك لأنَّه كان بداية لتأسيس الدولة الإسلاميَّة.

### الدولة في الإسلام:

لم يكن الإسلام دينًا فرديًّا مُهمَّته أن يقيم علاقة بين ضمير العبد وربِّه، ولكنَّه كان إلى جوار تكوين الفرد الصالح، الإنسان المتكامل في رُوحه

(١) ألقيت بالدوحة في غُرَّة شهر محرم عام ١٤٠٤هـ الموافق ٧ أكتوبر ١٩٨٣م.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وبدنه وعقله ووجدانه وشخصيَّته يسعى إلى مجتمعٍ فاضلٍ مؤسَّس على تقوى من الله ورضوان، كان يسعى إلى تكوين دولة ربَّانيَّة إنسانيَّة أخلاقيَّة عالميَّة تقيم العدل والإحسان، وترفع عن الناس الظلم والعدوان، وتمكِّن لدين الله وكلمته أن تعلو في الأرض، كان الإسلام يسعى إلى هذا.

لم يكن يرضى أبدًا أن يعيش في ظلِّ ظلمٍ أو جورٍ أو طاغوت، لم يكن يقبل أن يدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. ولكنَّه كان يريد أن يكون قيصر وما لقيصر لله الواحد القهَّار، يريد أن تخضع الحياة كلُّها لسلطان الله، لأمر الله ونهيه، لدين الله، يريد أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله تعني الحقَّ والخير والعدل والتعاون على البرِّ والتقوى، ولذلك كان يسعى إلى أرض يُقام فيها سلطان الإسلام، لا بدَّ من أرض تتوطَّد فيها دعائم الإسلام بلا منازع، وأراد الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الأرض الَّتي تقوم فيها قاعدة الإسلام الأولى ودولة الإسلام الأولى هي أرض يثرب، أرض الأوس والخزرج.

### سعيُ النبيِّ لإقامة قاعدة ودولة للإسلام:

ولهذا كان سعيُ النبيِّ ﷺ لهذا الأمر لا يفتأ ولا يملُّ، في كلِّ موسم حجٍّ يعرض دعوته على قبائل العرب، عسى أن يجد فيهم من ينصر دعوته ومن يمنعه من أولئك الَّذين يريدون أن يجتثُّوا هذه الدعوة من جذورها، فكان منهم من يشترط عليه أن يكون له الأمر من بعده، ظنُّوه مُلكًا مثل ذلك الَّذي عرفوه عند الأكاسرة والقياصرة يُورَث ويُوهَب، فكان يقول لهم: «**لا، إنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده**»[1]. لا يقبل من أحد إلَّا من رضي بدينه، إلَّا من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمُحَمَّد نبيًّا ورسولًا.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٣٠٩)، عن نعيم الأشجعي.

QaradawiBooks.com

كم عرض على قبائل العرب دعوتــه، ووعدهم على ذلك أن تكون لهم الدُّنيا والآخرة معًا، أنَّ تدين لهم الأكاسرة والقياصرة، أن يصير إليهم ملك فارس والروم، فكان منهم من يتعجَّب، ومنهم من يهزأ، ومنهم من يقول: انظروا، يعدنا أن نرث ممالك كسرى وقيصر! وكان كسرى وقيصر كالروس والأمريكان فــي عصرنا، إذا قلت لأهل قطــر أو أهل الخليج: إنَّكم سترثون مُلك الروس والأمريكان في سنين عددًا. ماذا يقول النَّاس؟ ولذلك كان أبو لهبٍ يمرُّ على القبائل بعد أن يَعِدَهم النبيُّ ﷺ بما يعدهم به، فيقــول لهم: إنَّ هذا مجنون يهذي فلا تســمعوا لــه. فيقول بعضهم لبعــض: صحيح؛ لأنَّه يعدنــا أن نرث ممالك كســرى وقيصر. ما كانوا يظنُّون أن تقوم لهذه الدعوة قائمة.

**إسلام الأنصار رضي الله عنهم:**

ظل النبيُّ ﷺ يعرض دعوته على القبائل حتَّى هيَّأ الله يومًا أناسًــا ادَّخرهم لهذه الرســالة، ادَّخرهم لهذه المَكْرُمة، هم الأوس والخزرج من سكَّان يثرب، كانوا هم المرجوين لغد الإسلام، شرح الله صدورهم لهذا الدين، فما إن عرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن حتَّى آمن منهم من آمن، آمن ستَّة نفر منهم في أوَّل الأمر، وفي السنة الَّتي تلت جاء عدد أكبر، وأرســل إليهم الداعية الأوَّلَ الشابَّ المؤمن الَّذي ترك المال والنعيم في ذات الله مُصْعَب بن عُمَيْر، هجر النعمة، هجر المال، هجر الأبوَيْن، هجر كلَّ شــيء في ذات الله، وذهــب يُعَلِّم هؤلاء في المدينــة، الداخلين الجــدد في الإســلام، يُقرئهم القــرآن، ويُعلِّمهم الإســلام، ويغرس في قلوبهم معاني الإيمان، حتَّــى لم يبق بيت من بيوت يثرب إلَّا دخله الإسلام.

QaradawiBooks.com

## بيعتا العقبة:

كانت بيعة العقبة الأولى، وكانت بيعة العقبة الثانية، بايعهم النبيُّ ﷺ في موسم الحجِّ بيعتَيْن، وكانت البيعة الثانيةُ على أن يمنعوه ويحموه مما يمنعون منه أنفسهم وذراريَّهم وأهليَهم، قالوا: وما لنا على ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «**لكم على هذا الجنَّة**». فقالوا: رضينا، لا نُقيل ولا نستقيل[١]. ما عاد هناك إقالة ولا رجعة في هذه البيعة، عاهدوا الله ورسوله على أن ينصروا الإسلام، وقال أحدهم: أتدرون علام تبايعون الرجل؟ إنَّكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، سيرميكم النَّاسُ عن قوس واحدة. فقالوا: نحن لها. وعاهدوا الله ورسوله[٢].

وجُنَّ جنون قريش، كانت صدمةً عنيفة أن يجد مُحمَّد من هؤلاء الأبطال الأشدَّاء من ينصره ويمنعه بعد أن ظنُّوا الظنون، ظنُّوا قبل ذلك أنَّ هذه الدعوة لم يعد لها من ينصرها، أنَّها تجمَّدت في مكَّة فقلَّ من يدخل فيها، عرض محمد ﷺ نفسه على ثقيف أهل الطائف، فردُّوه أقبح ردٍّ، عاد وقد أدمَوْا قدميه بالحجارة، وأدموا قلبه برديء الكلام[٣]، ظنُّوا أنَّه لن تقوم لهذه الدعوة قائمة، ولكن الله كان يُدبِّر أمرًا، فهيَّأ هؤلاء الرجال من أبناء يثرب لنصرة الدعوة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٩٩/١٤)، عن محمد بن كعب القرظي.، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٣٣٢).

(٣) انظر: زاد المعاد (٢٨/٣)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

**الأمر بالهجرة إلى المدينة:**

وكان النبيُّ ﷺ قد أمر أصحابه بالهجرة إلى هذه الدار الجديدة، إنَّها ليست مهاجرًا يلوذون فيه كالحبشة الَّتي لجؤوا إليها من قبل فرارًا بدينهم وعقيدتهم، لا، ليست مجرَّد ملاذ، وليست مجرَّد مكان لطلب الأمان أو الاستقرار المؤقَّت، لا، هذا مُهاجَر جديد، إنَّه مكان استقرار، إنَّه أرض عربيَّة في جزيرة العرب، والقرآن عربيٌّ؛ فلا بدَّ أن يكون المُهَاجرُ عربيًّا، ولا بد أن يكون عصبته وحماته من قلب جزيرة العرب، ولهذا كان لهذا المُهَاجر معنى جديد أدركه المشركون بحسِّهم، لم ينزعجوا حينما هاجر المسلمون إلى الحبشة، بل وُجِد منهم من أشفق عليهم، وإذا انزعجوا فقد كان انزعاجهم محدودًا، أمَّا هنا فإنَّهم قد جُنَّ جنونهم، ماذا يصنع هؤلاء إذا انضمَّ أبناء قريش وأبناء مكَّة إلى أبناء يثرب، وكانت منهم قوَّة جديدة للإسلام، ثمَّ انضمَّ إليهم من قبائل العرب من يقتنع بهم، لهذا حاولوا أن يمنعوا المسلمين من الهجرة وأن يوهوهم، ومن هنا استخفى المسلمون بهجرتهم، خرجوا سرًّا ليلًا أفرادًا وجماعات قليلة، إلَّا عمر بن الخطاب، فإنَّ شخصيَّته القويَّة أبت عليه أن يُهاجر سرًّا، بل ذهب إلى الكعبة فطاف بها سبعًا، والملأ والأشراف من قريش بجوارها، فقال لهم في قوَّة المؤمن وإيمانِ القويِّ: شاهت الوجوه، لا أرغم الله إلَّا هذه المعاطس ـ أي هذه الأنوف ـ من أراد منكم أن تَثْكَلَه أمُّه أو تُرَمَّل زوجته أو يُيتَّم ولدُه، فليتبعني وراء هذا الوادي فإنِّي مهاجر. قال هذا وهو مُتَقلِّد سيفه، متنكِّب رُمْحه، آخذ أسهمه، مُعِدٌّ للأمر عُدَّته، فسكتوا ولم يتَّبِعْه أحد(١).

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/٥١، ٥٢)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

هاجر المسلمون إلى هذا المكان الجديد الَّذي أراد النبيُّ ﷺ أن يكون هو مَهْبِطَ الإسلام الجديد، ومستقرَّ دولته الجديدة.

**إذن الله لرسوله بالهجرة:**

ثمَّ أذن الله لرسوله ﷺ أن يُهاجر فبدأ يُعِدُّ للأمر عُدَّته ويتَّخذ له أُهْبَته، يُهَيِّئ للأمر كل ما يستطيع الإنسان بمقدرته البشريَّة أن يُهَيِّئه، ويدع الباقي إلى الله سبحانه وتعالى، خطَّط ورتَّب ونظَّم، الرواحل الَّتي يركبها، الدليل الَّذي يصحبه في الطريق، الرفيق الَّذي يكون معه، المأوى الَّذي يلجأ إليه مؤقَّتًا حتَّى يخفَّ عنه طلبُ قريش، من يبيتُ في مكانه حتَّى يُعمِّي على قريش.

وكان القوم قد أرادوا أن ينالوا منه، فجمعوا له ثلاثين فتًى شابًّا جلدًا من قبائل مختلفة يضربونه ضربةَ رجلٍ واحد، فيتفرَّقُ دمُه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب الجميع[1]، كانوا يمكرون والله يمكر، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

رتَّب النبيُّ ﷺ ما رتَّب، وخرج والقوم على الباب وهو يتلو سورة يس إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]. فأغشاهم الله وأعماهم فلم يروه، بذل ما عنده، وترك ما ليس في مقدرته إلى الله؛ فكفله الله تعالى ولم يتخلَّ عنه.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٨١/١، ٤٨٢)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

QaradawiBooks.com

### أخذ النبيِّ ﷺ بالأسباب:

ذهب إلى غار ثور، وهو غار في قمة جبل في طريق وعر صعب، صَعِد إليه وهو في جنوب مكَّة في الطريق إلى اليمن، مع أن يثرب الَّتي يذهب إليها في شمال مكَّة في الطريق إلى الشام، ولكنَّه أراد أن يُعمِّي على القوم، من تمام الخطَّة أن يتَّخذ طريقًا لا يخطر ببال القوم، استخفى فيه، ولا مانع للإنسان أن يستخفي، وأن يحتمي، وأن يأخذ الحذر، وأن يأخذ بالأسباب، فهذا لا ينافي التوكُّل على الله أبدًا.

رتَّب من يجيء له بالزاد، ومن يجيء له بأخبار القوم، ومن يُعَفِّي على آثار هؤلاء، كل إنسان له دور، أبو بكر له دوره في الهجرة، وعليٌّ له دوره في الهجرة، وأسماء بنت أبي بكر لها دورها، وعبد الله بن أبي بكر له دوره، وعامر بن فُهَيْرة راعي أبي بكر له دوره، يأتي بالغنم ويعود بها.

### معيَّة الله لرسوله:

كل إنسان يقوم بما يجب عليه، ثم ما يعجز المرء عنه ليس له إلَّا الله ﷻ، حينما أراد جماعة من دهاة قريش وعتاتها أن يذهبوا إلى الغار، ووقفوا على فم الغار، ولم يكن أمامهم إلَّا أن يطأطئ أحدهم رأسه ويحني ظهره فيرى أنَّ في الغار أناسًا، لكنَّهم لم يُكَلِّفوا خواطرهم أن يفعلوا هذا، ردَّهم اللهُ على حين كان أبو بكر يغلي قلبه وجلًا وإشفاقًا على النبيِّ ﷺ، ويقول: يا رسول الله، لو نظر أحدُهم تحت قدمَيْه لرآنا. فيقول له النبيُّ ﷺ وقد أنزل الله عليه سكينته: «**يا أبا بكر، ما ظنُّكَ باثنين الله ثالثهما؟**»(١). ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠]. كان قلبه مليئًا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي بكر الصديق.

QaradawiBooks.com

بالشعور بهذه المعيَّة الإلٰهيَّة، أنَّه في معيَّة الله وأنَّ الله في معيَّته، ومن كان الله معه فلن يضيع ولن يذلَّ أبدًا.

انظروا إلى هذه الكلمة: إنَّها تشبه الكلمة الَّتي قالها موسى عليه السلام حينما أدركه فرعون بجنوده، وقد وقف أمام البحر، البحر من أمامه وفرعون من ورائه، وليس له ملجأ ولا منجى من الله إلَّا إليه، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢]، وهنا يقول مُحَمَّد ﷺ لصاحبه: «**إنَّ الله معنا**».

ولا عجب أنْ ردَّ الله المشركين على أعقابهم خاسرين لم ينالوا شيئًا، كما قال الله تعالى: ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٤٠]. أيَّده بجنود لم تروها، هذا ما جعل بعض العلماء يقول: إنَّه لم يكن هناك عنكبوت ولا حمام ولا شجرة، ولم يصحَّ في الشجرة ولا الحمام شيء، وورد في العنكبوت حديثٌ ضعَّفه بعض العلماء وحسَّنه بعضهم، والآية تقول: ﴿**بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾. إنَّها القوَّة القاهرة، أن يكون مُحَمَّد على بُعْد أقدام منهم، لو نظر أحدهم تحت قدمَيْه لرآه، ولكنَّه لم يفعل، إنَّه قهر الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿**وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا**﴾، كلمة الله هي العليا دائمًا؛ لأنَّها كلمة الحقِّ والعدل، ﴿**وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾، عزيز: لا يَذِلُّ من التجأ إليه، حكيمٌ: لا يُضيِّع من وثق بتدبيره.

QaradawiBooks.com

## الربَّانية والمسجد أوَّل أسس المجتمع الإسلامي:

يا أيُّها الإخوة، هاجر رسول الله ﷺ من مكَّة إلى المدينة، وأقام هناك دولة الإسلام الأولى، أسَّس مجتمعًا أقامه على الربَّانيَّة، على العبادة لله، فالله تعالى ما خلق الناس إلَّا ليعبدوه، ولهذا كان أوَّلُ ما أنشأه في المدينة المسجد، أوَّل مؤسسة؛ كانت هي المسجد، نزل في قباء في الطريق إلى المدينة، فأسَّس مسجد قباء، وهو مسجد أُسِّس على التقوى من أوَّل يوم، ولما مكث مدَّة في المدينة بنى مسجده الشريف ﷺ.

## التوازن بين الدُّنْيا والآخرة:

قام المجتمع الإسلامي على الربَّانيَّة، على العبادة لله تبارك وتعالى، ولكنَّه لم يكن مجتمعًا قائمًا على الرُّوحانيَّة وحدها، بل تكاملت فيه الروحانيَّة والمادِّيَّة، اجتمع له الدِّين والدُّنْيا معًا، ولذلك بعد المسجد أنشأ النبيُّ ﷺ السوق، أنشأ سوقًا للمسلمين بدل سوق بني قَيْنُقاع، كانت سوق يثرب يسيطر عليها اليهود من بني قينقاع، فأراد النبيُّ ﷺ أن يستقلَّ المسلمون بسوقهم وأنشأ لهم سوقًا، وقال: هذه الناحية لتجَّار كذا، وهذه الناحية لتجَّار كذا، وهذه الناحية لتجَّار كذا.

نظَّمها بنفسه، وكان يخرج بين الحين والحين ينصح التُّجَّار ويرشدهم حتَّى لا يأكلوا أموال الناس بالباطل، ولا يُطَفِّفوا المِكْيَالَ والميزان، ولا يغشُّوا ولا يحتكروا ولا يظلموا، «**ومن غشَّ فليس منَّا**»(١).

## المؤاخاة بين أهل المدينة:

أقام النبيُّ ﷺ مجتمعه الجديد على الدِّين والدُّنْيا، كما أقام هذا المجتمع على الإخاء والمَحَبَّة بين الناس بعضهم وبعض، كان يمكن أن

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، وأحمد (٧٢٩٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

يكون في هذا المجتمع سلبيَّات كثيرة؛ لأنَّه يجمع أناسًا من الشمال وأناسًا من الجنوب، أناسًا من عرب قحطانَ وأناسًا من عرب عدنان، أناسًا من أبناء البلد، وآخرين وافدين عليهم، ولكنَّ الإسلام أذاب هذه الفوارق كلَّها.

بل إنَّ الأنصار رحبوا بالمهاجرين ترحيبًا لا مثيل له، حتَّى كانوا يتنافسون على استضافتهم وإيوائهم، كلٌّ يريد أن يكون له حظٌّ من إخوانه المهاجرين، ولم ينزل مهاجريٌّ على أنصاريٍّ إلَّا بقرعة(١)، فصلت بينهم القرعة من شدَّة التنافس والتزاحم.

وجدنا سعد بن الرَّبِيع الأنصاريَّ يقول لعبد الرحمن بن عوفٍ المهاجر: إنِّي من أكثر الأنصار مالًا فخُذْ شطرَ مالي، أنت النصفُ ويكفيني النصف، ولي زوجتان انظرْ إلى أوقعهما في قلبك أُطَلِّقها لك حتَّى تستوفي عِدَّتَها فتتزوَّجها، ولي داران اختر إحداهما. فماذا قال عبد الرحمن؟ أمام هذا الإيثار النبيل كان هناك عفاف نبيل أيضًا، قال له: بارك الله لك في أهلك، وبارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في دارك، إنَّما أنا امرؤ تاجرٌ فدُلَّني على السوق(٢). أنا أكسب بكَدِّ يميني، وعَرَقِ جبيني، وعمل عَقْلي.

وذهب عبد الرحمن إلى السوق ينافس تجَّار اليهود، وقد بدأ من الصفر، ولم تمضِ سنون قليلة حتَّى كان من أعظم التجَّار في العالم كلِّه، حتَّى قالوا: إنَّه لما مات ترك ذهبًا قُطِّع بالفؤوس(٣). كان ذلك من التجارة الحلال، رغم ما بذلك في سبيل الله، وما جهَّز من جيوش، وما أعطى للمساكين.

---

(١) كما في حديث الذي رواه البخاري في الشهادات (٧٠٠٣)، عن أم العلاء ـ امرأة من الأنصار ـ قد بايعت النبي ﷺ، أخبرته أن عثمان بن مظعون طار له سهمه في السكنى، حين أقرعت الأنصار سكنى المهاجرين.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٣٧)، ومسلم في النكاح (١٤٢٧)، عن أنس.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٣٦/٣)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

هكذا آخى النبيُّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار، لم يكن هناك تنافس، بل كان هناك تحابٌّ وإيثار، وصف الله الأنصار في استقبالهم للمهاجرين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. لا ينافسونهم ولا يحسدونهم، بل يُؤثِرُونهم على أنفسهم.

هذا هو المجتمع الجديد، مجتمع المهاجرين والأنصار، مجتمع الربَّانيِّين الصادقين، ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

يأتي أولئك الماديُّون الَّذين يُفَسِّرون التاريخ تفسيرًا ماديًّا ليقولوا لنا: أين الماديَّة وراء هؤلاء الذين أُخرجوا من كل شيء، تركوا المال، وتركوا العقار، وتركوا البساتين، وتركوا التجارات، وتركوا الأهل والعشيرة، لا لشيء إلَّا لله؟! ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، خرجوا من مكَّة وهي أحبُّ البلاد إليهم، لأنَّها مسقط الرأس، ومنبت النفس، ومرتع الطفولة، وملعب الشباب، ومجمع الأُلفاء، وملتقى الأحباء، ومع هذا هي البلد الحرام، وفيها البيت الحرام، بيت إبراهيم وإسماعيل، وفيها الذكريات كلُّ الذكريات، تركوا هذا كلَّه لله، مجتمع المهاجرين الصادقين ومجتمع الأنصار الفدائيِّين الَّذين كانوا للإسلام حرَّاسًا وحُفَّاظًا لا يريدون شيئًا إلَّا نصرة هذا الدِّين، وُصِفوا في الأثر بأنَّهم: يكثُرون عند الفزع ويَقِلُّون عند الطمع[1]. في الشدائد ما أكثرَهم! وعند الغنائم ما أقلَّهم، على خلاف الكثيرين من النَّاس.

(١) رواه الواقدي عن ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن محمود بن لبيد. ذكره الخطابي في غريب الحديث (٦٨٢/١)، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، نشر دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

QaradawiBooks.com

هذا هو المجتمع الجديد، إخاء، محبَّة بين الجميع، كان المسجد النبوي يضمُّ هؤلاء على ما بينهم من اختلافٍ في نظر الآخرين، كان يضمُّ الغنيَّ مثل عثمان بن عفَّان وعبد الرحمن بن عوف، ويضمُّ الفقير مثل عمَّار بن ياسر، كان يضمُّ الأبيض والأسود، ويضمُّ العربيَّ وغير العربي، مثل بلال الحبشي وسلمان الفارسيِّ وصُهَيْب الرُّومي، كان يضمُّ الرجال والنساء، كان يضمُّ البدو والحضر، كان يضمُّ الجميع على اختلافهم في رحابه الفيحاء، ألف بينهم الإسلام، ويوم أراد أحد اليهود أن يثير بينهم النعرات الجاهلية ويُذكِّر الأوس والخزرج بالحروب الَّتي بينهم، وقُتل فيها من قُتل، وتنادى بعضهم بالسلاح استجابة لدعوى الجاهليَّة، يوم ذاك خرج النبيُّ ﷺ يُذَكِّرهم بالإسلام، ويقول: «**أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنَّها مُنْتنة**»[1]. وذكَّرهم اللهَ والإسلامَ، وتلا عليهم القرآن، فبكوا وعانق بعضهم بعضًا، وعرفوا أنَّها نزغة شيطان، ونزل في ذلك قول الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٠٠][2]، أيْ بعد أخوتكم متعادين، وبعد حِدَّتِكم مُتفرِّقين، عبَّر عن التفرُّق والعداوة بالكفر، ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: ١٠١]. إلى أن قال: ﴿**وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٤)، عن جابر.

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي (٢/٢٣٣)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

## مجتمع الجهاد:

أقام النبيُّ ﷺ مجتمع المدينة على دعائم من الربَّانيَّة، من الدِّين والدُّنْيا، من الأُخوَّة، وكذلك من الجهاد، فقد كان مجتمعَ جهاد، مجتمعًا قائمًا على الجهاد في سبيل الله ليحمي نفسه في وجه المؤامرات الَّتي تحيط به من كل جانب، الجبهة الوثنيَّة، والجبهة اليهوديَّة الَّتي عاهدها النبيُّ ﷺ ولكنَّها غدرت ولم تفِ بما وعدت، والجبهة النصرانيَّة البيزنطيَّة في دولة الرومان، والجبهة المجوسيَّة المتربِّصة في فارس من عُبَّاد النار، وجبهة المنافقين في الداخل الَّذين يُرُون المسلمين وجهًا ويُرون أعداءَهم وجهًا آخر، ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٤]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

من أجل هذا كان لا بدَّ من جهاد طويل، ولذلك غزا النبيُّ ﷺ بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، وجهَّز أكثر من خمسين سَرِيَّة بعث فيها أصحابه، لم يبق بيت من بيوت المدينة إلَّا وقدَّم شهيدًا أو عدَّة شهداء، حياة كلها جهاد، هذا هو الإسلام.

## لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيَّة:

إنَّ روح الهجرة هي الجهاد، إذا لم نستطع أن نهاجر اليوم، فإننا نستطيع أن نجاهد في سبيل الإسلام، وقد قال النبي ﷺ بعد فتح مكَّة: «**لا هجرةَ بعد الفتح** ـ أي من مكَّة إلى المدينة ـ **ولكنْ جهادٌ ونيَّة، وإذا استُنفرتم فانفروا**»(١). الهجرة يمكن أن تنقطع، ولكن الجهاد لا ينقطع، الإسلام في حاجة إلى من يجاهد في سبيله.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسِّيَر (٢٧٨٣)، ومسلم في الإمارة (١٣٥٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

رُوح الهجرة هي البذل، هي التضحية، هي العطاء من أجل الإسلام، إذا كان المهاجرون قد هاجروا وتركوا كلَّ شيء في سبيل الله، فعلينا نحن أن نقتدي بهم، أن نبذل لديننا، أن نُهاجر إلى الله ورسوله بالخروج ممَّا يطلب الإسلام منَّا أن نخرج منه، إذا طلب منَّا المالَ بذلناه، إذا طلب منا الرُّوح أعطيناها، إذا طلب منَّا الوقت لم نضنَّ به، إذا طلب منَّا التعاون في سبيل قضيَّة كبيرة قدَّمناه.

الإسلام يريد صحابة جُددًا، يريد مهاجرين وأنصارًا من جديد، فأين المهاجرون والأنصار؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]. أين المسلمون الَّذين يقومون بنصرة هذا الدِّين في وقت وجد كلُّ دين من ينصره، وكلُّ نِحْلة وجدت لها من يدافع عنها؟

اليهوديَّة وجدت من يُقيم لها دولة، أقاموا إسرائيل في قلب ديارنا في الأرض المُقَدَّسة، أرض المسجد الأقصى، أرض النبوَّات، في قلب بلاد العروبة والإسلام، قامت اليهوديَّة بعد أن عفا عليها الزمن ونسيها التاريخ وكنسها بمكنسته، قامت تحيا من جديد لتقيم دولة دينيَّة على أحلام التوراة والتلمود، اليهوديَّة وجدت لها رجالًا ونساءً يعملون من أجلها، فجيش إسرائيل من الرجال والنساء.

والنصرانيَّة وجدت من ينشرها في العالم، مُبَشِّرون ومُبَشِّرات، ورهبان وراهبات، تُنفق عليهم عشرات ومئات الملايين، فأين من يُقَدِّم للإسلام؟

الشيوعيَّة، الإلحاد الأحمر، المبدأ الباطل الَّذي لا يعترف بعقائدَ ولا بقيمٍ ولا بأخلاقٍ ولا بشيءٍ ثابت على الإطلاق - وجدت من ينشرها، ومن يعمل لها، وأقامت لها دولًا في الشرق والغرب، وكذلك

QaradawiBooks.com

القاديانيَّة والبهائيَّة، حتَّى الوثنيَّة تجد من يدافع عنها في بلاد الوثنيَّة، أين من يدافع عن الإسلام؟ أين من يبذل للإسلام؟

لقد قال ذلـك الرجل الَّذي قرأ عن الإسـلام وأُعجب به كلمة ربَّما ذكرتها لكم من قبل، قال: يا له من دينٍ لو كان له رجال! والمسلمون من حيث العدد كمٌّ هائل، هناك مليار، ألف مليون من المسـلمين في أنحاء العالم منسـوبون إليه ومحسـوبون عليه، فهل هم رجال الإسلام؟ هل يكون منهم مهاجرون وأنصار؟ هذا ما نريده.

إن كنَّا نحتفل بالهجرة، إن كنَّا نتذكَّـر هذا الحادث فليكن عبرتنا منه العطاء، البذل من أجل الإسـلام، التضحية في سبيل الإسلام، أن نكون مسـلمين حقًّا، مؤمنين صدقًا، وليس أصحاب رسـول الله ﷺ ملائكة، كانوا بشرًا مثلنا، فرق ما بيننا وبينهم أنَّهم نشؤوا في الجاهليَّة ونشأنا نحن في الإسلام، منَّ الله عليهم بهذا الدِّين فارتفعوا به، والدينُ قائمٌ بقرآنه وسُنَّة نبيِّه، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فلننصر الإسلام، ولنتعاون في سبيله؛ حتَّى نقيم رسالته في الأرض، ونُمَكِّن لتعاليمه، ونكـون كما أراد الله لنا، وكما أحبَّ لنا مسـلمين صادقين.

نسأل الله ﷻ أن يغفر لنا ما مضى، وأن يُصلح لنا ما بقي، وأن يجعل يوم المسلمين خيرًا من أمسهم، وغدَهم خيرًا من يومهم.

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله تعالى لي ولكم فاسـتغفروه، إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجبْ لكم.

* * *

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيها الإخوة المسلمون:

**كشف حساب لعام مضى:**

مضى عام على المسلمين رأوا فيه من الأهوال ما رأوا، رأوا فيه من تفرُّق الكلمة، ومن التنازع فيما بينهم، بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتَّى، أصبحوا موصوفين بما وُصِف به اليهود من قبل، وصف الله المسلمين بأنَّهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، فأصبح المسلمون أشدَّاء على أنفسهم رحماء بغيرهم.

رأينا عامًا ذُبح فيه من المسلمين من ذُبح، وقُتل من قُتل، وهُدِّم من عمرانهم ما تهدَّم؛ فهل يكون العام الجديد أفضل من العام القديم؟ هل نستقبل عامًا جديدًا نتدارك فيه ما فات؟ ذكرنا في الجمعة الماضية محاسبة الفرد لنفسه على عامٍ مضى، ونذكر اليوم محاسبة الأمَّة لنفسها على عام مضى، فهل تحاسب أُمَّتنا نفسها؟ هل يقف القادة والمسؤولون ليراجعوا حسابهم مع الله ومع دينهم ومع أمَّتهم؟ هل نغيِّر ما بأنفسنا حتَّى يُغَيِّر الله ما بنا؟

هذا ما نرجوه وندعو الله تعالى به في كلِّ وقت، اللهمَّ غيِّر ما بأنفسنا، اللهمَّ حوِّل أحوالنا إلى حالٍ ترضاه، اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

* * *

QaradawiBooks.com

٩

# رمضان ربيع الحياة الإسلاميَّة

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيَّها الإخوة المسلمون:

**رمضان ثورة على الشهوات والمألوفات:**

في فصول السنَّة فصلٌ يُسمَّى الرَّبِيع، تَتفتَّح فيه الأزهار، وتَيْنَع فيه الأثمار. وفي شهور العام شهرٌ هو ربيع الحياة الإسلاميَّة، هو شهر رمضان المبارك، شهر لتجديد الحياة، تتجدَّد فيه العقول بالعلم والمعرفة، وتتجدَّد فيه القلوب باليقين والإيمان، وتتجدَّد فيه العزائم بالصيام والقيام، وتتجدَّد فيه الحياة بالتآلف والتواصل والتزاور.

شهر رمضان يأتي ضيفًا في كلِّ عام ليُغيِّر من حياة المسلمين، وكما قال أديب العربية والإسلام مصطفى صادق الرافعي: شهرٌ للثورة، يثور الإنسان فيه على مألوفاته وعاداته[1].

الذي كان عبدًا للسيجارة، ولا بدَّ من أن يشرب في اليوم عشرين أو ثلاثين أو أربعين سيجارة، يفطم نفسَه عن هذا الأذى، مؤتمرًا

(١) وحي القلم (٥٦/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بأمر الله تبارك وتعالى. الذي عوَّد نفسَه على وجبات معيَّنة، ثار على هذه الوجبات، فهو يصوم ويكفُّ نفسه عن الطعام والشراب والنساء، لا لشيء إلَّا لله تبارك وتعالى، ولهذا جاء في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**كلُّ عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلَّا الصوم فهو لي وأنا أجزي به، يَدَع الطعام من أجلي، ويَدَع الشراب من أجلي، ويَدَع لذَّته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي**»(١).

## موسم الطاعات والبركات:

في هذا الشهر شهرِ رمضان تعود تجارة هي أربح التجارات، وكلُّ تجارة لها موسم، يترقَّب هذا الموسمَ أهلُها، فيُضاعفون النشاط ويزيدون الجهد بُغيةَ الكسب والربح. وماذا يكسب الناس؟ دراهم ودنانير، قد يحصلون عليها وقد لا يحصلون، وإذا حصلوا عليها فقد ينتفعون بها وقد لا ينتفعون، وإذا انتفعوا بها حينًا فقد تدوم لهم وقد لا تدوم، وإذا دامت لهم؛ فإنهم لها لا يدومون.

**هبِ الدُّنْيا تساق إليك عفوًا ... أليسَ مَصِيرُ ذاك إلى انتقالِ؟**
**ومـا دُنْيـاكَ إلَّا مثلُ ظِلٍّ ... أظلَّكَ ثمَّ آذنَ بالزوالِ**(٢)

هؤلاء تجَّار الدُّنيا يترقبون مواسمها ليربحوا فيها شيئًا من المتاع

---

(١) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧)، وقال الأعظمي: إسناده صحيح. عن أبي هريرة. وأصل الحديث في الصحيحين: «الصوم لي وأنا أجزي به، يَدَع شهوته وطعامه من أجلي». متَّفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

(٢) البيتان لأبي العتاهية. انظر: لباب الآداب للثعالبي صـ١٧٣، تحقيق أحمد حسن لبج، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

QaradawiBooks.com

الأدنى، وللآخرة تُجَّار كما للدُّنْيا تجّار، تجارُ الآخرة ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]، رمضان أحد مواسم الخير، موسم الصالحين، مُتَّجر المُتَّقين، يتعاملون فيها مع الربِّ الأكرم، مع الله تبارك وتعالى، رِبْحهم الجنَّة، هذا هو الموسم الَّذي يترقَّبه أهل الخير. كان السلف إذا جاء رمضان قالوا: مرحبًا بالمُطهِّر. فلرمضان مهمَّتان أساسيتان: المهمَّة الأولى: مهمَّة تطهير وتكفير، فكلُّ الناس ملوَّثون بالخطايا، من ذا الَّذي يزعم أنَّه مَلَكٌ مطهَّر؟ أو نبيٌّ معصوم؟ كل بني آدم خَطَّاء. انظر في سجلك ستجد السيِّئاتِ أكثر من الحسنات، ستجد المعاصيَ أكثر من الطاعات، فأنت في حاجة إلى مُكفِّرات، إلى مُطهِّرات، إلى مغاسل، مغسلة بعد مغسلة تتطهَّر فيها وتغتسل من ذنوبك، وهذا ما تفضَّل الله تبارك وتعالى به علينا، جعل لنا مغسلة يوميَّة هي الصلوات الخمس، ومغسلة أسبوعيَّة هي صلاة الجمعة، ومغسلة سنويَّة هي شهر رمضان. وقد جاء في الصحيح عن النبيِّ ﷺ: «**مَنْ صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»(١). وفي الصحيح: «**الصَّلواتُ الخمسُ، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان: مُكَفِّرات لما بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر**»(٢). أمَّا الكبائر فتحتاج إلى توبةٍ نصوحٍ يغسل الإنسان فيها ذُنوبَه بدموعه. هذه مُكَفِّرات للصغائر الَّتي يتورَّط الإنسان فيها باستمرار، وجديرة أن تُهْلك الإنسان؛ فإنَّ لها من الله طالبة، مُحقِّرات الذنوب يجتمعْنَ على الرجل حتى يُهْلِكْنه؛ فإنَّ الصغير على الصغير يكبُر، وإنَّ القليل على القليل يكثُر؛ ولهذا كان رمضان فرصة للتطهُّر.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصَّوم (١٩٠١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.
(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٩١٩٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

## الشقيُّ من حُرِمَ في رمضان رحمة الله ومغفرته:

وهو كذلك فرصة أخرى لمهمة أخرى هي التزوُّد، التزوُّد من الطاعات، التزوُّد من الحسنات في موسم تزداد فيه مثوبة الحسنات، ويزداد فيه أجر الطاعات؛ ولهذا روى عُبادة بن الصامت أنَّ النبيَّ ﷺ قال يومًا وقد حضر رمضان: «**أتاكم رمضانُ شهرُ بركةٍ، يغشاكم اللهُ فيهِ، فيُنزِلُ الرَّحمةَ، ويحُطُّ الخطايَا، ويَستجيبُ فيه الدعاءَ، ينظرُ اللهُ إلى تَنافُسِكم فيهِ، ويُباهِي بكم ملائكتَه، فأرُوا اللهَ مِنْ أنفسكم خيرًا، فإِنَّ الشقيَّ من حُرِمَ فيه رحمةَ اللهِ**»[(١)].

الشقيُّ حقًّا، التعيس حقًّا، البائس حقًّا من وجد أمامه هذه الفرصة وحُرِم رحمة الله ﷻ. دعا عليه جبريل، وأمَّن عليه مُحمَّد ﷺ: «**مَن أدرك رمضانَ فلم يُغفر له فأبعده الله**»، هكذا دعا جبريل، وأمَّن عليه النبيُّ ﷺ، قال: «**آمين**»[(٢)]. ضيَّع على نفسه الفرصة وهي أمامه.

## في رمضان فرص الرحمة تترى:

حسنات تُضاعَف، مغفرة تُوزَّع، جنَّة مُفتَّحة الأبواب، شياطين مقيَّدة مغلولة، فُرَص الخير متاحة، فما بالك يا مسكين تُضيِّعها؟ «**إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنّة، وغُلِّقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين**»[(٣)]، «**وينادي مناد: يا باغيَ الخير أقبِل، ويا باغيَ الشرِّ أقصِر**».

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢٢٣٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٢/٣): رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن أبي قيس، ولم أجد من ترجمه.

(٢) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٤٠٩)، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره. والطبراني (٢٩١/١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣١٨): فيه عمران بن أبان وثقه ابن حبان وضعفه غير واحد وبقية رجاله ثقات. وصحَّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٩٩٦)، عن مالك بن الحويرث.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

يا طالب الشرِّ كفاك أحدَ عشرَ شهرًا غفلت فيها عن ربِّكَ، ونسيتَ فيها نَفْسَكَ، وضيَّعْتَ فيها فرصتك، أمامك الآن فرصة فلا تضيعها.

«**يا باغيَ الخير أقبِل، ويا باغيَ الشرِّ أقصِر، ولله عتقاء من النَّار، وذلك كل ليلة**»(١). فطوبى لمن كان حظُّه من شهر رمضان العتقَ من النار، أن يعتق الله رقبته من النار.

شهر رمضان شهر للتزوُّد من الحسنات، ليزيد الإنسان من رصيده عند ربِّه، وهذا هو الرصيد الَّذي ينفعه.

اجمع ما شئت من الأموال، وضَعْ ما شئتَ منها في البنوك، في الداخل أو في الخارج، اجمع الملايين أو البلايين إن شئتَ، هل يدخل معك القبر منها شيء؟ لا، والله لن يدخل قبرَكَ معك شيء، لن يذهب أحد إلى القبر ومعه دفتر شيكات، لن يستطيع أحد أن يرشو عزرائيل أو يرشو منكرًا ونكيرًا إذا سألاه وامتحناه.

الرصيد الَّذي ينفعك هو عملك الصالح، هو طاعتك لله، هو فعلك للخير، وخصوصًا في مواسم الخير والطاعة.

**إحسان الصوم:**

في رمضان أمامك فُرَص: فرصة إحسان الصيام، أوَّل ما يُطلب منك أنْ تحسن الصيام، أن تصوم إيمانًا واحتسابًا، «**ليس الصيام من الأكل والشرب، إنَّما الصيام من اللغو والرفث**»، كما قال النبيُّ ﷺ(٢)،

(١) رواه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وابن خزيمة (١٨٨٣)، ثلاثتهم في الصيام، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣٣١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن خزيمة (١٩٩٦)، والحاكم (٤٣٠/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٢٧٠/٤)، ثلاثتهم في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

**«فإنْ سابَّك أحدٌ أو جهل عليك فلتقل: إنِّي صائم، إنِّي صائم»**[١]، **«من لم يدَعْ قولَ الزُّور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَه وشرابه»**[٢].

ليصُم لسانُك، ولتصُمْ عُيُنُكَ، ولتصُمْ بطنُك، ولتصُمْ جوارحُك عن معصية الله تبارك وتعالى.

شرع الله الصيام ليُقوِّي إرادة الإنسان، جاء في الحديث تسمية شهر رمضان بشهر الصبر، أن يمتنع الإنسان باختياره عمَّا يشتهي، باختياره، بإرادته، هذه هي الإرادة الَّتي يُرَبِّيها الإسلام.

**الصوم إعلاء للجانب الروحي على الجانب الطيني:**

شهر رمضان يعطيك فرصة بالصيام لتعلو على شهواتك، لتستعلي على الجزء الترابي فيك. خلق الله الإنسان على طبيعة مزدوجة، هناك قبضة الطين ونفخة الرُّوح، فيك أيُّها الإنسان جزء سماوي وجزء أرضي، جزء يشُدُّك إلى أسفل، إلى الأرض، إلى الطين، وجزء يجذبك إلى الأعلى، إلى السماء.

في الصوم إعلاء للجانب الروحي على الجانب الطيني، أنت أيُّها الإنسان عقل وشهوة، جسم ورُوح، إنسان وحيوان، ملاك وشيطان.

في الصوم إعلاء للجانب الإنساني على الجانب الحيواني، للجانب الملائكي على الجانب الشيطاني، للجانب الرُّوحي على الجانب المادِّي.

أنت ترقى برُوحك، بهذا الذي تصنعه، بهذا الصوم، بهذا الكفِّ الاختياري.

(١) جزء من الحديث السابق.

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**يا خادمَ الجسمِ كم تسعى لخِدْمَتِه أتطلبُ الرِّبْحَ ممَّا فيه خُسْـرَانُ؟**
**أقْبِلْ على النَّفْسِ واستكملْ فَضَائِلَها فأنتَ بالنَّفْسِ لا بالجِسْـمِ إنسانُ[1]!**

أنت بهذه المُضْغة، بهذه الجوهرة الروحانيَّة، أنت بها إنسان.

الصوم يُعطيك الفرصة لترتقي، حتَّى تصل إلى تقوى الله ﷻ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

بعض الناس تسوء أخلاقهم في الصيام، وتصدر منهم ألفاظ بذيئة، ويقال: اعذروه؛ فإنَّه صائم. كأنَّ الله شرع الصيام ليُفْسِد أخلاق الناس! لا، الصائم يتعفَّف عن أي لفظٍ بذيء، حتَّى إذا أوذي، حتَّى إذا اعتُدي عليه، حتَّى إذا شُوْتِم، قُوتِل، يقول مخاطبًا نفسه ومخاطبًا صاحبَه: اللهمَّ إنِّي صائم، اللهمَّ إنِّي صائم.

## إحسان القيام:

أمامك فرصة في شهر رمضان لتُحسن الصيام، فتصوم إيمانًا واحتسابًا. ثمَّ فرصة أخرى لتحسن القيام، فتقوم إيمانًا واحتسابًا، فرض الله عليكم في نهار رمضان صيامه، وسنَّ لكم رسول الله ﷺ في ليل رمضان قيامه، فـ«**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[2]، «**ومن قام ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»[3].

(١) ديوان أبي الفتح البُسْتي صـ١٨٣، تحقيق درية الخطاب ولطفي الصقال، نشر مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٩٨م.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٦٠.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠١٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أن تقوم رمضان ويتجسَّد القيام في صلاة التراويح، أن تصلي التراويح صلاة مُطْمَئِنَّة، صلاة خاشعة. دعْك من هذه الصلوات الَّتي يُصليها بعض الناس، عشرون ركعة في أقل من عشرين دقيقة، لا تستغرق الركعة دقيقةً واحدة، كأنَّ هناك سوطًا يُلهِب ظهره. ما هذه الصلاة التي لا خشوع فيها ولا اطمئنان؟ وماذا وراء هذا الإنسان المستعجل؟ سيذهب هناك ليقضي وقته في لغوٍ وغِيبة ونميمة وسخرية بالناس، فتأكل هذه حسناتِه كما تأكل النار الحطب، ما صنعه بالنهار ضيَّعه بالليل. أولى من ذلك أن تستغل جزءًا من الليل في صلاة مطمئنَّة خاشعة، ولعلَّك تصادف ليلةَ القدر التي هي خير من ألف شهر؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ وقد جاء رمضان: «**إنَّ هذا الشَّهرَ قد حَضَرَكُمْ، وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، من حُرِمَهَا فقد حُرِمَ الخيرَ كُلَّه، ولا يُحْرَمُ خيرَها إلَّا محرومٌ**»[1]. فاحرص على القيام، واحرصْ على الصلاة في المساجد الَّتي تُطيل الصلاة.

وهذا باب مفتوح للرجال والنساء، صلاة القيام وصلاة التراويح للرجل والمرأة جميعًا، فينبغي أن تحرص المسلمة كما يحرص المسلم على هذه الصلاة.

وينبغي للرجال أن يأذنوا بذلك للنساء، ولا يكون أنانيِّين يحتكرون الطاعة لأنفسهم ويحرمون منها نساءهم وبناتهم.

## من الفرص العظيمة في رمضان الذكر والدعاء:

هناك فرصة ثالثة في شهر رمضان للتزوُّد، لزيادة الرصيد، هي: الذكر، ذكر الله، هي الدعاء، هي الاستغفار، هي تلاوة القرآن. أعلى أنواع

---

(١) رواه ابن ماجه في الصيام (١٦٤٤)، والطبراني في الأوسط (١٤٤٤)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب (١٤٩١)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣٣٣)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

الذكر تلاوة كتاب الله، هذه هي التجارة التي لن تبور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

لا تضيِّعْ ثوابك في الكلام عن فلانة أو فلان؛ فهذا هو الذي يُضيِّع الصيام. بعض العلماء قالوا: يُبطِل الصيام، أي: كأنَّه أكل أو شرب، وعليه أن يعيد اليومَ الذي كذب فيه أو اغتاب فيه أو فعل كذا وكذا من المعاصي. والعلماء الآخرون قالوا: لا، ليس عليه أن يُعيد، ولم يبطل الصوم، ولكنَّه ضيَّع أجرَه، أبطل ثوابَه. وأيُّ خسارة أعظم من هذه الخسارة أنْ يجوع الإنسان ويعطش ويُحرَم من الطيِّبات طوال يوم كامل ثم لا ينال شيئًا من الحسنات؟ خسارة أي خسارة! احرص على هذا.

بدل أنْ تُضيِّع وقتك في اللغو استثمره في ذكر الله، في التسبيح، في التهليل، في التحميد، في التكبير، في الصلاة على النبي ﷺ، في سؤال الله تعالى الجنَّة، في الاستعاذة به من النار، في الاستغفار من كل ذنب، في تلاوة القرآن؛ فمن قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات. هذا في غير رمضان، فما بالك برمضان؟

انتهز الفرصة، حاوِلْ أن تختم القرآن على الأقلِّ مرَّة، كل يوم اقرأ جزءًا، ولو قرأت جزأين وختمت القرآن مرتين يكون أفضل. تزوَّدْ من شهر رمضان. هذه فرصة ثالثة.

**شهر المواساة:**

فرصة رابعة لك أيُّها المسلم ولكِ أيَّتها المسلمة في شهر رمضان: فرصة العطاء، البذل، السخاء، الجود، الصدقة. رمضان «**شهر المواساة**»

QaradawiBooks.com

كما جاء في بعض الأحاديث[١]، إنَّما فرض الله علينا أن نجوع جوعًا إجباريًّا حتَّى نُحِسَّ بآلام الجائعين. أنت تجلس كلَّ يوم على مائدتك وفيها ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب، وليس من الإسلام يا أخي المسلم، وليس من الإيمان يا أخي المؤمن، وليس من الإنسانيَّة يا أخي الإنسان أن تتناول من الطعام أطيبه ومن الشراب أعذبه، وأنْ تتلوَّن على مائدتك الألوان وهناك أناس لا يجدون ما يُمْسِكُ الرمق أو يُطْفِئ الحَرَق من إخوانك المسلمين، المحاصرين، اللاجئين، المُشَرَّدين، إخوانك في فلسطين، إخوانك في البوسنة والهرسك، إخوانك في جامو وكشمير، إخوانك في بورما، إخوانك في بنغلاديش، إخوانك في كلِّ مكان. في كلِّ مكانٍ نجد المشرَّدين والمضيَّعين واللاجئين معظمهم من أبناء الإسلام، اذكر هؤلاء.

شهر رمضان جاء يُذكِّرك بنعمة الله تعالى عليك، ويُذكِّرك بالمحرومين من إخوانك؛ حتى تجود وتسخو، تجود بمال الله تعالى عندك، ولذلك كان النبيُّ ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يأتيه جبريل فيدارسه القرآن، يتدارس معه القرآن، يتلو معه القرآن ويتفاهم معه في معاني القرآن، هذا معنى التدارس، فلرسول الله ﷺ أجوَد بالخير من الريح المُرْسَلة[٢].

تصدَّقوا في رمضان، أخرِجوا الزكاة في رمضان، وأخرجوا ما بعد الزكاة من الصدقات، فالزكاة أوَّل الحقوق وليست آخرها.

---

(١) رواه ابن خزيمة (١٨٨٧)، والبيهقي في الشعب (٣٣٣٦)، كلاهما في الصيام، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (١٩٦٥)، عن سلمان الفارسي.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

تصدَّقوا الصدقات العادية والصدقات الجارية، الصدقة الجارية التي تبقى لك بعد موتك، من حفر الآبار وبناء المدارس والمشافي والمساجد في البلاد الفقيرة، فهذه صدقة جارية يستمر ثوابها وأجرها إلى يوم القيامة. انتهز هذه الفرصة في رمضان.

أَطْعِم الطعام في رمضان، فَطِّر الصائمين، وخصوصًا الفقراء والضعفاء، فـ«**من فطَّر صائمًا، كُتب له مثل أجره، من غير أنْ ينقص من أجر الصائم شيء**»[1].

هناك بلاد يكفي ريالان أو ثلاثة ليفطر الإنسان، الأسرة تكفيها عشرة ريالات، عشرة ريالات تُفطِّر أسرةً كاملة، فسارعوا في البذل لتفطير الصائمين. هذا هو شهر رمضان.

فرصة أي فرصة! فمن جاءه رمضان ولم يكسب فيه بإحسان الصيام وإحسان القيام وإحسان الذكر والتلاوة والبذل والعطاء والصدقة فقد ضيَّع على نفسه الفرصة، واستحقَّ أن يدعو عليه جبريل أمين السماء وأن يُؤمِّن على دعائه محمد ﷺ أمين الأرض.

**رمضان النفحة العظمى:**

يا أيها الإخوة المسلمون، هذا هو شهر رمضان المبارك، هذا هو الشهر الكريم الذين يُكرِم الله به هذه الأُمَّة في كل عام، فتجدَّد حياتها، فاحرصوا على أنْ تستفيدوا من هذا الشهر، على أنْ تستغلوا هذا الموسم،

---

(١) رواه أحمد (٢١٦٧٦)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي (٨٠٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٧٤٦)، والنسائي في الكبرى (٣٣١٧)، ثلاثتهم في الصيام، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٧٨)، عن زيد بن خالد الجهني.

QaradawiBooks.com

على أنْ تخرجوا منـــه برحمة ومغفرة وعتق من النـــار. إنَّها فرصة طيِّبة، نفحة من الله تبـــارك وتعالـــى، «**ألا إنَّ لله في أيام دهركـــم نفحات، ألا فتَعرَّضوا لها**»(١).

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُهِلَّ هلال هذا الشهر الكريم علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإســلام، والتوفيق لما يحبُّ ويرضى، وأن يجعل حظَّنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النيران.

أقول قولـــي هذا وأســتغفر الله تعالى لي ولكم، فاســتغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٣٣/١٩)، والأوســط (٢٨٥٦)، وقـــال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣١/١٠): فيه من لم أعرفه، ومن عرفتهم وثقوا. وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩١٧)، عن محمد بن مسلمة.

QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، يُسَبِّح له ما في السماوات وما في الأرض، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير.

وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته واهتدى بسنته وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

أريد أن أنبِّه عدة تنبيهات:

### تفطير الصائمين عبر لجنة قطر لكفالة اليتيم:

١ ـ هناك إخوة يعرضون مشروع تفطير صائم في عدد من البلاد الإسلاميَّة، ومعهم الأوراق والإيصالات، لجنة قطر لكفالة اليتيم تقوم بهذا، جزاهم الله خيرًا.

وتفطير الأسرة يتكلف عشرة ريالات، تستطيع أن تُفطِّر أسرةً طوال شهر رمضان بثلاثمائة (٣٠٠) ريال، فتكسب أجر هؤلاء. هذه واحدة.

### مسابقة في حفظ الأربعين النووية وعمدة الأحكام:

٢ ـ هناك اتجاه طيب بين الأندية الرياضية، سنَّ فيها الشباب المسلم الصالح سُنَّة حسنة، فلم تعد الأندية للكرة فقط، ولرياضة الأجساد فقط،

QaradawiBooks.com

بل أدخلوا فيها العنصر الثقافي والعنصر الديني: المحاضرات والندوات. وقد سنَّ نادي الريان سُنَّة طيبة بأن فتح باب المسابقات الدينية، في هذا العام يعرض هذا النادي مسابقة في حفظ الحديث النبوي، الأربعين النووية على الأقل، وما يسَّر الله من حفظ الأحاديث في كتاب عمدة الأحكام ـ وهو من أحاديث الصحيحين ـ للحافظ المقدسي، فهذا أمر مفتوح لكل من أراد من الإخوة الَّذين يهتمُّون بقراءة الحديث ودراسة الحديث. وهناك جوائز طيِّبة تبرعت بها الشركات، جزاهم الله خيرًا.

## صلاة التراويح في جامع الشيوخ:

٣ ـ إنَّنا إن شاء الله سنبدأ صلاة التراويح ليلة الاثنين، في جامع الشيوخ، الجامع الكبير، سواء كان رمضان يوم الأحد أو كان يوم الاثنين. إذا كان يوم الأحد فلن ندرك الصلاة، وإذا كان يوم الاثنين ستكون ليلة الاثنين هي من ليالي رمضان، فنبدأ فيها بصلاة التراويح إن شاء الله.

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ. اللهمَّ اجعلْ خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمالنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك. واختم لنا بالإيمان والسعادة يا ربَّ العالَمين.

اللهمَّ لا تدع لنا ذنبًا إلَّا غفرته، ولا همًّا إلَّا فرجته، ولا مريضًا إلَّا شفيته، ولا دينًا إلَّا قضيتَه، ولا ميتًا إلَّا رحمته، ولا حاجة لنا فيها صلاح ولك فيها رضا إلَّا قضيتَها ويسَّرتها يا ربَّ العالمين.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمســلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

اللهمَّ انصرْ إخواننا المجاهدين في كلِّ مــكان، اللهمَّ انصُرْهم على عدوِّكَ وعدوِّهم. اللهمَّ عليكَ بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ أدِلْ دولتهم، وأذهِبْ عن أرضك ســلطانهم، ولا تدعْ لهم سبيلًا على أحدٍ من عبادك المؤمنين.

اللهمَّ اجعلْ هذا البلد آمنًا مطمئنًّا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وســلِّم وبارِك على عبدك ورســولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# ١٠
# تحري الحلال واجتناب الحرام

## الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

روى الشيخان عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّن، وبينهما مُشَبَّهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبهات: كراعٍ يرعى حول الحِمَى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملكٍ حمًى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[١]. صدق رسول الله ﷺ.

هذا الحديث من أحاديث الأربعين النووية، والخمسين الرجبية، ومن الأحاديث التي ذكر علماؤنا أنَّها من الأحاديث الأربعة، التي تدور عليها شرائع الإسلام: الحلال والحرام، تحري الحلال واجتناب الحرام، واتقاء الشبهات. هذا أمر أساسي من أمور الدين، وخصوصًا في المكاسب، أن

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

تتحرى أن يكون كسبك من حلال، وأن تكون تجارتك من حلال، وأن يكون رزقك من عملك الذي تعمل فيه حلالًا، وألَّا تُدخل إلى جوفك لقمة من حرام، ولا تُدخل إلى جيبك أو رصيدك درهمًا من حرام، هذا أمر أساسي.

**الحلال بيِّن والحرام بيِّن:**

ومن رحمة الله بنا أن بيَّن الحلال وبيَّن الحرام، فلم يعد هناك اشتباه إلَّا في القليل من الأمور، إنَّ الحلال بيِّنٌ وإنَّ الحرام بيِّنٌ، وهذا ما جعل بعض العلماء يقولون: إنَّ الحيوان نفسه يعرف هذا، فالهرة إذا أعطيتها قطعة من اللحم أكلتها أمامك وهي مطمئنة، فإذا خطِفت هي قطعة اللحم؛ فإنها تعدو بها وتركض؛ لأنَّها تعلم أنَّه لا حق لها فيها، بالفطرة التي هدى الله المخلوقات إليها، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

**مغالطة النفس:**

عرف هذا الحيوان ما يحق له وما لا يحق له، أفلا يعرف الإنسان وخصوصًا الإنسانَ المسلم؟ أفلا يعرف الحلال من الحرام؟ «**إنَّ الحلال بيِّنٌ وإنَّ الحرام بيِّنٌ**»، ولكن الناس ـ للأسف ـ يحاولون أن يغالطوا أنفسهم، ويريدون أن يجعلوا الحرام حلالًا، وبعضهم لا يبالي فيقول: حرام أكلناه، حلال أكلناه. كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام البخاري؛ أنَّ النبي ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ: أمن الحلال أم من الحرام**»[1]. لا يبالي المرء ما أخذ!

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com
نسخة مجانية
غير مخصص للطباعة

**تحري سلف الأمة الحلال وورعهم:**

كان سلف هذه الأمة يتحرون الحلال فيما كسبوه، حتى لا ينبت جسمه، ولا قطعة من جسمه، ولا خلية من خلاياه إلَّا من حلال، يتحرى ألَّا يتربى أولاده إلَّا من حلال.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان له غلام جاءه بشيء من الطعام، أخذه من بعض الناس، أعطاه بعض الناس هذا الطعام، فبعد أن أكل منه شيئًا، تذكَّر أنَّه لم يسأله عن مصدر هذا الطعام، فسأله، فقال كنتُ تكهَّنتُ لقوم في الجاهلية؛ فأعطوني هذا الطعام هبة ومكافأة، وهو لم يكن يعرف الكهانة. فرأى أبو بكر الصديق في هذا الطعام شُبهة، فوضع إصبعه في فيه، وجعل يتقيأ[1]، يحاول أن يخرج هذا الطعام حتى خرج، ثم قال: اللهم إنِّي أعتذر إليك مما دخل في العروق، أو خالط الأمعاء.

يعتذر إلى الله أن يكون قد بقي من هذا الطعام شيء، إنهم كانوا يسمعون النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**كل جسم نَبَتَ من سُحْت، فالنار أولى به**»[2]. لا يريد أن ينبت شيء من جسمه من سحت أو حرام؛ فتكون النار أولى به، هكذا كانوا يتورعون!

يتورعون عن الحرام في كل شيء، إذا باعوا أو اشتروا، كانوا يتحرون أن يكون بيعهم حلالًا لا غش فيه، لا احتكار، لا تطفيف في مكيال أو ميزان، يبينون العيوب في السلعة، حتى إن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه كان إذا باع شيئًا يقول للمشتري: هذا الشيء فيه كذا وكذا وكذا. فقال له

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٤٢)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

بعض من حوله: إنك بهذا لا يسلم لك بيع، كأنك تنفر المشتري مما تبيعه! فقال لهم: إن رسول الله ﷺ بايعنا على النصح لكل مسلم[1]. النصح لا الغش، النصح لكل مسلم، هكذا كانوا رضي الله عنهم.

بعث رجل من تجار واسط بالعراق إلى وكيله بالبصرة ليبيع له طعامًا، وكتب إليه كتابًا أن بمجرد أن يأتي هذا الطعام بعه في الحال، ولا تحتكره، لا تتربص به غلاء الأسعار، فلما جاء الطعام، قال له من حوله من التجار: إنك لو صبرت جمعة واحدة لبعته بضعف ثمنه أو أكثر. فأراد الرجل أن ينفع موكله، وانتظر جُمعة؛ فباعه بضعف ثمنه، ربح مائة في المائة، وأرسل إلى من وكَّله: إلى صاحب المال يقول له: أبشر فقد ربح مالك ضعف ثمنه. فأرسل إليه يقول: يا هذا إنا كنا قد قنعنا بالقليل، على أن تبقى لنا السلامة في ديننا، أمَّا وقد طمعتَ فيما طمعتَ وفعلتَ ما فعلتَ فأعزم عليك إذا بلغك كتابي هذا إلَّا تصدقتَ بثمن هذا الطعام كلِّه، ولعلي أنجو من إثم الاحتكار!

## الأمر في غاية الأهمية:

هكذا كانوا يشددون على أنفسهم، إنَّ الحلال والحرام أمر في غاية الأهمية، أن تعرف أن رزقك من حلال، وأنَّ اللقمة التي تأكلها حلال، وأن رصيدك في البنك حلال، وأنك إذا كنتَ موظفًا تعرَق لكي يكون مرتبك حلالًا، وأنك إذا كنتَ عاملًا تؤدي عملك، وأنك إذا كنتَ تاجرًا تحاول أن تكون تجارتك واقفة عند حدود الله، ألَّا تطمع في المال العام: مال الدولة، أو مال الحكومة، أو مال الأوقاف، فهذا فيه تشديد أيُّ تشديد، لا بد من تحري الحلال، والبعد عن الحرام.

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٧٦/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت، والحديث متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٠١)، ومسلم في الإيمان (٥٦).

QaradawiBooks.com

## أقل درجات الورع:

إن أقل درجات الورع أن تتورع عن الحرام الصِّرف، الحرام الصُّراح، الربا الذي أصبح آفة من آفات هذا العصر، والذي لعن النبي ﷺ آكله ومؤكله، وكاتبه وشاهديه، والذي جاء فيه الوعيد من الله تعالى في كتابه بما لم يجئ في معصية من المعاصي الأخرى، لا الزنى ولا شرب الخمر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

لم تجئ هذه العبارة في المعاصي الأخرى ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، إلَّا في الربا: صناعة اليهود، وعمل الجاهلية، ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، هكذا حذَّر القرآن الكريم، وجاء حديث النبي ﷺ يقول: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشد من ستة وثلاثين زنية**»[(١)]. الزنى تدفع له شهوة عارضة، وضعف بشري، أمَّا الذي يأكل الربا؛ فيأكله بتخطيط وإصرار، ومن هنا كان هذا من الحرام الصريح الصِّرف.

## درجات الورع:

أول الورع: الورع عن الحرام، وخصوصًا إذا كان في درجة الكبائر، من السبع الموبقات: أكل مال اليتيم، وأكل الربا، والربا: كل زيادة مشروطة مقدمًا على رأس المال في مقابل الأجل، الزيادة المشروطة المسبقة على المال، أنك تأخذ كذا ثم يعود إليك بزيادة مشروطة من قبل، هذا هو الربا، أي معنى ربا يربو، أي: زاد يزيد، وأدني درجات الورع أن تتورع عن الحرام الصِّرف.

(١) رواه أحمد (٢١٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: ضعيف مرفوعا. والدارقطني في البيوع (٤٨)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٧٢)، عن عبد الله بن حنظلة.

QaradawiBooks.com

وهناك ورع أرفع من هذه الدرجة وهو أن تتورع عن الشبهات، وهي التي ذكرها الحديث: «**فمن اتَّقى الشبهات؛ فقد استبرأ لدينه وعِرضه**»، ومن الشبهات ما تقوى فهناك يجب اجتنابها، إذا قويت الشبهة يجب اجتنابها، وإذا ضعفت فيستحب اجتنابها، تأسيًا بما قاله النبي ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»، هناك أشياء تحيك في النفس، تجعل الإنسان مترددًا؛ فإذا وُجدتْ فحينئذ «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»، وخصوصًا في مسائل الحرام، فمسائل الحرام مسائل شديدة، حتى كان عبد الله بن المبارك يقول: لأن أرد درهم من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف. حتى ذكر ستمائة ألف، درهم أرده من شبهة أحب إليه؛ لأنَّه يخشى أن يدخل هذا في ذمته؛ فيفسد عليه دينه.

التوبة من كل شيء سهلة إلَّا التوبة من المال الحرام، فهي أمر في غاية الصعوبة، من هنا كان ورع الصالحين: أن تتورع عن الشبهات.

## ورع المتقين:

وهناك ورع أعلى هو ورع المتقين، وهو ما جاء فيه حديث الترمذي، عن النبي ﷺ: «**لا يبلغ عبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس**»(١). يدع ما لا بأس به؛ حذرًا مما به بأس، كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه كان يقول: إنا لندع تسعة أعشار الحلال، خشية من الوقوع في الحرام(٢). يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا؛ بل حواجز، يسد الباب الذي يمكن أن تهب منه الرياح من بعيد، هكذا كانوا!

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢١٥)، والحاكم في الرقائق (٣١٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال ابن رجب في فتح الباري (١٦/١): في إسناده بعض المقال. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٥)، عن عطية السعدي.

(٢) رواه عبد الرزاق في البيوع (١٤٦٨٣) عن عمر، وإسناده منقطع بين الشعبي وعمر.

QaradawiBooks.com

كان عمر بن عبد العزيز إذا جاء إلى بيت مال المسلمين طيبٌ أغلق أنفه، فقيل له: لماذا تفعل هذا وليس هناك إلّا الرائحة؟ قال: وهل يُنتفع من الطيب إلَّا بالرائحة[1]؟! هذا طيب المسلمين وليس طيبي، يتورعون عن المال العام.

وكان عمر بن عبد العزيز إذا كان يكتب مصلحة من مصالح المسلمين يُسْرج سراجًا لبيت المال، فإذا انتهى من كتابة ما أراد أطفأ هذا السراج، وأوقد سراجًا آخر! قيل له: السراج؟! قال: لا، هذا مال المسلمين وليس مالي.

هكذا كان ورع أسلافنا، اليوم أصبح الناس لا يبالون بالحرام، وبعض الناس يكسب أموالًا من حرام، ثم يذهب ليحج المرة الثانية والثالثة، والرابعة والعاشرة، أو يعتمر كل سنة في رمضان، ويظن أن هذا يغني عنه شيئًا، والله لو حججتَ مائة مرة، واعتمرت ألف عمرة ما نفعك هذا؛ حتى تطهر نفسك من الحرام.

**إذا حججتَ بمالٍ أصله دنِسٌ فما حججتَ ولكن حجّتِ العِيرُ[2]!**

حجت الناقة التي تركبها أو السيارة أو الطائرة، لا بد أن يكون حجك من حلال وعمرتك من حلال.

### المال الحرام ليس أمرا هيِّنًا:

بعض الناس يأخذ المال من الحرام، ثم يبني مسجدًا، أو مدرسة لتحفيظ القرآن، أو يتصدق على الفقراء والمساكين، هل يغنيه هذا شيئًا؟

---

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (٢/٤٦٠)، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) البيت لأبي الشمقمق، انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري (٢/٢٩٦)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

لا، إنَّ الصدقة من المال الحرام كالذي يغسل الدم بالبول، إنَّه لا يطهر؛ بل يزيده نجاسة.

إنَّ المال الحرام ليس مالك حتى تتصدق منه، إنَّه مال أصحابه، رده إليهم إن عرفتهم، أو إلى ورثتهم إن كان لهم ورثة، فإن لم تعرفهم ولا ورثَتَهم فتصدق به عنهم، على ذمتهم، لحسابهم لا لحسابك، المال الحرام لا تجب فيه الزكاة، هكذا قال العلماء، لماذا؟ لأن الزكاة تجب بربع العشر، أمَّا المال الحرام فيجب إخراجه كله، يجب أن يتخلص منه!

الحرام ليس أمرًا سهلًا، الناس في هذا الزمان قد استمرؤوا الحرام واستحلوه، وكل واحد يعتمد على فتوى تُقال له، أو أحيانًا يفتي هو نفسه، ويبرر لنفسه، والأمر واضح!

استفتِ قلبك إن كان قلبك من القلوب النيِّرة السليمة، لا من القلوب السقيمة، التي عميت عن الحق باتباع الهوى، «**استفتِ قلبك، وإن أفتاك الناس، وأفتوك**»[1].

**معنى الضرورة:**

بعض الناس يقولون: الضرورة! ويرتكبون الحرام، ويأخذون السُّلَف بالربا، أو يضعون أموالهم في البنوك الربوية، ولكن ما هي الضرورة؟ ما معنى الضرورة؟ «الضرورات تبيح المحظورات». هذه قاعدة شرعية، ولكن الضرورة أن تهلك، أن تضيع أو يضيع عيالك إذا لم يتحقق لك

---

(١) رواه أحمد (١٨٠٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والدارمي في البيوع (٢٥٣٣)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٨٣)، وحسَّنه النووي في الأربعين، الحديث السابع والعشرون، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٣٤): حسن لغيره. عن وابصة بن معبد.

QaradawiBooks.com

هذا الشـــيء، أن تكون محتاجًا إلى الطعام، إلى الشراب، إلى الكساء، إلى الدواء، إلى المأوى، أمَّا غير ذلك كأن تريد أن تتوسع في تجارتك، أو تكثِّـر مالــك، أو تكمل العمــارة، أو تشــتري أحــدث موديل من السـيارات، وتزعم أن هذا ضرورة؟! لا، ليست هذه ضرورة، لا بد أن نعرف معنى الضرورة.

ثم إن قاعدة (الضرورات تبيح المحظـورات) تكملها قاعدة أخرى هي أن (ما أبيح للضرورة يقــدر بقدرها)، الله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقـرة: ١٧٣]، ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾، لا يبغي على حق غيره، ولا يعــدو قدر الضرورة ولا يتجاوزها، فإذا احتاج إلى ألف لا يجوز أن يأخذ ألفًا ومائة، وإذا احتاج إليها شهرًا لا يجوز أن يزيد على الشهر يومًا!

ثم إنَّ الضرورة هــي لمن يريد أن يستســلف، لا لمن يعطي، الذي يعطي المال ليأخــذ عليه ربًا هذا ليــس مضطرًا، إنَّما الذي يستســلف ليقضي أمرًا ضروريًا؛ قد يُقال: إن هناك ضرورة!

## إنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلَّا طيبا:

إن هذه التمحلات لا تحل الحــرام أبدًا، «**الحلال بيِّــنٌ، والحرام بيِّنٌ**»، لا يمكن أن يتطهر الإنسان من الحرام بمجرد الصدقة، ولا بالحج أو العمرة، ولا بشــيء من ذلــك، وقد قــال النبي ﷺ فــي الحديث الصحيح، الذي رواه مسلم: «**إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** [المؤمنـون: ٥١]، **وقــال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾** [البقرة: ١٧٢]». والطيــب هو الحلال، فالحرام

QaradawiBooks.com

خبيث، «**إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا**». ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يقول: «**يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك؟**»[1].

الرجل يطيل السفر في حج أو عمرة، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، قد أتى بكل ما هو من شأن استجابة الدعاء؛ الشَّعَث والغُبرة، ورفع اليدين إلى السماء، وتكرار «**يا رب، يا رب**»، وهو في رحلة عبادة، ومع هذا كله هناك حوائل تحول دون الاستجابة له: أن مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، جسم نبت من حرام؛ فأنَّى يُستجاب له؟! أنَّى يستجاب له؟! «**إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا**».

## الوسيلة النظيفة للغاية الشريفة:

ليس في الإسلام أنَّ الغاية تبرر الوسيلة، أنَّ الإنسان يأكل من حرام ثم بعد ذلك يتصدق، أو يعمل مشروعات خيرية! لا، الإسلام لا يقبل إلَّا الغاية الشريفة والوسيلة النظيفة، الإسلام لا يقبل أن نصل إلى الحق بطريق الباطل، ولا أن نصل إلى الحلال بالحرام، شرف الغاية وشرف الوسيلة معًا مبدأ إسلامي، «**إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا**».

## أثر اجتراء المسلمين على الحرام:

ولهذا لما كثر اجتراء الناس على الحرام؛ أصبحنا ندعو أن ينصرنا الله على أعدائنا، أن ينصرنا الله على اليهود، أن ينقذ المسجد الأقصى، أن يخرج أمتنا من أزماتها ومحنها، أن يجمع كلمتها وصفوفها، ندعو وندعو؛ ولكن لا يستجاب لنا؛ لأن بطوننا مُلئت بالحرام، ورصيدنا

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

حافلٌ بالحـــرام، وأموالنا خُلطت بالحــرام، فأنَّى يُســتجاب لنا؟! أنَّى يُستجاب لنا؟!

الله تعالى يقول: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقد جاء في بعـض الأحاديث: «**الربــا وإن كثُر؛ فإن عاقبتــه تصير إلى قُلٍّ**»(١). يكثر المــال ويكثر، ثم يأتــي المحق الإلٰهــي؛ فيذهب به ولا يبقى منه شيء!

وهذا ما رأيناه في حياة الأفراد وحياة الجماعات، كم من أفراد كوَّنوا ثروات من الربا والمعاملات مع البنوك، ثــم محقها الله! قد يمحقها الله محقًا ماديًا، وقد يمحقها محقًا معنويًا؛ بألَّا يكون فيها بركة، يكون عنده المال ولكنَّه لا يتمتع به، يُرْزأ بســوء صحته، يُــرزأ بخيانة زوجته، يُرزأ بعقوق أولاده، يُنغص الله عليه حياته، فما قيمة المال؟!

المال الذي لا ينشئ السعادة، ما قيمته؟! محقه الله، ورأينا ذلك في حياة الجماعات والأمم، تســتدين بالربا الملايين والبلايين، عشــرات المليارات تكوّنت نتيجة الاستدانة بالربا؛ بل نحن نستدين القليل فيصبح كثيرًا بفوائده!

مشــكلة كثير مــن دول العالــم الثالــث ـ ومنها دولنــا العربية والإسلامية ـ أنَّها وقعت فريسة للاستدانة بالفوائد الربوية، فأصبحت في هذا الــذل المزدوج، الذي عبر عنه النبــي ﷺ في الحديث الذي

(١) رواه أحمد (٣٧٥٤)، وقــال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن ماجه فــي التجارات (٢٢٧٩)، والحاكم في البيوع (٣٧/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن مسعود. والمراد من قوله «إلــى قُلٍّ»: أنَّه يؤول إلــى نقص ومحْق آجــلًا، بما يفتح على المرابــي من المغارم والمهالك.

QaradawiBooks.com

رواه أبو داود: «**وأعوذ بك من غَلَبة الدين، وقهر الرجال**»[(١)]. قهر صندوق النقد الدولي وتحكمه، جربنا هذا قديمًا وجربناه حديثًا، أن عشرات الملايين تتحول إلى مئات الملايين، أو بضع مليارات تتحول إلى عشرات المليارات، ويصبح همنا ما يسمونه الآن (خدمة الديون)، كيف ندفع الفوائد؟ لا ندفع الأصل، بل الفوائد، يقول الشاعر العربي قديمًا:

**إذا ما قضيتَ الدَّيْنَ بالدَّيْنِ لم يكنْ قضاءٌ ولكن كانَ غُرمًا على غُرمِ**[(٢)]!

تستدين لتسدد الدين، ونحن ليتنا نستدين لنسدد الديون؛ بل نحن نستدين لنسدد فوائد الديون، ويبقى الدين الأصلي كما هو، ﴿**يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ**﴾ [البقرة: ٢٧٦]، ﴿**وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِ**﴾ [الروم: ٣٩].

### المخرج من ذلك أن نتحرَّى الحلال:

إنَّ المخرج أن نعود لنتحرى الحلال أفرادًا وجماعات، ولو أردنا الحلال والله لوصلنا إليه، على أن نقنع بالقليل من الحلال، ولا نطمع في الكثير من الحرام، «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب؛ لابتغى ثالثًا، ولا يملأ عينَ ابن آدم إلَّا التراب**». سيظل الإنسان مهما كسب يقول كما تقول جهنم حين يقال لها: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟!

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٥٥)، عن أبي سعيد الخدري، ورواه البخاري في الأطعمة (٥٤٢٥)، عن أنس، بمعناه.

(٢) من شعر ثعلبة بن عُمَيْر الحنفي، كما في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري (٣٢٥/٤).

QaradawiBooks.com

اقنع بالحلال وتحرى الحلال وابحث عنه، وثِقْ أنَّ الله تعالى سيسوقه إليك، ويجعل لك مخرجًا، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

أمَّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

رسائل عديدة جاءتني من أخوات مسلمات، كلها تشكو من سوء معاملة الأزواج، وهذا أمر نحتاج أن نُفرد له خُطبة أو خُطبًا، ولكنِّي أذكر إشارة.

إنَّ الزواج رباط مقدس، الزواج ليس شركة مساهمة، الزواج حياة سكينة ومودة ورحمة، جعله الله آية من آياته، ضمن آياته في خلق السماوات والأرض قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، هذه هي دعائم الحياة الزوجية كما يصورها القرآن: سكينة، ومودة، ورحمة. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. العشرة الطيبة، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، حتى في حالة النفور والكراهية الله تعالى يأمر بالعشرة بالمعروف، وأن يضغط الإنسان على عاطفته، وأن يقدر للعشرة حقها، هذه هي الحياة الزوجية، حياة مودة بين الزوجين، وبين الزوجين والأولاد والأصهار، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

الإسلام يريد هذا، لا يريد أن تقوم الحياة الزوجية على تطاول الرجل على امرأته، أو شتمه لها، أو عدوانه عليها، أو تحقيره لأهلها، أو إيذائها بالكلام السيئ، لم يُرد الإسلام هذا قط، ولم يأمر بهذا، ولم يقبل هذا؛ بل اعتبر هذا من المعاصي؛ لأنَّه اعتداء لحدود الله.

QaradawiBooks.com

## بناء الأسرة في الإسلام:

الأسرة في الإسلام كما صورها القرآن بُنيت على أمرين:

أمر رباني، وهو ما سماه القرآن (حدود الله)، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١].

والأمر الآخر: أمر إنساني، وهو ما سماه القرآن (المعروف)، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وهي كلمة ذات معنى وذات دلالة، والمعروف: ما يتعارف عليه أهل الفِطَر السليمة، وأهل الأخلاق الكريمة، وأهل النفوس المستقيمة، هذا هو المعروف، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، كل شيء قائم على هذين الأمرين: حدود الله، والمعروف.

## الأسرة نواة المجتمع:

أين ضاعت منا هذه القيم؟ الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، إذا فسدت الأسر فسدت المجتمعات، وللأسف إنَّ الشكوى أكثر ما تكون من الأزواج، الذين يهملون حقوق الزوجية، وحقوق الأبوة، ويغيبون عن بيوتهم، وإذا عادوا لم يعودوا إلَّا بهذا الوجه العبوس القمطرير، وبهذا اللسان السيئ الذي ينضح بما وراءه من نفس سيئة!

لا يا أيها الإخوة المسلمون، نحن في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا، وأن نقف عند حدود الله تبارك وتعالى، حتى يصلح أولادنا، وتصلح ذرياتنا، ويصلح بعد ذلك مجتمعنا.

QaradawiBooks.com

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمــة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الغاصبين، اللهم انصرنا على الشــيوعيين المعتدين، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الديــن، اللهم رد عنا كيدهم، وفــلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك ســلطانهم، ولا تدع لهم ســبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وســلم وبارك على عبدك ونبيك ورســولك محمد، وعلى آلــه وصحبه والتابعين لهم بإحســان، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

## ١١

# السفر بين الضوابط والمحاذير

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيها الإخوة المسلمون:

ها نحن الآن نُقْدِم على فصل الصيف، وهذه سنة الله في الحياة: أن يتوالى فصل بعد فصل، كما تتوالى السنون سنة بعد سنة، وكما تتوالى الأعمار يومًا بعد يوم، كل فصل ينقضي من سنة، وكل شهر ينقضي من فصل، وكل أسبوع ينقضي من شهر، وكل يوم ينقضي من أسبوع، وكل ساعة تنقضي من يوم، وكل دقيقة تنقضي من ساعة، وكل ثانية أو لحظة أو نفس ينقضي من دقيقة، هذا كله جزء من عمر الإنسان، ينسلخ وهو يشعر أو لا يشعر، مكتوب له أو عليه.

**دقاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له ... إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِ**
**فارفعْ لنفسك بعد موتك ذكرَها ... فالذِّكرُ للإنسانِ عمرٌ ثانِ**[1]

تتوالى الثواني والدقائق، والساعات والأيام، والأسابيع والشهور، والفصول والأعوام، وكلها من عمر الإنسان.

---

(١) انظر: الشوقيات صـ٦٠١، تعليق د. يحيى شاهين، نشر دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

**اغتنم خمسا قبل خمس:**

وما على الإنسان إلَّا أن يعتبر ويغتنم وقته ولا يضيعه، كما نصح النبي ﷺ رجلًا فقال له: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[(١)]. اغتنم كل واحدة من هذه قبل أن تفاجأ بضدها، وترى أنَّ العمر قد تسرب من بين يديك كما يتسرب الماء من بين الأصابع، لا تمسك منه شيئًا، ثم يسألك الله تبارك وتعالى عنه: ماذا صنعت في وقتك؟ وماذا عملت في عمرك؟

**كل إنسان مسؤول يوم القيامة:**

وكل إنسان مسؤول يوم القيامة، لا تزول قدماه في عرصات يوم القيامة حتى يُسأل عن أربعة أسئلة أساسية، يُسأل عن عمره: فيم أفناه؟ وعن شبابه: فيم أبلاه؟ وعن علمه: ماذا عمل فيه؟ وعن ماله: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه[(٢)]؟

سيأتي هذا اليوم الذي يُسأل فيه الإنسان؛ فعليه أن يُحضِّر لهذه الأسئلة جوابًا، عليه أن يذاكر هذه الأسئلة ويعد أجوبتها، تفترق هذه الأسئلة عن أسئلة الامتحانات التي يضعها الناس، في أنَّها أسئلة معروفة مقدمًا، وما على الإنسان إلَّا أن يعد أجوبتها، وأن يتهيأ لها، فلا بد أنَّه مسؤول، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٣٢)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، عن ابن عباس.

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.

QaradawiBooks.com

## العمر رأس مال الإنسان:

الأعمار أمانة ووديعة، هي رأس مال في أيدينا، بل هي أعظم رأس مال، عمرك أعظم ثروة تملكها أنت، لا يعرف الإنسان ذلك إلَّا في وقتين: حين يموت، حين يُحتضر، حين يدنو أجله: يعرف قيمة العمر وقيمة الزمن وقيمة الوقت؛ فيقول للملائكة التي تتوفاه: أخِّروني. ويقول لربه: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]. وهيهات، لا مجال للتأخير، انقضى الأجل؛ فلا استئخار ولا استقدام، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]، في هذه الحالة يعرف الإنسان قيمة عمره الذي ضيعه!

كما يعرف قيمة عمره في وقت آخر، في القيامة، حين يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]. يقول الله لهم يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]. أوَلم نعطكم من العمر ما يكفي للذكرى والاعتبار؟ ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

## الصيف فصل العطلات والإجازات:

هكذا يتسرب العمر يومًا بعد يوم، وشهرًا بعد شهر، وفصلًا بعد فصل، ويقبل الناس على فصل الصيف، فصل الإجازات العطلات، ولا مانع أن يُجاز الناس وأن يستريحوا، فمن حق المُتعب أن يستريح، من حق العامل أن يأخذ إجازة، ومن حق الجاد أن يلهو بعض الوقت، وإن كنا للأسف في معظم ديار المسلمين لا نعمل ولا ننتج، أكثر الناس بطالة وعطالة هم العرب والمسلمون، أقل الناس إنتاجًا هم العرب والمسلمون!

QaradawiBooks.com

### العالم من حولنا يعملون وينتجون:

زرت بلاد الشرق والغرب؛ فوجدت الناس يكدحون ويعرقون ويتعبون، من أجل معاشهم ينتجون للحياة، يعطون الحياة كما يأخذون منها، ينتجون كما يستهلكون، ولكن في بلاد المسلمين ـ للأسف ـ كثير من الناس يأخذون ولا يُعطون، يستهلكون ولا ينتجون، يغلون الأسعار على الناس بما يشترون، وهم لا يقدمون للحياة شيئًا، يجلسون على مكاتبهم عاطلين، يشربون القهوة والشاي، أو يقرؤون الصحف، أو نحو ذلك، ولا يكادون ينتجون، وهناك ناس عاطلون بالوراثة، لا يقدمون للحياة شيئًا، أقل الناس إنتاجًا للأسف هم المسلمون في ديارنا.

رأيت الناس في بلاد أخرى يعملون فترتين في اليوم، يقتطعون من العمل ساعة للغداء، ويواصلون فترة أخرى، ثم يعودون إلى بيوتهم متعبين مهدودين، فلا تكاد تجد في الشوارع بالنهار أحدًا!

كنت في زيارة بلد أوروبي؛ فسألت أحد الإخوة: أين الناس؟ لماذا لا تمتلئ الطرقات بالناس في النهار كما نرى في بلادنا؟ قال: الناس في أعمالهم. ثم نظرت بعد الساعة السابعة وسألته: أين الناس؟ قال: الناس في بيوتهم، عادوا من أعمالهم إلى بيوتهم مهدودين من العمل والإنتاج، فهم يستريحون بعض الوقت لأنَّهم سيصبحون من البكور ذاهبين إلى أعمالهم، فلا عجب.

ما لنا نرى الناس في بلادنا لا يكادون يعملون، تمتلئ بهم الشوارع والطرقات، ما الذي جعل منا أمة عاطلة هكذا؟

QaradawiBooks.com

## العمل للمعاش عبادة وجهاد:

الإسلام يعتبر العمل للمعاش عبادة وجهادًا في سبيل الله، ويعتبر إتقان العمل مما يحبه الله ويرضاه، «**إنَّ الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه**»[1]. ولكننا لا نتقن ولا نحسن، ولذلك حتى الآن لم ترُجْ لنا صناعة تنافس صناعات العالم، لأننا نعمل ولا نتقن.

على كل حال فإن منا من يعمل، ومنا من يتعب، ومن حقه أن يستريح، ومن حقه أن يأخذ إجازة، ومن حقه أن يسافر، وكثير من الناس يسافرون في فصل الصيف.

## من يسافر عائدًا إلى وطنه:

هناك من يسافر عائدًا إلى وطنه، فمن حق الغريب أن يعود إلى أهله، ولكنَّه إذا عاد إلى أهله؛ فإن من واجبه أن يصل الأرحام المقطوعة، أن يبحث عن أهله: عن أخيه وأخته، عن عمه وخاله، عن عمته وخالته، عن أقاربه وذوي أرحامه فيصلهم.

لا يجوز للمسلمين أن يصبحوا أنانيين ماديين، يعيش كل منهم لنفسه، وخصوصًا أن بعض الناس إذا تحسنت حاله وتيسر أمره، واتسعت معيشته أغلق على نفسه، وعاش في صومعة أو في قوقعة، لا يبالي بما ينال أقاربه وأهله وجيرانه، وليس هذا شأن المسلمين.

## صلة الرحم:

المسلم عليه أن يصل رحمه، حتى وإن قطعت فعليها أن يصلها، الواصل ليس هو المكافئ: الذي يكافئ مودة بمودة، وزيارة بزيارة،

(١) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في الشعب (٥٣١٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١١١٣)، عن عائشة.

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وإحسانًا بإحسان، ولكن كما قال النبي ﷺ: «**ليس الواصل بالمكافئ، إنَّما الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها**»[(١)]. هذا معنى الوصل، لأن الوصل يكون في شيء قد انقطع فأنت تصله، فصِلْ رحمك.

أحسن إلى من أساء إليك، وأعط من منعك، وصل من قطعك، واعفُ عمن ظلمك، هكذا ينبغي أن يكون الإنسان المؤمن: أكبر من الحزازات والأنانيات، والحياة أهون من أن يتعادى الناس عليها، ويتقاتلوا عليها؛ فهي لا تزن عند الله جناح بعوضة!

هناك من يسافر عائدًا إلى وطنه، وهناك من يسافر باحثًا عن الراحة: الراحة لبدنه والراحة لنفسه، الراحة لشخصه والراحة لأسرته، ولا مانع أن يسافر الناس طالبين الراحة.

**السفر بحثا عن الرزق وطلب العلم:**

الإسلام شرع السفر لأمور كثيرة، شرع السفر لطلب الرزق، ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥]، التمسوا الرزق في خبايا الأرض، فأرض الله واسعة.

وشرع الإسلام السفر لطلب العلم، حتى رُوِي عن المسلمين قديمًا: اطلبوا العلم ولو بالصين. وظنه بعض الناس حديثًا نبويًّا؛ وما هو بالحديث المرفوع، ولكنها حكمة إسلامية، عمل بها المسلمون، وطلبوا العلم في أقاصي الدنيا. ولم يُعرف في تاريخ طلب العلم ما عُرف عند المسلمين الذين جابوا الآفاق، ورحلوا إلى الأمصار على أقدامهم في بعض الأحيان، وعلى جمالهم أو بغالهم في أحيان أخرى، ركبوا البر

(١) رواه البخاري في الأدب (٥٩٩١)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وركبوا البحر من أجل أن يطلبوا العلم ويطلبوا الحديث، ويأخذوا العلم من مصادره العليا.

**السفر لطلب الأمن:**

كما شرع الإسلام السفر لطلب الأمن، إذا لم تكن آمنًا في وطنك فابحث عن الأمن في أرض أخرى، وخصوصًا إذا مُنعت عن إقامة دينك؛ ففر به في أرض الله، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

**السفر للتفريج عن النفس والاعتبار:**

وشرع الإسلام السفر أيضًا ليفرج الإنسان عن نفسه، ويتعلم بما يرى من هذا الكون، قالوا: إنَّ الذي يعيش يرى كثيرًا. فقال من قال: ولكن الذي يمشي ويسيح يرى أكثر وأكثر. يتعلم من الأسفار حتى قالوا: إنَّ السفر نصف العلم. يتعلم من الناس ومن تجارب الحياة، يقول الإمام الشافعي فيما يُنسب إليه:

**ما في المقامِ لذي عقلٍ ولذي أدبٍ ... من راحةٍ فدعِ الأوطانَ واغتربِ**
**إنِّي رأيتُ وقوفَ الماء يفسدُهُ ... إن سالَ طابَ وإن لم يجرِ لم يطبِ**
**والشمسُ لو وقفت في الفلكِ دائمةً ... لملَّها الناسُ من عُجْمٍ ومن عربِ**[1]

إلى آخر أبياته المعروفة.

(١) ديوان الشافعي صـ٣٦، شرح نعيم زرزور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

ويُروى عن الإمام عليٍّ:

**تغرَّبْ عن الأوطانِ في طلبِ العُلا وسافر ففي الأسفارِ خمسُ فوائدِ**
**تفرُّجُ همٍّ واكتسابُ معيشةٍ وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ**(١)

والأدب العربي مليء بالأشعار والحكم والأمثال، التي تحث على السفر والاستفادة منه.

### النية الحسنة عند السفر:

ولكن المهم أن تكون نيتك الاستفادة من السفر، لا أن تكون النية الانطلاق وراء الشهوات، بعض الناس وبعض الشباب يجعلون السفر فرصة للانفلات، بدل أن يشكروا الله على نعمة الإجازة بعد التعب: يكفرون بهذه النعمة، فيبدلون نعمة الله كفرًا، ويحلون أنفسهم دار البوار، جهنم يصلونها وبئس القرار، يتورطون في معاصٍ أو يورطهم آخرون، ويستغلونهم وهم لا يشعرون من سماسرة الشهوات، الذين يعرفون أهل هذه الديار من أصحاب الأموال والثروات، فتراهم ينتظرونهم على أبواب المطارات يعرضون عليهم ما يعرضون، وكثيرًا ما يقع المغفلون فرائس لهم، فإذا بالإنسان يخسر نفسه، ويخسر دينه، ويخسر صحته، ويخسر أخلاقه.

وربما عاد بمرض من الأمراض الخبيثة المنتشرة في بلاد الشرق أو بلاد الغرب، وما أكثرها الآن، وهي التي حذَّر منها النبي ﷺ حين قال: «**ما ظهرت الفاحشة في قوم يُعمل بها فيهم علانية؛ إلَّا ظهر فيها الطاعون والأوجاعُ التي لم تكن في أسلافهم**»(٢).

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب (٢٤٨/٢)، نشر مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣م.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٣٠.

QaradawiBooks.com

## آثار الانحراف في الأسفار:

وقد صدَّق الواقع ما نبَّأ به من لا ينطق عن الهوى ﷺ؛ فظهرت طواعين وأوجاع وأمراض خبيثة، لعل أشهرها ما يرمزون إليه اليوم بمرض الإيدز: مرض نقص المناعة، التي أودعها الله في الجسم، فقد جعل الله في الجسم جنودًا خفية، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، تدافع أي أجسام غريبة تريد أن تغزو هذا الجسم، فهي الحرس الوطني، وهي حرس الدفاع عن هذا الجسم، أودعها الله فيه لتقاوم هؤلاء الغزاة الأجانب.

ولكن الإنسان بسوء خُلقه وسوء تدينه يرتكب الموبقات، ويقع في المحرمات، وينحرف عما أحل الله وما شرع الله؛ فإذا به يقتل هؤلاء الجنود، يقتلها بنفسه، يقتل حرَّاسه، كيف يقتل الإنسان حرَّاسه ويعيش عاريًا أمام الأعداء؟ هذا ما يصنعه الإنسان بنفسه حينما يرتكب الزنى والشذوذ الجنسي في آفاق الأرض؛ فيعود بأمراض لا يعلمها إلَّا الله!

ما الذي يدعو المسلم إلى هذا؟ قد يسر الله لك سبيل الحلال فما لك تلجأ إلى الحرام؟ تزوج إن كان ولا بد، وإلا فتعفف، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يُصبِّره الله، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

## حسنات وسيئات وخيرات وشرور:

الصيف قادم، فيه حسنات وفيه سيئات، فيه خيرات وفيه شرور، فيه مجالات للملائكة ومجالات أوسع للشياطين، فعليك أيها الإنسان المسلم أن تستفيد من وقتك، وأن تستفيد من صيفك، وأن تستفيد في إجازتك، ومن وقت الفراغ، فقد جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ:

QaradawiBooks.com

**«نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ»**(١). سيسأل الله عن هاتين النعمتين، فلا تضيع صحتك في الحرام، ولا تضيع فراغ الوقت في العبث الذي لا يجوز، استفد من وقتك.

**أحكام السفر ورخصه:**

وإذا سافرت فاعرف أحكام السفر، واعرف رخصه وتيسيراته؛ حتى تستطيع أن تصلي قصرًا أو جمعًا، وتعرف آداب السفر، وأدعية السفر، هذا ما ينبغي للإنسان المسلم إذا أقدم على أمر أن يتفقه فيه؛ حتى يبدأ سفره منذ يبدأ، منذ الخطوة الأولى، سواء كان سفر طاعة أو سفرًا مباحًا، سفر حج، أو سفر عودة، أو سفر إجازة.

فعليك أن تبدأ السفر منذ تركب الطائرة أو الباخرة أو السيارة بأن تقول: **«سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إنِّي أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»**(٢).

هذه الأدعية التي كان يدعو بها النبي ﷺ، ويعلمها لأصحابه ليدعوا بها، ويذكروا الله بها إذا سافروا.

وإذا عادوا وآبوا قالوا: **«لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون. صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»**(٣).

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٢)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الحج (١٣٤٢)، وأحمد (٦٣٧٤)، عن ابن عمر.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٥)، ومسلم في الحج (١٣٤٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

تفقه في أحكام السفر، وآداب السـفر، وأدعية السفر، وانوِ أن يكون سفرك للطاعة: سواء كان سفر عمل، أو سفر عبادة، أو سفر تعلم، أو سفر راحة، ينبغـي أن تكون نيتك صالحة؛ فتكون المـدة كلها عبادة لله، فإن المسـلم بحسـن نيته تصير العادات عبادات له، والمباحات قربات له، حتى أكله إذا أكل، وشربه إذا شرب، كل هذا يجعله طاعة، حتى ورد في الحديث الصحيح: «**إنَّ المسـلم ليؤجر في كل شـيء؛ حتى في اللقمة يضعها في فم امرأته**»[1]. يؤجر على هذا.

هذا أيها الإخوة المسـلمون ما ينبغي أن نذكره ونحن نستقبل فصل الصيف وإجازة الصيف، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل أيامنا كلها في طاعته، وأن يجعل أقوالنا وأعمالنا خالصة لوجهه، وأن يغفر لنا ما مضى، ويصلح لنا ما بقي؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله تعالى لي ولكم فاسـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٥)، ومسـلم في الوصية (١٦٢٨)، عن سـعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# ١٢
# خطبة عيد الأضحى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

هذا يوم العيد، عيد الأضحى، يوم الحج الأكبر، هذا يومٌ من أيَّام الله، من أيَّام الإسلام.

بالأمس اجتمع أكثر من مليوني مسلم في صعيد عرفات، مُهلِّلين مُكبِّرين، مُلبِّين داعين، ذاكرين مستغفرين، مُتضرِّعين إلى الله تبارك وتعالى.

في هذا الصعيد، نسوا أنفسهم، نسوا أوطانهم، نسوا كلَّ شيء وذكروا الله تبارك وتعالى.

في هذا اليوم العظيم تنزَّلت مغفرة الله تعالى ورحمته على الحجيج، وباهى بهم الملائكة، حيث جاء هؤلاء شُعثًا غبْرًا ضاحين من كلِّ فجٍّ عميق، فغفر الله لهم، فـ «**مَن حجَّ فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه**»(١).

واليوم بعد أن أفاض الحجيج من عرفات، وجاؤوا إلى مزدلفة، ثمَّ جاؤوا إلى منى؛ فرموا جمرة العقبة، وحلقوا أو قصَّروا، وذبحوا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أو نحروا، أو وكَّلوا في ذلك، ثمَّ ذهبــوا إلى بيت الله الحرام طائفين طــواف الإفاضة، وهو ركــن مــن أركان الحج: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، يطوفون ويسعون بين الصفا والمروة، حيث تهب عليهم نفحات وذكريات، الذكريات الإبراهيميَّة من بعيد، والذكريات المُحمَّديَّة من قريب.

المعاني الربّانية والمعاني الإنسانيَّة في العيد:

هذا يوم الحج الأكبر، يــوم العيد، وأعيادنا نحن المســلمين تتميّز بالمعاني الربّانية، كما تتميّز بالمعاني الإنسانيَّة.

العيد في الإسلام يتميَّز بما فيه من تأكيد الصِّلة بالله ﷻ، حيث يبدأ اليوم بهذه الصلاة، صلاة العيد.

الأعياد عند غيرنا فرصة للانطلاق وراء الشَّــهوات والملذَّات، نرى النَّاس هناك يشربون المســكرات، ويرتكبــون المنكــرات، ويفعلون المُحرّمات، ولا يبالون بشيء. أعيادنا ليست ذلك.

من حقِّ الإنسان أن يروِّح عن نفســه، ومن حقِّه أن يتجمَّل ويتزيَّن، ويتطيَّب ويغتســل، ليبدو بأجمل مظهر وأحسن صورة، ولكن ليس من حقه في العيد أن يتجاوز ما أحلّ الله إلى ما حرّم الله.

أعيادنا تتميّز بهذا المعنى الربَّاني، وتتميّز بما فيها من معنى إنساني: الإنسان المســلم حينما يأتيه العيد لا يعيش لنفســه فقط، ولا يفكّر في نفسه فقط، وإنَّما يفكّر في غيره من المسلمين، ولهذا فرض الله في عيد الفطر زكاة الفطر، طُهرة للصائم من اللغو والرفث، وطُعمة للمســاكين، ليغنيهم المســلم عن السؤال والطواف في هذا اليوم، بدل أن يسألك

QaradawiBooks.com

الفقير ويطوف عليك، أنت المُكلَّف أن تسأل عنه وتطوف عليه، وتعطيه صدقته وزكاته. هذا في عيد الفطر.

وفي عيد الأضحى شرع الله الأضحية، وهي سُنَّة مُؤكَّدة، وواجبة عند بعض الفقهاء على أهل اليسار، ليوسّع المسلم على نفسه، وعلى أهله، ويوسّع على الفقراء من حوله: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، ليأكل الفقير اللحم في هذه الأيام، حيث يُحرم الكثيرون من اللحم طوال العام، هذا هو المعنى الإنساني.

## فداء إسماعيل بذبح عظيم:

وهو حين يضحّي يتذكّر سنّة إبراهيم عليه السلام حينما أراد أن يذبح ولده، وقد جاءته الإشارة الإلٰهيَّة في رؤياه، ورؤيا الأنبياء حقّ ووحي: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾، أسلم الوالد ولده، وأسلم الولدُ عنقه لله عز وجل، ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢ ـ ١٠٧]. نجحا في الامتحان، هنا فدى الله الذبيح إسماعيل بذبح عظيم، بكبش، وذبح إبراهيم الكبش فداء لابنه إسماعيل؛ فكانت سُنَّة.

حينما نذبح الخراف نتذكّر هذا الحادث الجليل، هذا الموقف العظيم، الَّذي تجلّت فيه الطاعة لله في أسمى صورها: طاعة إبراهيم، وطاعة ابنه إسماعيل: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، نفّذ الأوامر الإلٰهيَّة الَّتي عندك، حتَّى لم يقل لأبيه: افعل بي ما تؤمر، كأنَّما فني عن نفسه، نسي ذاته وقال له: نفِّذ ما عندك من أوامر،

QaradawiBooks.com

﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، لم يـدّعِ البطولة ولم يدّعِ الشجاعة، وإنَّما اعتمد على الله، ووكل الأمر إلى الله. هذا يوم التضحية، ويوم الفداء.

الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ شـرع لنا زكاة الفطر في عيد الفطر، وشرع لنا الأضحية في عيد الأضحى.

هذه هي أعيادنا نحن المسلمين.

## قدرة الأمَّة على التَّجميع وتجنيد الطاقات:

بالأمس اجتمع أيُّها الإخوة أكثر من مليوني مسلم في صعيد عرفات، وفي العيد الماضي ـ قبل العيد بيومين أو ثلاثة ـ اجتمع ثلاثة ملايين في ليلة السـابع والعشـرين من رمضان الَّتي يرى كثير من العلماء أنَّها ليلة القدر، في هذه الليلة اجتمع ثلاثة ملايين في المسجد الحرام بمكّة وفي المسجد النبوي بالمدينة.

ما معنى هذا؟ معنى هذا أنّ هذه الأمَّة قادرة على أن تحرِّك الملايين بكلمة الله، تحرِّك الملاييـن لتؤدِّي طاعة الله عَزَّوَجَلَّ. اجتمعوا من مشـرق ومغرب، ومن شـمال وجنوب، اختلفت ألسـنتهم، واختلفت ألوانهم، واختلفت أوطانهم، واختلفت طبقاتهـم، اختلفوا في أمور كثيرة، ولكن جمعتهم عقيدة التوحيد، جمعتهم كلمة «لا إلٰه إلَّا الله، مُحَمَّد رسول الله». جمعتهم العقيدة الواحدة، والشريعة الواحدة، والقِبلة الواحدة، اجتمعوا في مكان واحد.

معنى هذا أنَّ هذه الأمَّة عندهـا قدرة على التَّجميع والتَّجنيد، فلماذا لا نرى أثر ذلك في حياتها؟ ما دامت هذه الأمَّة عندها هذه القدرة على

QaradawiBooks.com

التَّجميع، على الحفز، على تجنيد الطاقات، فلماذا تظل أمَّتنا هكذا في الحضيض؟ لماذا لا تظل أمَّتنا في سجن التخلّف؟!

يعدّوننا من البلاد النامية، و«البلاد النامية» تعبير مؤدّب للبلاد المتخلفة. نحن من أبناء العالم الثالث كما يقولون، وربَّما لو كان هناك عالم رابع لنُسب إليه كثير من بلاد الإسلام.

ما الَّذي أخّرنا إلى هذا الحد وكنا سادة العالم، وقادة الدُّنيا، وأصحاب الحضارة الرائدة والسائدة؟

كان العالم يتعلَّم منا، كانت جامعاتنا موئل الطلاب من أوروبّا ومن غيرها، كانت كتبنا هي المراجع العلميَّة للعالم، كانت أسماء علمائنا أشهر الأسماء، كانت اللغة العربيَّة هي لغة العلم في العالَم كلِّه.

ما الَّذي أخَّرنا؟ بعض النَّاس يظنُّ أنَّ الإسلام سبب ذلك، لا والله، ما كان الإسلام إلَّا سببًا للتقدُّم، هو الَّذي يصنع هذه الحضارة، هو الَّذي صنع هذه الأمَّة القائدة، هو الَّذي جعل الأمَّة تنطلق هنا وهناك تفتح الفتوح، تقيم دولة العدل والإحسان، وتنشئ حضارة العلم والإيمان.

ما أخَّرنا إلّا البُعد عن الإسلام، إلَّا أنَّنا أسأنا فهم الإسلام، وأسأنا تطبيق الإسلام، لم نفهم الدين ولم نفهم الحياة، فجرى علينا ما جرى، وأصبحنا في مؤخِّرة الأمم، بعد أن كنَّا في مطلعها، كنَّا في مأخذ زمام القافلة، فأصبحنا في ذيلها.

ما هذا أيُّها المسلمون؟

يجب علينا أن نعود إلى مكاننا الطبيعي لنقود الأمم، لنكون أساتذة

QaradawiBooks.com

للبشريَّة كما أراد الله لنا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، نشهد على البشريَّة لأنّنا نعلّمها، وندعوها إلى الله، ونأخذ بيدها لترتفع من وهدة المادية المجْحفة، والإباحيَّة المسرفة، إلى الله تبارك وتعالى، إلى القيم الأخلاقيَّة، إلى حيث يكون هناك رضا الله سبحانه وتعالى، واستقامة الناس.

هذا ما يجب أن تكون عليه أُمَّتُنا.

يا أيُّها الإخوة:

لقد أصبحنا في وضع غلبنا فيه المتغلّبون، تعزَّز علينا فيه الأذلّاء، اجترأ علينا الجبناء، حتَّى اليهود أحرص النَّاس على حياة. اليهود الَّذين ضُربت عليهم الذلة والمسكنة اجترؤوا علينا، واغتصبوا أرضنا، وشرّدوا أهلنا، وسفكوا دماءنا. وهاهم اليوم يعدّون العدّة لابتلاع القدس، وهدم المسجد الأقصى المبارك، وإقامة هيكلهم المزعوم مكانه.

أين أمَّتنا؟ أين أمَّة الإسلام؟ أين العرب وهم أكثر من ربع مليار؟ وأين المسلمون وهم أكثر من مليار وثلاثمائة مليون؟ أين المسلمون؟ وأين العرب أمام هذا كلّه؟

العالم الآن يتهيّأ لدخول القرن القادم، القرن الحادي والعشرين، بداية الألفية الثالثة لميلاد المسيح. صحيح أنّ هذا القرن ليس قرننا، قرننا هو القرن الهجري، ولكنّا في عالم لا نستطيع أن ننعزل عنه، فماذا أعددنا لاستقبال هذا القرن مع العالم؟ ألا نزال نمشي في بطْء السُّلحفاة؟ ألا نزال (محلّك سِرْ) لا نتقدَّم خطوة إلى الأمام؟

لا بدّ لهذه الأمَّة أن تتحرّك، لا بدّ أن ندخل هذا القرن منتجين لا مستهلكين، مبدعين لا مقلّدين، متعلّمين لا أمّيين.

QaradawiBooks.com

## انتشار الأميَّة في بلاد الإسلام:

للأسف الأمِّيَّة تنتشر في كثير من بلاد الإسلام، الدين الَّذي كان أوّل آية في كتابه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق: ١ ـ ٤]. هذا الدين الَّذي أقسم الله فيه بالقلم: ﴿وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، لا زالت الأمَّة فيه أمِّيَّة في أغلبها!

والرسـول ﷺ هو أوّل من حارب الأمِّيَّة؛ كمـا رأينا ذلك في غزوة بدر، حيث جعل فداء الرجل الكاتب من قريش: أن يعلِّم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة.

لماذا لا نجنِّد المتعلِّمين في تعليم الأميّيـن؟ لماذا لا يُجنَّد في كلّ إجازة طلبـة المدارس الثانويَّة وطلبة الجامعـات ـ بنين وبنات ـ لتعليم هذه الأمَّة وإخراجها من وصمة الأميَّة؟ وهي لطخة عار في جبينها.

## الأمة بين الوحدة والتمزق:

لا بدَّ أن ندخل القرن القادم ونحن أقوياء، وقوّتنا لا يمكن أن تكون ونحن مُمزّقون. لا بدَّ أن تحاول هذه الأمَّة أن تتوحّد بطريقة ما، وبصورة ما، تنسى خلافاتها، تعلو على هذه التَّمزُّقات.

العرب تمزّقـوا منذ حـرب الخليج المشـؤومة الثانيـة، منذ غزو الكويت، ولكن لا ينبغي أن تظل حرب الكويت عُقدةً تحول دون تجمّع هذه الأمة من جديد، لا بدّ أن تنتصر الأمَّة على خلافاتها.

لا يمكن أن نواجه المشروع الصهيوني ونحن مُمزّقون، ولا يمكن أن ندخل القرن القادم ونحن مُمزّقون. لا يمكن أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطوّرة، عصر ثـورة البيولوجيا، عصر الثـورة الفضائيَّة، عصر الثورة

QaradawiBooks.com

الإلكترونيَّة، عصر الثورة المعلوماتيّة، لا يمكن أن ندخل هذا العصر ونحن مُمزَّقون.

نحن نرى العالم من حولنا، تتجمّع الدول الصناعيَّة الكبرى فيما بينها لتنشئ طائرة متطوّرة، أو محرّكًا لطائرة. ونحن نريد أن ندخل هذا القرن فرادى مبعثرين! هيهات هيهات.

العالم يتجمّع ويتكتّل، ونحن نتفرّق ونتمزّق. أوروبّا تجمّعت على الرغم ممَّا كان بينها من ثارات وحروب. في الحرب العالميَّة الثانية كانت ألمانيا ضدّ فرنسا وبريطانيا وكذا، الآن تجمعهم السوق الأوروبية المشتركة.

لماذا لا تجمعنا سوق عربيّة مشتركة أو سوق إسلاميَّة مشتركة؟

منذ مدة قريبة قرأت في أحد التقريرات: أنّ التبادل التجاري بين البلاد الإسلاميَّة بعضها وبعض، لم يبلغ في مجموعه ثمانية في المائة (٨٪)! والباقي نشتريه من أوروبّا ومن أمريكا ومن كذا.

لا بدّ أيُّها الإخوة أن نتوحّد بصورة أو بأخرى، أو نتضامن ونتقارب على الأقل، إذا لم نستطع التوحّد.

العالم يتكتل، فلماذا نتمزّق؟ وديننا يأمرنا أن نعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرّق: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أمّة ربُّها واحد، ورسولها واحد، وكتابُها واحد، وشريعتُها واحدة، وقبلتها واحدة، وآدابها واحدة، فما الَّذي يمنعها أن تتضامّ وتتلاحم فيما بينها؟ ما الَّذي يفرِّقها؟ إلّا أهواء ما أنزل الله بها من سلطان، وإلّا مناهج استوردوها من الشرق ومن الغرب، من اليمين واليسار؛ ففرَّقت ما بينهم. ولو اعتصموا بكتاب الله وبمنهج الله لوحَّدهم، والله تعالى

QaradawiBooks.com

يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

لا بدّ أن ندخل القرن القادم متّحدين، إذا أردنا أن ننشئ أمَّة قويَّة وكتلة قويَّة، لها عقيدتها، ولها أيديولوجيّتها، ولها فلسفتها: للدين وللحياة، والنظرة إلى الكون وإلى الإنسان وإلى التاريخ، أمَّة متميّزة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

لا بدّ أن ندخل القرن القادم منتجين، لا بدّ أن ننتج، ونحسن الإنتاج ونطوِّره. نحن نستهلك ولا نكاد ننتج. نستطيع أن نشتري أفخر أنواع السيارات من مصانعها، ونطلب فيها من الكماليّات ما شئنا، ولكن هذا لا يدلّ على الرقيّ ولا الحضارة، لأنّا لا نستطيع أن ننشئ (موتور) محرّكًا لسيّارة ولا لدرّاجة.

أين الأمَّة إذنْ؟

لا بدَّ أن ننتج، لا بدَّ أن نخرج من التَّخلُّف الَّذي نحن فيه.

بعض النَّاس يظنّون أنّنا أغنياء، صحيح نحن أغنياء بالموارد، عندنا موارد هائلة، عندنا سهول خضراء، عندنا وديان وجبال، وبحار وبحيرات وأنهار، وشواطئ ومعادن، عندنا معظم مخزون النّفط في العالم. ولكن النّفط هذا ـ المادَّة الثمينة ـ يُشترى منّا بأرخص الأسعار، ثمَّ يُصنّع ويُباع لنا بأغلى الأسعار! أين نحن إذنْ؟ أين الأمَّة؟

عندنا موارد ولكنّا لا نستفيد منها، أمَّة سورة «الحديد» لم تتعلّم صناعة الحديد! هذه أمّتنا. الأمَّة الزراعيَّة تستورد أكثر من نصف أقواتها من غيرها! كيف ندخل القرن القادم وهذه حالتنا؟!

QaradawiBooks.com

قال لي بعض الباحثين الاقتصاديّين: إنّ إنتاج فرنسا وحدها يزيد على مجموع إنتاج العالم الإسلامي! أمَّا إنتاج ألمانيا فأكثر من ذلك بكثير، ودعك من أمريكا ومن غيرها!

هذه حالنا، أنستطيع أن ندخل القرن القادم ونحن لا ننتج؟! نحن ننتج أشياء بسيطة جدًّا، ثمَّ إذا أردنا أن نشتري «مُقاتلة» ندفع فيها مائة مليون دولار! أين إنتاجك أمام هذا؟! ويعطونك من هذه المقاتلات ما لا يصلح، ما يُستغْنى عنه عندهم، ما لا تستطيع أن تستفيد منه. هؤلاء هم الَّذين يتحكّمون فينا.

لا بدّ لأمتنا أن تراجع نفسها، وأن تراجع سياستها.

يا أيُّها الإخوة، نحن أمَّة عظيمة، ولكن للأسف نحتاج إلى قيادة. من أوائل هذا القرن كان السيد محبّ الدين الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يطلق شعارًا يقول فيه: «المسلمون إلى خير ولكنّ الضعف في قيادتهم». الضعف في القيادة: القيادة السياسيّة والقيادة الفكريَّة. هذه الأمَّة في حاجة إلى قيادة تقودها إلى الإنتاج، لتعمل وتنتج.

منذ سنوات حسب الحاسبون مقدار عمل الإنسان في بعض الأقطار الكبيرة، فوُجد أنّ متوسّط ما يعمله الفرد في اليوم: سبع وعشرون (٢٧) دقيقة! كيف يمكن لأمّة أن تنتج وتنهض بهذه الطريقة؟!

أوّل ما زُرت أوروبّا زرت ألمانيا، والأخ الَّذي قابلني أخذني بالنّهار، وقلت له: أين الناس؟ لماذا لا أرى النَّاس في الشوارع مثل بلادنا؟ قال: النَّاس في أعمالهم. بعد الساعة السابعة مساء أيضًا نزلت إلى البلد فلم أجد النَّاس، قلت له: أين الناس؟ قال: النَّاس جاؤوا من أعمالهم

QaradawiBooks.com

مهدودين؛ فهم يتعشّون الآن ويستعدّون للنوم، لأنَّهم من الصباح الباكر يذهبون إلى أعمالهم فترتين! ولكنِّي حينما أذهب في بلادنا أرى النَّاس في الصباح والظهيرة والمساء ونصف الليل في الشوارع هنا وهناك، كأنَّهم ليس لهم عمل، نحن أمَّة لا تنتج.

## زيادة الإنتاج وتحسينه كمًّا ونوعًا:

إذا أردنا أن يكون لنا مكان لا بدَّ من زيادة الإنتاج كمًّا ونوعًا، لا بدَّ أن نُحسن الإنتاج وننوِّع الإنتاج، الحديث الشريف يقول: «**إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد: سلَّط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتَّى ترجعوا إلى دينكم**»(1). «**ورضيتم بالزرع**»، معنى هذا نقص الكفاية الإنتاجيّة للأمّة، الأمَّة لا يمكن أن تكتفي بالزرع، لا بدّ من زراعة وصناعة وحِرَف وعلوم شتّى اعتبرها علماؤنا فرض كفاية على الأُمَّة، لا بدّ أن تتقنها وتتفوّق فيها، وإلّا أثِمت الأمَّة جميعها، إذا فرّطت في هذه العلوم وهذه الصناعات.

## مواجهة إسرائيل:

لا بدّ لأمَّتنا أن تخوض المعركة إذا أرادت أن تدخل القرن القادم بقول: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣] ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: ١٢]، الضعف والهوان لا يمكن.

نحن الآن نواجه عدوًّا شرسًا، نواجه إسرائيل. اليهود هؤلاء الَّذين كانوا مُشرَّدين في الأرض، ولم يُؤْوِهم إلَّا بلاد الإسلام، حينما لفظهم

(1) رواه أحمد (٤٨٢٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وأبو داود في الإجارة (٣٤٦٢)، وقال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٢٩٦/٥): رجاله ثقات. وقوّاه ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود (١٠٤/٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة بمجموع طرقه (١١)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

العالم لفظ النواة، وطردتهم أوروبّا: لم يجدوا الصدر الحنون إلَّا في دار الإسلام، وأوطان الإسلام، ثمَّ لمّا واتتهم الفرصة قلبوا لنا ظهر المِجَن.

أرادوا أن يقيموا لهم وطنًا، وكانوا يفكرون أن يكون هذا الوطن في الأرجنتين أو في إفريقيا، في موزمبيق أو في أوغندا أو في غيرها، ثمَّ لم يجدوا الاستجابة لذلك، ففكر «هرتزل» ـ مؤسِّس الصهيونية الحديثة ـ أن يجعل الأرض أو الوطن المراد هو: فلسطين، واخترع الفكرة الدينيَّة والفكرة التاريخيَّة، وقال ما قال!

ودخلنا في معركة هؤلاء، وها هم الآن يبيِّتون لنا شرّ ما يُبيَّت لأمَّة من الأُمم. «القدس» الشريف أيُّها الإخوة يُبتلع، المستوطنات تُقام هنا وهناك في كلّ مكان، «المسجد الأقصى» الحفريات من تحته مستمرّة، وسينهار يومًا ما، أعتقد أنّ اليهود يعلمون هذا اليوم ويُخطِّطون له، لينهار المسجد ويبنوا على أنقاضه معبدهم المزعوم.

ماذا أعدَّت أمّتنا لمقاومة هذا؟ الاستسلام الَّذي يسمّونه السلام! الركض هنا وهناك وراء هذا السراب، الَّذي يحسبه الظمآن ماء، حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئًا! ولا ينفع هنا إلَّا القوَّة، إلَّا الجهاد، صحيح ليس عندنا ما عند إسرائيل من ترسانة نوويَّة، ومن تأييد عالمي، وتأييد أمريكا، وتأييد القوى الكبيرة في العالم، ولكن معنا الله ﷻ، معنا الحق الَّذي لا يمكن أن يُهزم.

الله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. لم يقل: أعدُّوا لهم مثل ما أعدّوا، وإنَّما قال: ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، فلنعد ما استطعنا من قوّة، ولنتجمّع على هذا، ولنصرّ.

QaradawiBooks.com

## الانتصار على الوهن:

أهم ما ينبغي أن نعدَّه هو الإرادة، أن ننتصر على الوهن ـ و«**الوهن**» كما فسَّره النبي ﷺ: «**حبُّ الدُّنيا، وكراهيةُ الموت**»(١) ـ أن ننتصر على ضعف أنفسنا، على فقدان الثقة بالله وبالنفس، الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

لا بدَّ أن نقاوم القوّة بالقوّة، «بيجن» قال قديمًا: أنا أحارب إذنْ أنا موجود! فليكن شعارنا: «أنا أقاوم إذنْ أنا موجود». لا بدّ من المقاومة بما نستطيع ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، ولا نسلِّم أبدًا، وليكن ما يكون، ليسقط الشهداء، هم أحياء عند الله. وهم لا زالوا يسقطون، ماذا كسبت فلسطين وماذا كسب الفلسطينيّون من وراء اتفاق «أوسلو» المزعوم؟ لم يكسبوا نقيرًا ولا قطميرًا، إنَّما كسبوا «الأوهام» فقط.

لا بدَّ لهذه الأمَّة أن تقف وقفة الرجال، وقفة الأبطال، كما وقف إخواننا في «حماس» وفي «الجهاد الإسلامي»، رفضوا هذه المشروعات الوهميَّة، وأبوا إلَّا المقاومة، ولذلك تأبى إسرائيل إلَّا أن تنتقم منهم، وتقتل رجالهم الواحد بعد الآخر، قتلوا الشقاقي، وقتلوا عيّاش، وقتلوا الشريف أخيرًا، وأرادوا أن يقتلوا خالد مشعل. ولكن ليقتلوا من يقتلون، هذه الأمَّة «ولود» لا تزال تنجب الأبطال.

**وكُلّما مات منّا سيدٌ قام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرام فعولُ**(٢)

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

(٢) ديوان السموءل بن عاديا صنعة نفطويه صـ٧٨، تحقيق واضح الصمد، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

ستظل هذه الأمَّة تنجب وتلد الرجال، الَّذين يأبون إلَّا أن يخوضوا المعركة في سبيل الله، ولا يبالون أوَقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم، يقولون ما قال ذلك الصحابي الجليل:

**ولستُ أبالي حينَ أُقتلُ مُسلمًا على أيِّ جنبٍ كان في الله مصرعِي**[1]

وإنَّا لنأسف لما ظهر أمس من تورُّط السلطة الفلسطينيَّة، في الاستجابة للضغوط الإسرائيليَّة والضغوط الأمريكيَّة، حتَّى اتهمت «حماس» بأنها هي الَّتي قتلت هذا القائد من قوّادها، مع أنّ حماس خطّتها ألّا تقتل إلّا الإسرائيليين، لا تقتل فلسطينيًّا، لم تقتل أحدًا من خصومها طوال هذه المدة، إنَّما تقتل الإسرائيليين، وفي أرض فلسطين، لم توجّه المعركة إلى الخارج.

ولكن هؤلاء حينما هدّدهم نتنياهو، وهدَّدهم كلينتون وقالا: أنتم تتحمّلون أيّ انتقام يصدر من حماس، وإذا بهم يخضعون ويلفّقون هذه الأكذوبة الكبرى.

يا أسفاه، وا أسفاه على الرجال، الرجال معادن وإنَّما يظهر الرجال في الشَّدائد، حينما تمتحنهم الأمم.

إنَّنا موقنون أنّ النصر لنا، ولا بدّ أن نقف وقفة الرجال، ونصمد صمود الأبطال، ونبذل ما نستطيع، وأقلّ ما نفعله هو مقاطعة هؤلاء، لا نقبل التَّطبيع بحال، نقاطع البضائع الإسرائيليَّة والبضائع الأمريكيَّة. ماذا علينا إذا لم نشرب الكوكاكولا الأمريكيَّة، أو ندخِّن السيجارة

---

(١) الصحابي هو سيدنا خبيب بن عدي. والحديث رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٤٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الأمريكيَّة، أو نأكل الهامبورجر الأمريكي أو الماكدونالدز أو البيتزا، أو نلبس الجينز أو نركب السيارة الأمريكية؟! عندنا البدائل.

لنفعل ذلك، قد لا تتضرَّر أمريكا كثيرًا، ولكن لو صمَّم الألف مليون مسلم على هذا الأمر سيكون لهم شأن، وأوَّل الغيث قطر ثمَّ ينهمر.

لا بدّ أن نقاطع هؤلاء، وأن نُشعرهم أنّنا أحياء وموجودون، ونحن نعتقد أنّ النصر في النهاية للمتقين، والنصر للمؤمنين، والنصر بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

أيها الإخوة: لا يسعنا في هذا اليوم العظيم إلَّا أن نتضرَّع إلى الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمة هذه الأمَّة على الهدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبَّة، ونيّاتها على الجهاد في سبيله، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم أكرمنا وأمَّة الإسلام، اللهمَّ أكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضَ عنَّا وأرضِنا.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السُّفلى.

اللهمَّ عليك بأعداء الإسلام، اللهمَّ انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، وانصرنا على الوثنيين المتعصبين، وانصرنا على الصليبيين

QaradawiBooks.com

الحاقدين، وانصرنا على الملاحدة الجاحدين، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين، اللهمَّ ردَّ عنَّا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، اللهمَّ إنَّا نجعلك في نحورهم، اللهمَّ أنزل بهم بأسك الَّذي لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين.

اللهمَّ انصر إخوتنا في فلسطين، وانصُرْ إخوانَنا في لبنان، وانصُرْ إخوانَنا في كشمير، وانصُرْ إخوانَنا في السودان، وانصُرْ إخوانَنا في الفِلِبِّين، وانصُرْ إخوانَنا المجاهدين في كل مكان.

اللهمَّ اجمع كلمة إخواننا في أفغانستان، وفي الصومال، وفي الجزائر، وفي سائر بلاد الإسلام.

اللهمَّ هيِّئْ لنا من أمرنا رشدًا. اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا سخاء رخاء، وسائر بلاد الإسلام.

اللهمَّ لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

وصلى الله على سيِّدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وتقبَّل الله منا ومنكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## ١٣

# السُّنَّة منهاج للحياة[١]

## الخطبة الأولى:

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

من أصول الإيمان تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، فهو الذي يُطاع؛ فطاعته من طاعة الله تعالى، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ولأنه لا يتكلم من عند نفسه، وإنَّما يتكلم بما أوحاه إليه ربه، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، لهذا أُمرنا بطاعته واتباع سنته، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. لهذا كان اتباع الرسول ﷺ من أصول الإيمان، أن نتبع ما جاء به النبي ﷺ.

وسنة النبي عليه الصلاة والسلام هي طريقته ومنهاجه في فهم القرآن وتطبيقه، وتجسيد الإسلام للناس حياة ماثلة واضحة، فحياته ﷺ وسيرته وسنته: هي البيان النظري، والتطبيق العملي، والتجسيد الحي للإسلام، ورضي الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ حينما سُئلت عن خلقه ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن[٢].

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، في ١٢ شعبان ١٤١٠هـ الموافق: ٩ مارس ١٩٩٠م.
(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٢٦٩)، عن عائشة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إذا أرت أن تعرف أخلاقه وفضائله ﷺ فافتح المصحف، واقرأ الآيات الأولى من أوصاف المتقين في سورة البقرة، أو أوصاف المؤمنين في سورة المؤمنون، أو أوصاف عباد الرحمن في سورة الفرقان، أو أوصاف أولي الألباب في سورة الرعد، أو غيرها وغيرها، تجد سيرة النبي ﷺ تُجسِّد هذه الفضائل والأخلاق، فقد كان خُلُقه القرآن.

## السُّنَّة تفصيل وبيان للقرآن:

نحن في حاجة إلى أن نعرف معنى سنَّة النبي ﷺ، هذه السنَّة هي المنهاج التفصيلي لحياة الإنسان المسلم، فصَّلَت ما جاء به القرآن. يقول بعض المبتدعين والمنحرفين: حسبنا القرآن. وهذا ما حذَّر منه النبي ﷺ، أنه يوشك أن يأتي زمان يجلس فيه رجل شبعان متكئ على أريكته ـ من أهل الترف ـ يقول: حسبنا كتاب الله. يرفض سنة رسول الله ﷺ[1]، ولا يمكن أن يُفهم كتاب الله إلا ببيان رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، فالسنة هي التي تفسر ما أُبهم من القرآن، وتفصِّل ما أجمله، وتُخصص ما عمَّمه، وتقيد ما أطلقه، وعلى هذا أجمعت الأمة منذ عهد الصحابة إلى اليوم.

لا يمكن أن يفهم القرآن بغير السنَّة، هل في القرآن أنَّ الصلوات خمس؟ وأنَّ ميقات الفجر من كذا إلى كذا؟ وأنَّ الظهر من كذا إلى كذا؟ وأنَّ الصبح ركعتان؟ وأنَّ الظهر أربع؟ وأنَّ المغرب ثلاث؟ وأنَّ الركعة تبدأ بكذا وتنتهي بكذا؟ وأنَّ الركوع مرة واحدة وأنَّ السجود مرتان؟!

(١) رواه أحمد (١٧١٧٤)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في السنَّة (٤٦٠٤)، والترمذي في العلم (٢٦٦٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في المقدمة (١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٣)، عن المقدام بن معديكرب.

QaradawiBooks.com

## السنَّة تشمل مراحل الحياة كلها:

كل هذا أخذناه من سنَّة رسول الله ﷺ القولية والعملية، ولذلك السنَّة هي المنهاج التفصيلي لحياة الإنسان المسلم: الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، والدولة المسلمة. لا يمكن أن تفهم شريعة الإسلام ورسالته بغير السنَّة، ولا يمكن أن يفهم القرآن بغير السنَّة، هي المنهاج التفصيلي، منهاج يتميز بالشمول، فهو يشمل حياة الإنسان منذ يولد إلى أن يموت، هناك أحكام تتعلق بالمولود جمعها الإمام ابن القيم في كتابه الذي سماه (تحفة المودود في أحكام المولود)، أنه يُسمَّى في اليوم السابع، وتُذبح عنه عقيقة، ويتصدَّق عنه بكذا إلى آخره، ثم تظل الأحكام تلاحقه في فترة الرضاع وما بعد الرضاع، فالسنَّة مع القرآن تبين للإنسان حياة مفصلة، برنامجًا يلاحقه ويراوحه ويغاديه، ويصابحه ويماسيه، منذ الولادة إلى الوفاة.

بل هناك أحكام تتعلَّق بالجنين في بطن أمه قبل الولادة، المرأة التي جاءت وقد ارتكبت الفاحشة، وطلبت من رسول الله ﷺ أن يقيم عليها حدَّ الله ويطهرها، وقالت: إنَّني حُبلى من الزنى. فقال لها: «**اذهبي حتى تلدي**»[(١)]. أي إن هذا الحمل في بطنك معصوم الدم، لا ذنب له، إذا كنتِ قد جنيتِ فما جنايته؟ إذا كان لنا سبيل عليك؛ فليس لنا سبيل عليه، احترام حياة الجنين ـ وإن جاء من حرام ـ أمر قررته السنَّة، فالسنَّة لها أحكام وتوجيهات تتعلَّق بالحمل في بطن أمه.

---

(١) إشارة إلى حديث: جاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله، إني قد زنيت فطهِّرني، وأنه ردها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله، لِمَ تردني؟ رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

QaradawiBooks.com

وهناك أحكام أخرى تتعلَّق بالميت بعد وفاته، كيف يغسل؟ وكيف يكفن؟ وكيف يُصلَّى عليه؟ وكيف يدفن؟ وكيف توزع تركته؟ وكيف تُؤدَّى وصاياه؟ وكيف تسدد ديونه؟ وكيف، وكيف؟ كل هذا مما فصلته السنَّة، فهي برنامج شامل يصحب الإنسان في رحلة حياته كلها.

## السنَّة تشمل جوانب الحياة كلها:

وتصحب السنَّة الإنسان في جوانب حياته كلها: في بيته، في مزرعته، في متجره، في مكتبه، في الطريق، في النوم، في اليقظة، في السفر، في الحضر، في الخلوة، في الجلوة، هذا برنامج مفصل جاءت به سنَّة رسول الله ﷺ.

ومن نعم الله علينا نحن المسلمين أنَّ هذه السنَّة رويت كلها، رواها الصحابة رجالًا ونساء، حتى ما يتعلق بحياته الخاصة ﷺ، ليس هناك دوائر حمراء يقال: هذه لا تُحكى. بل قال ﷺ: «**حدثوا عني ولا حرج**»[(١)]، «**بلغوا عني**»[(٢)]. روت عنه زوجاته التسع كل ما يتعلق بحياته الخاصة، ليس في حياته شيء يُغيَّب عن الناس؛ لأنَّ حياته كلها للتشريع والتوجيه والقدوة، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، تقول عائشة: كان يأمرني أن أتَّزر فيباشرني، وأنا حائض[(٣)]. وتقول: كان يقبلني في رمضان، وكان أملككم لإربه[(٤)]. كان وكان، من هذه الأشياء التي يعدها الناس من الحياة الخاصة، ولكن حياة النبي ﷺ كلها ملك المسلمين، رويت لنا السنَّة كلها، رويت لنا حياته كلها ﷺ، فهي سنة شاملة، منهاج شامل للإنسان المسلم.

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٤)، عن أبي سعيد الخدري.
(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦١)، وأحمد (٦٤٨٦)، عن عبد الله بن عمرو.
(٣) رواه البخاري في الحيض (٢٩٩، ٣٠٠).
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦)، كلاهما في الصوم.

QaradawiBooks.com

من قرأ كتابًا مثل (زاد المعاد) لابن القيم، وهو يبين فيه هديه ﷺ في عباداته ومعاملاته، وآدابه وسَيْرِه في الحياة: وجد الشيء الكثير الكثير، السنَّة منهاج شامل.

## السنَّة منهاج متوازن:

والسنَّة كذلك منهاج متوازن، يتميز بالتوازن، يجمع بين الدنيا والآخرة، يوازن بين العقل والقلب، بين الروح والمادة، بين حظ النفس وحق الربِّ سبحانه وتعالى، بين حق الفرد وحق الجماعة، التوازن في هذه السنَّة واضح، ولذلك كان ﷺ إذا رأى من بعض أصحابه جنوحًا إلى الإفراط أو التفريط، أو إلى الغلو في جانب من الجوانب: ردهم إلى الصراط المستقيم، ووقف بهم عند حدود المنهج الوسط للأمة الوسط، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

حينما ذهب جماعة من أصحابه يسألون عن عبادته ﷺ، سألوا أزواجه أمهات المؤمنين عن عبادته، عن قيامه الليل، وعن صيامه، فحينما أخبروا بها؛ فكأنهم تقالُّوها، اعتبروها شيئًا قليلًا لا يُشبع نهمهم، ولا ينقع غلتهم، إنهم يريدون أكثر وأكثر، فقالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟!

وقال أحدهم: أما أنا فأقوم الليل فلا أنام أبدًا. وقال الثاني: وأنا فأصوم الدهر، فلا أفطر أبدًا. وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدًا. فبلغ النبي ﷺ مقالتهم؛ فجاء بهم وقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١). هذه حياتي،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

QaradawiBooks.com

حياة مزاوجة وموازنة، ليس فيها إفراط ولا تفريط، «**فمن رغب عن سنتي** ـ عن طريقتي ومنهاجي هذا ـ **فليس مني**»، ليبحث عن رهبانية النصارى، أو عن زهد المانوية، أو عن الكنفوشيوسية، أو عن البرهمية، ليبحث عن تلك النحل التي بالغت في الزهد، وبالغت في تعذيب الجسد من أجل صفاء الروح كما يزعمون، لا، فسنة محمد ﷺ، ومنهاجه في فهم القرآن، وفي فهم الإسلام وتطبيقه: يقوم على الاعتدال والتوازن.

ولذلك حينما رأى النبي ﷺ عبد الله بن عمرو ـ وقد بالغ في الصيام والقيام وتلاوة القرآن ـ ردَّه أيضًا إلى الاعتدال، إلى أن يقوم بعض الليل وينام بعض الليل، وإلى أن يصوم بعض الأيام ويفطر بعض الأيام، أقصى ما سمح له هو أن يصوم صيام داود، «**أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا**»[(١)].

وهكذا كان النبي ﷺ يوجه أصحابه دائمًا إلى الوسطية والاعتدال والتوازن؛ لأن الغلو قصير العمر، «**فإن المنبتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى**»[(٢)]، ولأن الغلو في ناحية يكون على حساب ناحية أخرى، ولهذا قال له: «**فإن لبدنك عليك حقًّا** ـ أي في الراحة ـ **ولعينك عليك حقًّا** ـ أي في النوم ـ **ولزوجك عليك حقًّا** ـ أي في الإيناس والإمتاع ـ **ولزورك عليك حقًّا** ـ أي أن المجتمع له حق عليك ـ **فأعط كل ذي حق حقه**»[(٣)]. هذا هو التوازن التي تميزت به السنة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد وجادة (١٣٠٥٢)، وقال مخرجوه: حسن بشواهده. والضياء في المختارة (٢١١٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٦): رجاله موثقون، إلا أن خلف بن مهران لم يدرك أنسًا.

(٣) سبق تخريجه صـ ١٣٣.

QaradawiBooks.com

## السنَّة تقوم على السماحة والتيسير:

ومن ملامح وخصائص هـذه السـنَّة النبوية أنها قامت على السـماحة والتيسير، ولم تقم على الخشونة ولا على العنف، ولا على التعسير على عباد الله، بل كان ﷺ يقول: «**يسـروا ولا تعسروا، وبشـروا ولا تنفروا**»[(١)]. وحينما بعث أبا موسـى ومعاذًا إلى اليمن أوصاهما بهذه الوصية الموجزة الجامعة: «**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[(٢)]. هذه وصيته ﷺ.

ولذلك حينما جـاء أعرابي وبال في مسـجده ﷺ، أعرابي جاء من البادية، لم يتأدب بأدب الإسلام بعد، ولم يكن المسجد مفروشًا بالسجاد ولا بالحصير، فذهب الرجل في ركن، وكشـف عن نفسه ليبول؛ فهمَّ به الصحابة الذين تأدبوا بآداب الإسـلام وأخلاقه، فهمـوا به وثاروا عليه وأغلظوا عليه، فقال النبي ﷺ: «**لا تزرمـوه** ـ أي: لا تقطعوا عليه بولته ـ **وصبوا عليه ذنوبًا من ماء، فإنَّما بُعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين**»[(٣)]. أي: راعوا طبيعة هذا الرجل ونشـأته وظروفه، هكـذا ينبغي أن يُراعى الحديث العهد بالإسـلام، والحديث العهد بالتوبـة، ولا يُعامل الناس كلهم معاملة واحدة، فسـنَّة النبي ﷺ قامت على السـماحة وقال: «**إنِّي بُعثـت بحنيفية سـمحة**»[(٤)]. حنيفية في العقائد، سـمحة في التشـريع والأحـكام، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقـرة: ١٨٥]، هكذا كان ﷺ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى.

(٣) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرجوه: حديث قوي. وحسَّـن إسـناده الحافـظ في التغليق (٤٣/٢)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

**أهمية رفق الدعاة إلى الله:**

إنَّ كثيرًا من الناس للأسف الذين يزعمون أنهم ينتسبون إلى السنَّة لا يعرفون هذا الخلق، ويأخذون الناس بالعنف، ويقيمون معارك من أجل مسائل هينة في دين الله، المختلف فيه عندهم كالمتفق عليه، والسنن كالفرائض، والمكروهات كالمحرمات أو كالكبائر، لا، ما هذا من السنَّة في شيء، السنَّة تقوم على التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، والرفق لا العنف، حتى مع المخطئ.

حينما دخل أبو بكرة المسجد ووجد النبي ﷺ راكعًا؛ فأراد أن يدرك الركوع؛ فركع من باب المسجد، ومشى راكعًا حتى وصل إلى الصف، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ؛ ماذا قال له؟ قال له: «**زادك الله حرصًا ولا تعد**»[1]. قوله: «**زاد الله حرصًا**». كلمة تقدير للباعث النبيل الطيب، الذي دفعه إلى أن يركع من باب المسجد؛ حتى لا تضيع عليه الركعة. وقوله: «**ولا تعد**». معناه أنَّك أخطأت، ولكنه لم يجبهه من أول الأمر بأنه مخطئ، لم يقل له: ما هذا الذي فعلت؟ أتجهل السنَّة؟ لا، وإنما قال: «**زادك الله حرصًا ولا تعد**».

فينبغي أن نتعلم من رسول الله ﷺ الذي قال: «**إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله**»[2]. قال هذا في مواجهة رجل دخل على النبي ﷺ؛ فسلم عليه، ولكنه لوى لسانه بالتحية، فبدل أن يقول: السلام عليك. قال: السام عليك يا محمد. أي: الموت والهلاك، فقال النبي ﷺ: «**وعليكم**». ولكن عائشة سمعته فقالت: بل السام والهلاك واللعنة عليكم يا أعداء الله. فقال:

---

(١) رواه البخاري في الأذان (٧٨٣)، عن أبي بكرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

«**يا عائشـــة، لِمَ فعلت هذا؟**» قالت: ألم تسمع ما قال يا رسول الله؟ قال: «**بلى، وقلت: وعليكم**». أي إن كان يقصد الموت فكلنا سنموت، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمـر: ٣٠]، «**يا عائشـــة، إن الله يحب الرفـق في الأمر كله**»[١]، «**إن الرفق لا يكون في شـيء إلا زانه، ولا ينزع من شـيء إلا شانه**»[٢]. السنَّة هي هكذا لو فهمناها.

## فهم قاصر لمعنى السنَّة:

هناك كثير من الناس يخيلون إلى غيرهم أنَّ الســنَّة تتمثل في بعض الآداب، كأن الســنَّة أصبحت محصـورة في اللحية الطويلـة، والثوب القصير، وإمساك السواك باليد.. وانتهت السنَّة عند هذا الحد!

كأن السنَّة ليست عقائد وعبادات، وأخلاقًا وعملًا وسلوكًا، وفضائل تشـمل كل جوانب الحيـاة.. نحن نظلـم الســنَّة إذا اختزلناها في هذه الأشياء.

هذه الأشياء طيبة ولا شك، ولكن الأمر أكبر من ذلك، إن النبي ﷺ يقول: «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظـر إلى قلوبكم**»[٣]. هكذا روى الإمام مسلم، ويقول فيما رواه الشيخان: «**ألا إنَّ في الجسد مضغة؛ إذا صلحت صلح الجسـد كله، وإذا فسدت فسـد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[٤].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٩٣٨)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المسـاقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

إنَّ كثيرًا من الناس يهتمون بالظواهر وينسون أعمال القلوب ومعاصي القلوب، إنَّ أحدهم يتمسك بهذه الأشياء البسيطة، ولكنه في قلبه غرور، في قلبه عُجب، في قلبه كبر، والنبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»(١). ويقول فيما رواه مسلم: «**إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناس. فهو أهلكُهم**»(٢). وفي رواية: «**فهو أهلكَهم**». هو أهلكَهم: أي بتيئيسهم من روح الله. وهو أهلكُهم: أي أسرعهم هلاكًا وأشدهم هلاكًا؛ بعُجبه وغروره، واستكباره على خلق الله ﷻ.

هذا مما ينبغي أن نفهم به السنَّة إذا أردنا أن نتبع سنة رسول الله ﷺ، لقد اتبعها الصحابة رضوان الله عليهم، وتلاميذهم ممن اتبعهم بإحسان، فدانت لهم الدنيا، وفتحوا الفتوح، وأقاموا في العالم دولة العدل والإحسان، وحضارة العلم والإيمان، وكانوا قرة عين الدنيا، لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثلهم؛ يوم فهموا الإسلام حق الفهم، من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسوله ﷺ.

هذه هي سنة محمد ﷺ التي أمرنا باتباعها، «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وسنتي**»(٣). نسأل الله تعالى أن يفقهنا في كتابه وسنة نبيه، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، وادعوه يستجب لكم.

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٣)، وأحمد (٧٦٨٥)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الحاكم في العلم (٩٣/١)، وقال: احتج البخاري بعكرمة، واحتج مسلم بأبي أويس عبد الله. وله أصل في الصحيح، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٠)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية:

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ أيُّها الإخوة:

تحدثت إليكم عن سنَّة رسول الله ﷺ بمناسبة الندوة التي يُنظمها مركز «بحوث السنَّة والسيرة النبوية» بجامعة قطر لمدة أربعة أيام، تبدأ من الغد، لتبحث عن موسوعة شاملة لحديث رسول الله ﷺ، دُعي إليها من العلماء الأعلام المتخصصين في هذا الموضوع، وهي تحت رعاية صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يكون ذلك خيرًا على أمتنا الإسلامية، وأن يكون ذلك في صالح المسلمين لغدهم ومستقبلهم، حتى يعيشوا مسلمين، ويحيوا مسلمين، ويموتوا مسلمين؛ كما أراد الله لهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يحيينا على سنَّة رسول الله، وأن يميتنا على ملته، وأن يحشرنا في زمرته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

ونرجو من بعض الإخوة الفضلاء الذين شرفونا من أعضاء الندوة، فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والدكتور أكرم ضياء العمري، أن يتقدموا بعد الصلاة للحديث لدقائق مع الإخوة هنا في هذا المسجد المبارك إن شاء الله.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# ١٤

# الخوف من الله تعالى

## الخطبة الأولى:

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تحدثنا عن ذلك المعنى الكبير الذي يغفل الناس عنه، وهو أن صلاح المجتمعات بصلاح أفرادها، وأنَّ صلاح الأفراد بصلاح أنفسها، فـ «**إنَّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(١).

لهذا كان لا بد من العناية بالنفس الإنسانية، بهذه المضغة، أو بهذه اللطيفة الربانية التي أودعها الله بين جنبي الإنسان، والتي بها صار الإنسان إنسانًا، وبها يُخاطَب، وبها يُثاب، وبها يُعاقَب، لا بد من العناية بالنفس أو بالقلب أو بالضمير، سمِّه ما تسميه، فهي حقيقة الإنسان.

### مجاهدة النفس:

لا بدَّ لنا أن نرجع إلى أنفسنا لنحاول تغييرها، فإن ما بنا لا يتغير إلا إذا تغير ما بأنفسنا، سنة الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]، لا بد

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

من محاســبة النفس، ولا بد من رياضتها، ولا بد من جهادها، حتى تستقيم على الحق، وحتى تســتمر على الخير، وحتى تســير في طريق الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا ما ينبغي للإنسان المؤمن أن يفعله، أن يجاهد نفسه كما يجاهد عدوه، ولعل أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك، إذا استسلمت لها وتركتها في غلوائها وفي شهواتها.

لا بد من مجاهدة، والمجاهدة هي طريق الهداية، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. الرياضة والمجاهدة مطلوبة حتى ترتاض هذه النفس، وتلين قناتها للحق.

وإذا كان الإنسان يستطيع ـ عن طريق الرياضة والتأديب والسياسة ـ أن يؤدب الحيوانات حتى تُســتأنس، والوحوش حتى تنقاد للإنســان، فالنفس أولى بذلك، ولكنها تحتاج منا إلى يقظة، إلى عناية مســتمرة، وخصوصًا أنَّ هذه النفس جموح بطبعها، أمارة بالسوء، ميالة إلى الشر، كســلانة عن الخير، فلا بدَّ لها من بواعث، ولا بد لها من حوافز، حتى تستطيع أن تزجرها عن الشر، وتقمعها عن المعصية، وحتى تستطيع أن ترغبها في الخير وتسوقها إليه، وتبعثها وتحفزها على الطاعة.

## حافزان أساسيان: الخوف والرجاء:

هناك حافزان أساسيان لا بد منهما حتى تمضي النفس الإنسانية على طريقها المســتقيم، هذان الباعثان أو الحافزان هما الخوف والرجاء، أن تخاف الله وتخشــاه، وأن ترجو رحمته وتأمل فــي فضله، كما قال ذلك الصوفي الصالح ابن عطاء الله: لا يُخرج الشــهوة مــن النفس إلا خوف مزعج، أو شــوق مقلق[(١)]. أو كما يقول الإمام الغزالي: إنَّ النفس أشــبه

(١) حكم ابن عطاء الله بشرح العارف بالله الشيخ زروق صـ٣٥٩، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

QaradawiBooks.com

بالدابة الحرون، إذا وقعت في مهواة ـ حفرة ـ وأردت أن تخرجها منها؛ فلا بد أن تلوح لها بالشعير والخضرة من ناحية، وقد تحتاج إلى أن تضربها بالسوط من ناحية أخرى، وكذلك النفس في حاجة إلى شيء يقودها، وإلى سوط يسوقها. هذا الشعير أو هذا القائد هو الرجاء، وهذا السوط هو الخوف[1].

## الحاجة إلى الخوف:

وإذا شُغل الناس بالشهوات، واستمرؤوا المعاصي، وأضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات كانت حاجتهم إلى الخوف أكثر، يحتاجون إلى أن يُخوَّفوا؛ وخصوصًا إذا أمنوا مكر الله، إذا غلب عليهم الأمن، إذا غلب عليهم حب الدنيا؛ حتى نسوا الآخرة، وإذا أحبوا المال ونسوا الحساب، وإذا أحبوا الخلق ونسوا الخالق، وإذا أحبوا القصور ونسوا القبور، هم في حاجة إلى أن يخافوا، لا بد من الخوف.

## علاقة الجهل والمعرفة بالخوف:

قد يُعبَّر عن الخوف بالخشية، والخشية هي خوف مع شيء من المهابة والاستعظام للمخوف، والمؤمن يجب أن يخاف الله عَزَّ وَجَلَّ ويخشاه قبل أي شيء آخر.

الخوف هو ألم في القلب، انفعال نفسي يأتي من توقع الإنسان ما يكرهه ويؤلمه؛ فيخاف أن يحل به هذا الشيء المؤلم المكروه، وكلما قوي توقعه له ازداد خوفه منه، وكلما عظمت معرفته بهذا الشيء كان خوفه أكثر، ولذلك لا يخاف الجاهل لأنه لا يعلم شيئًا، قد يضع الطفل

(١) إحياء علوم الدين (١٥٧/٤).

QaradawiBooks.com

يده في النــار؛ لأنَّه لا يعلم أنهــا تلدع وتحرق؛ حتى إذا لمســها يومًا، فلدعته خاف أن يقترب منها.

من اجترأ علــى الله وعلى معاصيه، فهذا جاهل بقــدر الله، لم يعرف حقيقة أوصــاف الله، يأخذ عرض هــذا الأدنى كما كان اليهــود يفعلون ويقولون: سيُغفر لنا. يأكل المال بالباطل، يســتمرئ أخذ حقوق الناس، يســتعلي على غيره، يبتعد عن ربه، يفرط في حقوقه وفــي فرائضه؛ ثم ينتظر المغفرة ويقول: الله غفور رحيم! ونسي أنَّ عذابه هو العذاب الأليم، ونســي أنه يقول: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]. لم يعرف الله حق معرفته من اجترأ على معاصيه.

ولذلك كان أشــد الناس خوفًا مــن الله أعلمهم بــالله، ومن هنا قال القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. الذين يعلمون جلال الله، ويعرفون قدره، ويصفونه بكل كمال، ويعرفون ماذا أعد لعباده من الثواب ومن العقاب، في الجنة والنار، هؤلاء هم الذين يخشون الله.

ولهذا وصف الله الأنبياء والصالحين بأنَّهم أهل رغب ورهب، وأهل خوف وطمع، يقول الله تعالى بعد أن ذكر لنا جماعة من الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال في وصف المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. ووصف آخرين فقــال: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. ووصف الإنسان المؤمن بقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمــر: ٩]. هذا هو شــأن الإنسان المؤمن، هو دائمًا بين الخوف والرجاء.

QaradawiBooks.com

**مقدمات الخوف:**

الخوف انفعال، وهذا الانفعال ربما لم يكن في مقدور الإنسان، فليس في إرادة الإنسان أن يخاف متى شاء، ولكن هناك مقدمات تجعل الإنسان يخاف:

**١ ـ استحضار الذنوب:**

من هذه المقدمات المعرفة، أن يعرف الإنسان ماذا صنع، أن يستحضر ذنوبه، يستحضر ماذا قدم في صحيفة السيئات، ويعرف أن هذه الذنوب ستحيط به، وسيجدها يوم القيامة في كتابه الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسيسأله الله عنها كما سيسأل كل الناس، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ـ٩٣]، فليُحضِّر للسؤال جوابًا، وليستعد ليوم الحساب، لا بد أن يستحضر ذنوبه، لا ينسى هذه الذنوب، فإنه إذا نسيها؛ فإن الله لا ينساها، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

**٢ ـ استحضار العقوبات:**

يستحضر الإنسان الذنوب، كما يستحضر أيضًا عقوبة الله ﷻ، وماذا أعد للعصاة والمجرمين والفجرة والمنافقين، يستحضر عقوبات المعاصي، وهي عقوبات كثيرة، بعضها في الدنيا وبعضها في الآخرة، فكثيرًا ما يُعاقب الإنسان في الدنيا قبل الآخرة، فعليه أن يستحضر هذه العقوبات ويُخوِّف بها نفسه، حتى يرتدع ويزدجر.

أحد الصالحين حدثته نفسه يومًا بالمعصية؛ فذكر النار، وذهب إلى الصحراء في الظهيرة، في هجير الصيف وفي الرمضاء، وخلع ثيابه وظل يتمرغ على حر الرمل في الظهيرة، وهو يكتوي بها ويقول لنفسه: ذوقي.. فنار جهنم أشد حرًا[1].

(١) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النَّفس (٥٧)، تحقيق مصطفى بن علي بن عوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

وكان بعضهم يأتـي بالمصباح ويضع إصبعه عليه فيلسـعه، فيقول: ويحك يا نفس! أتجزعين من لسعة هذا المصباح؟! فكيف بنار الآخرة، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار الآخرة؟!

وكما يقول ذلك الرجل الصالح:

**جسـمي على البردِ ليـس يقوَى ولا علـى أهـونِ الحـرارةْ**
**فكيـفَ يقـوَى علـى جحيـمٍ وقودُهـا النَّـاسُ والحجـارةْ**(١)

## عقوبات الآخرة:

على الإنسـان أن يتذكر عقوبات الله، وخصوصًـا عقوبات الآخرة، يتذكر الآخرة منذ الموت، والموت أشد ما قبله، وأهون ما بعده، يتذكر الموت وسـكرته، والقبر وضمته، والموقف وزحمته، والرب وغضبته، والصراط ودقته، والجنة ونعيمها، والنار ولهيبهـا، يتذكر هذا كله حتى يزعجه ذلك عن الاستئناس بما هو فيه، والركون إلى الدنيا ولذاتها، لا ينبغي للإنسـان أن يركن إلى الدنيا، قال بعضهم: كيف نركن إلى الدنيا والموت مصيرنا، والقبر منزلنـا، والقيامة موعدنا، والنار تنتظرنا؟ كيف يأمن الإنسان على نفسه وهذا كله أمامه؟

## ٣ ـ استحضار ضعف الإنسان:

ينبغي للإنسان أن يتذكر عقوبات الله، كما يتذكر أيضًا ضعف نفسه.. أنه لا يحتمل لسعة نار، إذا كان لا يحتمل حر الصيف، ولا يحتمل برد الشـتاء، فكيف يحتمل عذاب جهنم؟ كيف يحتمل القبر وهو حفرة من حفر النار؛ إذا لم يكن روضة من رياض الجنة؟ كيف يحتمل هذا كله؟!

(١) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (٤٣٨/١)، نشر الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

## الخوف من المعصية:

لهذا كان المؤمنون الخائفون يستذكرون هذا كله، كان بعضهم يخاف من الذنوب، يخاف من المعصية، سواء كانت هذه المعصية ارتكاب محظور، أو ترك مأمور، قد تكون المعصية بأن ترتكب ما حرَّم الله: تأكل الربا، أو تأكل مال اليتيم، أو ترتشي، أو تأكل أموال الناس بالباطل، أو تشرب الخمر، أو تزني.. ترتكب فعلًا مما حرَّم الله عز وجل. وقد تكون المعصية بترك ما أمر الله به: أمرك الله بالصلاة فتركت الصلاة، وأمرك بالزكاة فمنعت الزكاة، وأمرك ببر الوالدين فعققتهما، وأمرك بصلة الرحم فقطعتها، وهكذا، الخائفون يستذكرون المعاصي ويحذرونها.

## الخوف من النفاق:

وهناك من أهل الخوف من لا يخاف من المعصية ولكن مما هو أكبر من المعصية، يخاف من النفاق، أن يكون من المنافقين وهو لا يدري، كان الصحابة يخاف أحدهم على نفسه أن يكون من أهل النفاق، حتى كان عمر يخاف ذلك على نفسه، وقال لحذيفة بن اليمان كاتم سر رسول الله ﷺ في أمر المنافقين: أتجدني منهم يا حذيفة؟ قال: لا، ولا أزكي أحدًا بعدك[1]. عمر يخشى أن يكون من المنافقين، وهكذا كانوا!

كانوا يقولون عن النفاق: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق[2]. المنافق هو الذي يأمن على نفسه أن يكون قد تسرب إليه شيء من النفاق وهو لا يدري، وإذا كان الإنسان ذا بصيرة وذا حساسية خشي من

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الفتن (٣٨٥٤٥).

(٢) رواه الخلال في السُّنَّة من قول الحسن البصري (١٦٥٦)، تحقيق عطية الزهراني، نشر دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

هذا، كما قال الحسن ﵁: إنَّ من النفاق ألا يستوي السر والعلانية، ولا يستوي القول والفعل، ولا يستوي المدخل والمخرج[1]. لكي لا تكون منافقًا ينبغي أن يكون ظاهرك كباطنك، ومدخلك كمخرجك، وسرك كعلانيتك، وقولك كفعلك، ومن في الناس يكون كذلك؟ الخائفون دائمًا يخافون أن يتسلل النفاق إلى أنفسهم وهم لا يشعرون.

## الخوف من استصغار المعصية:

ويخافون أيضًا أن يكونوا قد أتوا ذنبًا يحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم، ولذلك قال أكثر من واحد من أصحاب النبي ﷺ، منهم أنس[2] وأبو سعيد[3] وغيرهم كانوا يقولون للتابعين: إنَّكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر.. كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات أو من الكبائر. لأن في عصر النبي ﷺ كانت الروحانية عالية، وكانت النفوس أيقظ ما تكون، فهذه الأشياء التي يعتبرها الناس خفيفة بسيطة سهلة، أدق في أعينهم من الشعر.. كان الصحابة يقولون: كنا نعدها من الموبقات. على قدر المعرفة يخاف الإنسان، هناك من يخاف الذنوب، وهناك من يخاف النفاق على نفسه.

## الخوف من سوء الخاتمة:

وهناك من يخاف سوء الخاتمة، أن يُختم لهم بسوء، أن يُسلب منهم الإيمان والعياذ بالله، لأنهم يعلمون أنَّ المعاصي بريد الكفر، الصغيرة تجر إلى الكبيرة، والكبيرة تجر إلى الكفر، والأعمال بالخواتيم.

---

(١) إحياء علوم الدين (١٢٣/١).

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٢).

(٣) روا أحمد (١٠٩٩٥)، وقال مُخَرِّجوه: صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٤٦٤): رجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

وكان من دعاء عمر رضي الله عنه: اللهم إني أعوذ بك أن تأخذني على غرة، أو تذرني في غفلة ، أو تجعلني من الغافلين[1]. يخافون من الغفلة، أن يغفلوا عن أنفسهم، فيتسرب منهم الإيمان، وهم لا يدرون! كانوا يخافون سوء الخاتمة والعياذ بالله.

زار الإمامَ الجليل سفيان الثوري بعضُ أصحابه، وهو في مرض موته ـ وسفيان الثوري أحد أئمة المسلمين في الورع والزهد والتقوى، والحديث والفقه ـ فوجدوه يبكي؛ فقالوا له: ما كل هذا البكاء؟ إن عفو الله تعالى أعظم من ذنوبك يا أبا سعيد. فقال لهم: أتحسبونني أبكي على ذنوبي؟ إنَّما أبكي خوف ألا أموت على التوحيد، والله لو ضمن أني أموت على التوحيد، ما أبالي أن تكون لي أمثال الجبال من الخطايا[2]. انظروا أصحاب هذا المقام يخشون من سوء الخاتمة، أنت لا تدري ماذا يُختم لك، أتظن الذي يعيش في الشهوات والأهواء والأباطيل، هل يدري هذا على أي شيء يُختم له؟!

كانوا يخافون، وكما قال أحدهم: إنما قطَّع قلوب الخائفين طول الخلودين: الخلود الأبدي في الجنة، والخلود الأبدي في النار. تُرى في أي الدارين يكون؟ ومن أي أصحابهما يكون؟ هذا ما قطَّع نِياط قلوبهم، ينظرون إلى المستقبل، الخوف ينبغي أن يشغل الإنسان على مصيره، الناس يتحدثون عن القضايا المصيرية، ولكن قضية الإنسان المصيرية الأولى هي هذه، إلام تصير: إلى الجنة، أم إلى النار؟!

أول خطبة خطبها النبي ﷺ خطبها أمام عشيرته الأقربين، بعد أن نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. جمع أهله وأقاربه،

(١) رواه ابن أبي شيبة في الدعاء (٣٠١٣١).
(٢) إحياء علوم الدين (١٧٢/٤).

QaradawiBooks.com

وأولم لهم وليمة، وبعد أن طعموا وشربوا؛ قام فيهم خطيبًا فقال: «**يا بني هاشم، ويا بني عبد المطلب، إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعًا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعًا ما غررتكم، والله لتموتن كما تنامون، ولتُبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا، وإنها لجنة أبدًا، أو لنار أبدًا**»(١). الجنة والنار هذه هي القضية المصيرية للإنسان.

**الخوف من ثمار المعرفة:**

هذا هو شأن الخائفين، شأن العارفين الذين يعرفون مقام الله فيخافونه، الخوف ثمرة المعرفة، ولذلك كان أشد الناس خوفًا لله سبحانه وتعالى هو رسول الله ﷺ، ولذلك حينما ذهب جماعة من الصحابة إلى أزواجه وسألوهن عن عبادته ﷺ، وعرفوا أنه يقوم وينام، ويصوم ويفطر، قالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ؛ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ وقال أحدهم: أما أنا فأقوم الليل؛ فلا أنام أبدًا. وقال الثاني: وأما أنا فأصوم الدهر؛ فلا أفطر أبدًا. وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء؛ فلا أتزوج أبدًا!

فعرف النبي ﷺ بما قالوا؛ فجمعهم وقال: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له** ـ وفي روية عائشة: **أما والله إني أعلمكم بالله وأخشاكم له ـ لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(٢). فكان أعلم الناس بالله وأخوفهم لله ﷻ، ولكنه مع هذا ظل على الصراط المستقيم، صراط الاعتدال.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٣٥/٢)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا نريد من الخوف أن يترك الناس الدنيا ويعتزلوا طيباتها، ويعيشوا في الزوايا والتكايا، لا، لا نريد هذا، وإنما نريد أن يسلكوا السبيل الجادة، وأن يسلكوا المنهاج المستقيم، وأن يسلكوا صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإمامهم في ذلك رسول الله ﷺ.

## الخوف سبيل إلى الجنة:

الخوف من الله، والخشية من الله هي السبيل إلى الجنة، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، هي السبيل إلى رضوان الله تبارك وتعالى، ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨]، الخوف من الله سبحانه وتعالى وليس من أحد سواه.

إن كثيرًا من الناس للأسف يخافون من أي شيء إلا من الله، يخافون من المرض، ويخافون من الموت، ويخافون من الظلمة، ويخافون من ذهاب الصحة، ويخافون من ذهاب المال، ويخافون من كذا وكذا، ولكنهم يجترئون على الله سبحانه وتعالى، لا يخافون الله لجهلهم بالله.

## الخوف يمنع الغرور:

ينبغي أن نعرف مقام الله حتى نخافه، فإذا خفناه أورثنا ذلك أمرين مهمين: الازدجار عن المعاصي والسيئات والابتعاد عن الشهوات، ثم ألا نغتر بما قدمنا من عمل مهما يكن، لا نُعجب بطاعاتنا؛ فإن الإعجاب بالطاعات يحبطها ويفسدها، كالذي يتصدق ثم يمن بالصدقة؛ فيبطل

QaradawiBooks.com

صدقاته بالمن والأذى، وقد قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: سيئة تسوؤك، خير عند الله من حسنة تعجبك[١]. السيئة التي تسوؤك وتؤلمك وتنكد عليك: أفضل من الحسنة التي تغتر بها وتقول: مَن مِثلي؟ أنا أصلي، وأنا أصوم، وأنا أحج كل عام، وأنا أذهب إلى العمرة في رمضان. ولا تدري هل قُبلت منك هذه الأشياء أم لم تُقبل!

كان بعضهم يبكي، فقيل له: لِمَ تبكِي؟ أنت الذي تفعل كذا وكذا من الخيرات، وتقدم كذا وكذا من الحسنات. قال: ويحكم، وما يدريني أن الله تعالى قَبِل هذا مني، وهو يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]؟ ولذلك نجد فرقًا بين المؤمن والمنافق، المنافق يعمل السيئات ويقول: أطمع أن يُغفر لي. والمؤمن يعمل الصالحات ويقول: أخشى ألا يُقبل مني. هذا هو المؤمن العارف بمقام ربه، الخائف من الله تبارك وتعالى.

### الخوف يردع عن الجرائم:

بعض الناس يقولون: إنَّ تربية النفس على الخوف ظاهرة مرضية. وكذبوا، هذا الخوف ليس من هذا النوع، الخوف من الله ليس خوفًا من جبار يأخذ البريء بالمسيء، ولكنه خوف من ملك عادل يجزي كل نفس بما كسبت، ويوفيها ما عملت، لا تُظلم نفس عنده شيئًا، ولا يخاف أحد عنده ظلمًا ولا هضمًا، هذا هو الخوف من الله سبحانه وتعالى.

الخوف من عقوبة الله سبحانه وتعالى كما يخاف المجرم إذا انحرف أن تناله يد القانون، وأن تناله يد القصاص، هذا الخوف مطلوب، ومن هنا كانت القوانين وكانت الزواجر وكانت العقوبات؛ حتى لا يقع الناس

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة (١٨/١٧٤)، نشر دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

QaradawiBooks.com

تحت طائلة القانون، كذلك الإنسان المؤمن يخاف عقوبة الله، ويضع أمامه هذا الأمر، إذا حدثته نفسه بسوء، إذا حدثته نفسه أن ينتهك عرضًا، أو يرتكب فاحشة؛ قال ما قاله يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

إذا حدثته نفسه أن يأكل مالًا حرامًا خشي من عذاب النار يوم القيامة، وخصوصًا إذا كان مالًا ليتيم أو ضعيف، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

إذا حدثته نفسه بالاعتداء على ضعيف تذكَّر قدرة الله تعالى عليه، وقال ما قال ابن آدم الخيِّر حين أراد أخوه الشرير أن يبسط إليه يده بالسوء؛ فأبى أن يقابل السيئة بالسيئة، والعدوان بالعدوان، وقال له: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]. هذا الخوف هو الذي يردع الإنسان أن يرتكب الجرم أو يعمل السوء.

إننا أحوج ما نكون إلى أن نغرس في أنفسنا مخافة الله ﷻ، أن نخشى الله قبل أي شيء، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، خافوا الله، ارهبوا الله كما قال: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. لتكن رهبتك من الله، وخوفك من الله، وخشيتك لله ﷻ، فهذا هو مفتاح الخير، وهذا هو الطريق إلى سعادة الدنيا، وإلى سعادة الآخرة.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا حسن معرفته، ويرزقنا الخوف من مقامه؛ إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# ١٥
# النفس اللوامة

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تحدَّثتُ في الجمعة السابقة عن مبدأ من المبادئ الإسلامية المهمة، هو مبدأ: «محاسبة النفس»، حاسبوا أنفسكم قبل أنْ تُحاسَبوا، وزِنُوا أعمالكم قبل أنْ توزَن عليكم(١)، واسألوا أنفسكم قبل أن يصير السؤال إلى غيركم. هذا هو مبدأ المسلم: أن يحاسب نفسه، ألَّا يهمل نفسه، أن يراقبها ويشارطها قبل العمل، ويحاسبَها بعد العمل، هل أدَّت العمل على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي أم أنها قصَّرت وأهملت؟ فإن قصَّرت وأهملت حاسبها وشدَّد عليها في الحساب، وعاتَبها عتابًا ولامها لومًا، بل ربما عاقبها.

هناك نفس سمَّاها القرآن: «النفس اللوامة»، هناك النفس الأمارة بالسوء، وهناك النفس اللوامة، وهناك النفس المطمئنة.

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في الزهد (٣٥٦٠٠)، عن عمر بن الخطاب.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

## الحذر من النفس الأمارة بالسوء:

النفس الأمارة بالسوء هي كلُّ نفس تُرِكت لغرائزها وشهواتها، فإنها تتسلط على الإنسان، تغريه بالشر، وتعوقه عن الخير. هذه هي طبيعة النفس إذا تُرِكت لجبلَّتِها؛ ولذلك ورد: أعدى عدوِّك نفسك التي بين جنبيك. هي عدو من الداخل؛ ولذلك يقول الإمام الغزالي: إنَّ النفس عدوٌّ ينبغي أنْ يُحتاط له، وأنْ يُحْذَر منه؛ لأمرين:

**الأمر الأول:** أنَّها عدو من داخل الدار، فاللص إذا كان من الخارج أمكنك أنْ تغلق الباب، وأن تُحْكِم الإغلاق فلا يدخل عليك، لكن إذا كان اللص من البيت، من داخل المنزل، إذا كان اللص أحد أولادك فماذا تصنع؟ وإذا كان خادمًا عندك هناك يكون الخطر أشد، فالنفس عدو من الداخل، من داخلك، ولذلك يقول الشاعر الصالح:

**نفسي إلى ما ضرَّني داعي تهيجُ آلامي وأوجاعي**
**كيف احتيالي من عَدُوِّي إذا كان عدوي بينَ أضلاعي**(١)

ثم إنَّ هذا العدو ـ كما يقول الإمام الغزالي ـ عدوٌّ محبوب. عادة الأعداء أن يكونوا مكروهين، ولكن إذا كان عدوك لا تعرف أنه عدوك وتحبه؛ فهو يتسلل إليك من باب الحب، ويدخل عليك من حيث لا تشعر، ويوقعك في المهالك وأنت لا تدري!

والنفس عدو محبوب، فكل إنسان يحب نفسه، يحب ذاته، وهذا هو الخطر؛ ولذلك كان على الإنسان المؤمن أنْ يحذر من هذه النفس الأمَّارة بالسوء، كما قصَّ الله علينا في قصة يوسف على لسان امرأة

(١) من شعر العباس بن الأحنف. كما في العقد الفريد (٣٢/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

العزيز: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٢، ٥٣].

السياق يدلُّ على أنَّ هذا من كلام هذه المرأة وليس من كلام يوسف عليه السلام، وإلَّا تقطعت أوصال الكلام. وليس عجيبًا أن تتكلم المرأة بمثل هذه الحكمة، فكم قصَّ علينا القرآن من حِكَم تكلمت بها بعض النساء وأصبحت قواعد من قواعد الحياة، كما قالت ابنة الشيخ الكبير لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وكما قالت ملكة سبأ: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، أي: إذا دخلوا قرية فاتحين، كأنها تتحدث عن الاستعمار إذا دخل بلدًا ماذا يصنع بها وبأهلها، إنه دائمًا يفسد البلاد، ويذل العباد، ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾؛ حتى يرضخوا لهم، وتلين لهم قناتهم، ويقبلوا الواقع المهين. هذه كلمات بعض الناس، فلا عجب أن تقول امرأة العزيز: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾.

## أهمية سياسة النفس وترويضها:

انظروا إلى هذا التعبير: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، لم تقل: (آمرة بالسوء)، إنها أمَّارة، أي دائمة الأمر وكثيرة الأمر بالسوء إذا تركتها وهواها، ولم تُلْجِمْها بلجام التقوى، ولم تسُسْها بالمحاسبة والمراقبة، فهكذا.

ينبغي للإنسان أن يسوس نفسه ويرُوْضَها، كما يسوس السائس الفرسَ حتى يدرِّبه، وكما يسوس صاحب الأسد أو النمر في حدائق الحيوانات، كما يسوس هذه الوحوش حتى يلينها له، وحتى تخضع لتوجيهاته.

QaradawiBooks.com

هذه النفس متوحشة إذا تركتها وحدها، لا بد أن تسوسها وتُليِّن قناتَها، وتتعامل معها برفق وبقوة في الوقت نفسه؛ حتى تلين لك، وحتى تزكو فتفلح، صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ هذه أشياء غريزية، ألهمها الله وغرزها فيها، وقدَّم الفجور على التقوى ليُعْلِمنا أنَّ النفس أقرب إلى الفجور منها إلى التقوى إذا تُرِكت وحدها، فلا بدَّ من عمل حتى تتزكى، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٨]: طهَّرها ونمَّاها، التزكية تعني التطهير والتنمية، أنْ تُطهِّرها من الخبائث والرذائل، وتنميها بالفضائل. هكذا ينبغي أن يتعامل الإنسان مع نفسه، ويراقب ويشارط، ويحاسب ويعاتب، كما كان يفعل الصحابة والأخيار من الناس.

## وقفات مع النفس للمحاسبة:

كان عمر بن الخطاب يخلو إلى نفسه، يمسك الدرة ويضرب بها رجله ويقول: عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين بخٍ بخٍ، تالله لتتقين الله أو ليعذبنَّك[1].

إذنْ ينبغي للإنسان أن يقف مع نفسه وقفات ليحاسبها على ما صنع، فإن فرَّطت في خير وتركته أو فعلته على الوجه الذي لا يرضي الله تبارك وتعالى، أو أهملت حتى تورطت في شر وارتكبت حرامًا صغُر أو كبُر، في حق الله أو في حقوق الناس، فلا بد له أن يعاتبها ويلومها، ويقول لها: يا نفس، لِمَ فعلتِ هذا؟ ولِمَ تركتِ هذا؟

(١) رواه مالك في الكلام (٣٦٣٨)، تحقيق الأعظمي.

QaradawiBooks.com

**النفس اللوامة هي الضمير الحي:**

هذه هـي النفـس اللوامـة، ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۞ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١، ٢] النفس اللوامة الكثيرة اللوم، الدائمة اللومِ لصاحبها.

هناك نفس ميتـة أو مريضة ليس عندها حيـاء ولا صحة حتى تلوم وتحاسـب، ولكن النفس الحية هي التي تعاتب وتلـوم وتقول: كيف؟ ولِمَ؟ ولماذا؟ وهذا هو الذي يسمونه في عصرنا: «الضمير»، أو «الضمير الحي»، الضمير الحي هو هذه النفس اللوامة.

لا عجب أن يقع الإنسـان فـي المعصية، وأن يتورط فـي الخطأ أو الخطيئة، وأن يقصر في حق الله أو حق الناس، كل الناس قد يقع منه هذا، ولكن مزيـة المؤمن على غير المؤمن: أنَّ نفـس المؤمن لوامة، لا تدعه يسـتريح بعد أن قصَّر في الخير، أو تورَّط في الشر، بل تظل نفسه تتعبه وتعاتبه، وتؤرق عليه ليله، وتنغص عليه نهاره، هذا دليل الحياة والحيوية. أما الذين يرتكبون الشرور والآثام ولا يعبؤون بما فعلوا، فهؤلاء هم موتى القلوب، موتى الضمائر. الإنسان المؤمن هو الذي يلوم نفسه.

النفس اللوامة، الناس يتفاوتون فيها تفاوتًا شديدًا، فمنهم من لا يلوم نفسـه إلا على الكبائر الموبقة، ومنهم من يلوم نفسه على الصغائر، في المحرمات الصغيرة، ومنهم من يلوم نفسـه على الشبهات، ومنهم يلوم نفسـه على المكروهات، حتى المكروهات التنزيهية، بل من الناس من يلوم نفسـه على توسـعها في بعض الحلال: لِمَ هذا كله؟ على حسب حيوية النفس وارتقائها!

ينبغي للإنسان أن يحاسب نفسه، لا ينبغي أن يترك نفسه (سبهللًا) تفعل ما تشـاء وتصنع ما تريد، إنه إنْ فعل ذلك ماتت نفسه، ومات قلبه، وغطَّى

QaradawiBooks.com

الرّين على قلبه، كما قال النبي ﷺ: «**إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه**»، والعياذ بالله، أو كما قال النبي ﷺ، قال: «**فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في قوله:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»(1). نكتة بجوار نكتة، بجوار نكتة؛ حتى يغطي القلب هذا الغشاء من الذنوب، الصغيرة تجر إلى الكبيرة، والكبيرة تجر إلى الكفر!

## لا تستهن بالذنوب:

لا تستهن بصِغَر المعصية، ولكن انظر إلى كبرياء من عصيته، ولا تستهن بالمعصية الواحدة؛ فإنَّ المعصية الواحدة تجر إلى معاصٍ بعدها، هذا هو الخطر، مجرد أن تزل قدمك في أول الطريق يُخشى أن تتوالى العثرات!

الذين وقعوا في السكر والإدمان قالوا: إنَّ سبب هذا هو الكأس الأولى، أول كأس شربتها بإغراء الأصحاب.

الذين وقعوا في إدمان المخدرات قالوا: إنَّ سبب ذلك هو الشمة الأولى التي شمَّها، أو النَّفَس الأول الذي أخذه من أصحابه.

الذين ابتُلوا بالتدخين قالوا: سبب ذلك هو السيجارة الأولى. وهكذا.

ولذلك على الإنسان أن يحذر ألَّا يقع من أول الطريق في شرٍّ، قد يودي به إلى الهاوية، والعياذ بالله عز وجل. فإنْ وقع مرة حاول أن يتدارك نفسه بسرعة، وإلَّا تفاقم الأمر عليه.

---

(١) رواه أحمد (٧٩٥٢)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. والترمذي في التفسير (٣٣٣٤)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤)، والحاكم في التفسير (٥١٧/٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

البذرة تثبت في الأرض، وتمتد جذورها، ثم تبسط فروعها، ويصعب بعد ذلك خلعها، ولكن إن تداركتها في أول الأمر سهلت.

خطر الذنوب على الإنسان، ينبغي للإنسان أن يتفطن لذلك.

**احرص أن تكون ذا نفس لوامة:**

احرص أن تكون نفسك نفسًا لوامة، إياك أن تزعم أنك مطهَّر من كل عيب، مبرأ من كل ذنب، أبيض الصفحة، نقي السريرة، لا شيء عندك. لا، لستَ ملكًا مطهَّرًا، ولا نبيًّا معصومًا، إنَّ نبيَّك ﷺ كان أكثر الناس استغفارًا لربِّه، ورُوِي عنه من صِيَغ الاستغفار ما يملأ القلب حبًّا وخشية لله عز وجل:

«**اللهمَّ أنت ربِّي، لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدُك، وأنا على عهْدِك ووعدك ما استطعت، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعت، أبُوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبُوءُ بذنبي، فاغفر لي، إنَّه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»(١)، سيد الاستغفار.

سأل سيدنا أبو هريرة رسولَ الله ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: «**أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد**»(٢). هكذا كان رسول الله ﷺ، يشعر دائمًا بالتقصير في جنب الله عز وجل؛ لأنَّ من عرف مقام الله، وعرف مقدار نعم الله تعالى عليه: عرف مقدار تقصيره نحو ربه، مهما قدَّم من طاعات وأعمال؛ فإنها لا تكافئ نعم الله تعالى عليه، ولا تكافئ ما ينبغي لله عنده.

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦)، عن شداد بن أوس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٤٤)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٩٨).

QaradawiBooks.com

## النفس المطمئنة:

هذا شأن النفس اللوامة، فإذا كثر هذا اللوم، ولانت النفس للإنسان، واستقامت على الطريق تحوَّلت إلى الحالة الثالثة من أحوال النفس، حالة الاطمئنان: النفس المطمئنة، ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ۝ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠]، اطمأنت باليقين، اطمأنت بالإيمان بالله تعالى وبالدار الآخرة، اطمأنت بما يملأ جوانحها، بأن الله سبحانه وتعالى معها حيثما كانت.

هذه السكينة وهذه الطمأنينة التي تجعلك تقف على أرض صلبة، وتكون ذا نفس هادئة وإن اضطرب الناس، باسمة وإن عبس الناس، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

## أهمية المحاسبة للنفس:

مبدأ المحاسبة مبدأ مهمٌّ ينبغي أن نشغل به أنفسنا، أن يحاسب كل امرئ نفسه.

كان بعض رجال التربية من دعاة هذا العصر يعلِّم أتباعه أن يصنعوا جدولًا كما يصنع التلميذ، هو يصنع الجدول للمواد التي يدرسها كلَّ يوم: كتاب كذا من الساعة كذا للساعة كذا، وكتاب كذا من الساعة كذا للساعة كذا، والمادة الفلانية من الساعة كذا للساعة كذا، تمرينات من الساعة كذا للساعة كذا، إجابة عن الأسئلة من الساعة كذا للساعة كذا، هكذا يُقسِّم وقته.

## جدول المحاسبة:

ينبغي للمؤمن أن يصنع لنفسه جدولًا، اسمه جدول المحاسبة، يكتب فيه أسئلة، ويجيب عنها بنفسه كلَّ ليلة قبل أن ينام، ويجيب: نعم، أو لا:

QaradawiBooks.com

هل صليتَ الصلوات في مواقيتها؟

هل صليت الصبح في وقته قبل أن تطلع الشمس؟

هل صليت الظهر والعصر والمغرب والعشاء؟

هل صليتها بالخشوع المطلوب؟

هل صليتها في جماعة؟

ثم إذا انتهى من الصلاة: هل قــرأت وردك من القرآن؟ ويجيب عن هذا: نعم أو لا.

وكم تعطي نفسَك في كل سؤال من هذه الأسئلة؟ خمس من عشرة؟ سبع من عشرة؟ أنت أعط نفسك، لا يحاسبك أحد، حاسب نفسك.

هل ذكرتَ الله ســبحانه وتعالى؟ للصباح أذكار وللمساء أذكار، هل تذكرت شيئًا من أذكار الصباح أو من أذكار المساء؟

هل قمت بشيء فيه بر لوالديك؟ إذا كان حيَّيْن أو أحدهما.

هل أديت شيئًا فيه صلة للرحم؟

هل قمت بشيء فيه إحسان إلى جيرانك؟

هل أمرت بمعروف؟ هل نهيت عن منكر؟

هل أديت عملك الذي تتعيش منه بأمانة وإتقان؟

أسئلة متعددة، وأسئلة أخرى في الجانب الآخر:

هل اغتبت مسلمًا؟

هل احتقرت إنسانًا؟

هل سخرت من إنسان؟

هل كذبت على إنسان؟

هل سببت إنسانًا؟

هل امتدت يدك إلى إنسان بأذى؟ إلخ.

QaradawiBooks.com

اكتب هذه الأشياء، الأشياء الخيرة في مقابل الأشياء الشريرة، الصالحات والطالحات، الحسنات والسيئات.

## نتيجة المحاسبة:

وفي النهاية ابحث عن معدل تراكمي، عن مجموع الخيرات ومجموع الآثام، وأعطِ نفسك الدرجة المطلوبة، كم تأخذ؟ النهاية الصغرى؟ تنجح بمقبول، أم بجيد، أو بجيد جدًّا، أو بامتياز؟ وقلما يعطي المؤمن نفسه درجة الامتياز أو درجة الجيد جدًّا؛ المؤمن دائمًا أشد حسابًا لنفسه ـ كما قلنا ـ من سلطان غاشم ومن شريك شحيح، دائمًا يقتر على نفسه.

من الخطر أن يحاسب نفسه، ولم يحصل النهاية الصغرى، لم يحصل على خمسين بالمائة، لم يحصل خمس درجات من عشرة، ربما لم يحصل أربع من عشرة، ربما لم يحصل درجة واحدة من عشرة، ربما وجد نفسه تحت الصفر، والأكثر من ذلك أن يجد نفسه مدينًا، أن يجد صفحة الخيرات إذا قورنت بصفحة السيئات يجد الفرق كبيرًا، ويجد العبء عليه ثقيلًا.

هكذا ينبغي أن ينظر، فإنَّ الله محاسبه على كل شيء، على الصغير والكبير، وعلى النقير والقطمير.

## دقة الحساب عند الله تعالى:

جاء رجل من الصحابة إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، إنَّ لي مملوكِين (خدم من الرقيق، عبيد) يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأضربهم وأسبهم، فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ:

QaradawiBooks.com

«**يُحسب ما خانوك وعصوك ويكذبونك، وعقابك إيَّاهم، فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك عليهم، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كَفافًا، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتُص لهم منك الفضل الَّذي بقي قِبَلك**». فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «**ما له؟ ما يقرأ كتاب الله**: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]». فقال الرجل: يا رسولَ الله، ما أجد شيئًا خيرًا من فراق هؤلاء ـ يعني عبيده ـ إنِّي أشهدك أنَّهم أحرار كلهم[1] أعتقتُهم لله، ما دام الأمر بهذه الخطورة، ما دام لن يكون عليَّ شيء؛ فأنا أعتقهم لوجه الله وأريح نفسي. وأعتقهم الرجل لوجه الله تعالى.

كل شيء بحساب، ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾. كل شيء محسوب، كل شيء موزون؛ يوم تنصب الموازين، وتنشر الدواوين، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ما لهذا الكتاب قد سجَّل كلَّ شيء، وأحصى كلَّ شيء، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، أنت تنسى ولكن هذا عند ربي في كتاب لا يضل ولا ينسى، كل شيء مسجل، كتاب لا يوضع في سلة المهملات، ولا تأكله الحشرات، حتى تقرأه أنت بنفسك: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، سواء كنتَ متعلمًا أم أميًّا؛ فإنك ستقرؤه، وستجد كلَّ صغيرة وكبيرة فيه.

(١) رواه أحمد (٢٦٤٠١)، وقال مخرجوه: حديث ضعيف. والترمذي في التفسير (٣١٦٥) وقال: حديث غريب. وصحَّح إسناده الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٣١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

### حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا:

حاسِبْ نفسك إذنْ، حاسبها قبل أن تُحاسب، هذا هو المبدأ الذي ينبغي أن نؤصله في حياتنا. حبذا لو كان ذلك كل ليلة، حبذا لو صنعنا هذا الجدول وتعاملنا معه بيننا وبين أنفسنا، وبيننا وبين ربنا، لا تُطْلِع أحدًا على هذا الجدول، أنت رقيب نفسك، ليس عليك مفتش ولا رقيب، أنت مفتش نفسك، أنت رقيب ذاتك. هذا هو الذي ينبغي.

إنك إنْ فعلت ذلك حاولت أن تتطهر، وحاولت أن تترقى، تتطهر من سيئات الماضي، وتترقى في أعمال المستقبل، حاولت أن يكون يومك خيرًا من أمسك، وغدَك خيرًا من يومك، وهذا ينبغي أن يتطلع إليه الإنسان المؤمن.

### محاسبة الأمة نفسها:

مبدأ المحاسبة مبدأ لا بدَّ منه، إنَّه مطلوب للفرد ومطلوب للجماعة، ومطلوب للأمة، الأمة أيضًا ينبغي أن تقف في حياتها وقفات تحاسب فيها أنفسها، وخصوصًا في المواقف المصيرية، وعند الأحداث الكبرى، الأمة ينبغي أن تسأل نفسها: ما الذي حدث؟ ولماذا حدث؟ وكيف حدث؟ هكذا فعل الصحابة، وسألوا أنفسهم بعد غزوة أُحد: ما الذي حدث؟ لقد انتصرنا في بدر؛ وكنا أقلَّ عددًا، وأضعف عُدَدًا، وأضأل استعدادًا، ولكنا قتلنا سبعين من صناديد قريش، وأسرنا سبعين آخرين، ما الذي حدث حتى اتخذ الله منا في غزوة أحد سبعين من الشهداء؟!

سألوا أنفسهم فنزل القرآن يقول لهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ ارجعوا إلى أنفسكم فاسألوها ما الذي حدث، وفي

QaradawiBooks.com

آية أخرى قال: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. قال سيدنا عبد الله بن مسعود: ما كنت أعلم أنَّ فينا من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية. كان يظن أنَّ أصحابه كلهم مبرؤون، ليس فيهم أحد يريد الدنيا، الكل يريد الآخرة، ولكن الصحابة كغيرهم بشر من الناس، فيهم الضعيف وفيهم القوي، والقوي قد تعتريه لحظات الضعف، يسترخي عزمه، ويُخْلِد إلى الدنيا.

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾، إشارة إلى أولئك الرماة الذين وضعهم النبي ﷺ وقال لهم: «**إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم**»[1]، الزموا أماكنكم، احموا ظهرنا. ولكن هؤلاء سرعان ما غيَّر بعضهم أو أكثرهم رأيهم؛ حينما رأوا المسلمين قد انتصروا في الجولة الأولى، ورأوا الغنائم أمامهم، وسال لعابهم إلى هذه الدنيا؛ فتركوا أماكنهم، ونزلوا يأخذون من الغنائم ما يأخذون، وأخلوا مكانهم؛ فانكشف ظهر المسلمين، واستغل هذه الفرصة القائد المحنك خالد بن الوليد، الذي كان لا يزال على الشرك، وكان على رأس الخيَّالة، وجاء من الخلف وأعمل في المسلمين سيفه وسيف أصحابه، وحدث ما حدث!

## مآسي المسلمين اليوم بما كسبت أيديهم:

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾، لا بد للأمة أن تحاسب نفسها، القرآن يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]، نحن كثيرًا ما ننسب ما يصيبنا إلى مؤامرات خارجية، نقول: هذا من كيد اليهودية العالمية،

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٣٩)، عن البراء بن عازب.

QaradawiBooks.com

والصليبية الغربية، والشيوعية الدولية، وتخطيط الماسونية، وكذا وكذا، نريد أن نحيل كل شيء على غيرنا، ولا نقول: لماذا فعل هؤلاء هذا بنا؟ ولماذا كادوا لنا؟ ولماذا أثَّر فينا كيدهم؟ ولماذا خطَّطوا لأنفسهم ولم نخطِّط لأنفسنا؟ لماذا تركناهم يخططون لنا؟ لا بدَّ أن نرجع باللوم على أنفسنا، لنعرف ما هي الثُّغرات التي نفذ منها عدونا، وما هي مواضع النقص في حياتنا، وما هي نقاط الضعف؟ نحاول أن نقويها، وما هي الثغرات؟ نحاول أن نسدها.

لا بدَّ للمؤمنين بوصفهم فرادى أن يحاسبوا أنفسهم، وبوصفهم جماعات وبوصفهم أمة أن يحاسبوا أنفسهم، المحاسبة مطلوبة من الجميع، حتى نخرج مما نحن فيه: من الضعف إلى القوة، من الشتات إلى الوحدة، من الذلَّة إلى العزة، من التبعية إلى الاستقلال والأصالة الحقيقية، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا، وأن يعرفنا بعيوب أنفسنا، وأن يهدينا إلى التي هي أقوم، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية:

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الذي هو عصمـة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شر.

اللهـمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِـنا، واجعل غدنا خيـرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خِزْي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقلَّ من ذلك.

اللهمَّ أكرمنا ولا تُهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارضَ عنَّا وأرضنا.

اللهمَّ أصلِـحْ ذات بيننا، وألِّف بيـن قلوبنا، واجمـع كلمتنا على الهُدى، واجمع قلوبنا على التُّقى، واجمع أنفسـنا على المحبَّة، واجمع عزائمنا على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ انصـر إخواننا المجاهدين في سـبيلك حيثما كانوا، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في أفغانسـتان، وانصر إخواننا المجاهدين في كل مـكان، اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسـلام، اللهم ردَّ عنا كيدهم، وفُلَّ حدهم، وأذهب عن أرضك سـلطانهم، ولا تدع لهم سـبيلًا على أحـد من عبادك المؤمنين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

QaradawiBooks.com

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عبادَ الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# ١٦
# وقفة مع النفس (النقد الذاتي)

## الخطبة الأولى:

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا بد للإنسان المسلم أن يراجع نفسه بين الحين والحين، ويقفَ من نفسه موقف المحاسبة، ينبغي أن يكون هذا في حياة الفرد، وأن يكون هذا في حياة الجماعة. لا بد من محاسبة الأنفس، وهذا يسمونه في عصرنا «النقد الذاتي»: أن ينقد الإنسان ذاتَه، وأن يضع نفسه على مشرحة التحليل، ويسأل نفسه: لماذا فعلت؟ ولماذا تركت؟ وماذا فعلت؟ وماذا تركت؟ وما كان ينبغي أن أفعل؟ وما كان ينبغي أن أترك؟ وماذا أفعل غدًا؟ وماذا أفعل بعد غد؟

هذا هو شأن الإنسان المسلم، وخصوصًا بعد الفترات الحرجة، بعد الأزمات والمحن التي تحل بالناس أفرادًا وجماعات، فلا بد للناس من وقفة؛ بل لا بد لهم من وقفات؛ فشأن هذه الأزمات أن تحيي القلوب، وأن تصحو معها الضمائر، وأن يرجع الناس إلى أنفسهم ويرجعوا إلى ربهم.

### الأزمات والمِحَن لا تأتي من فراغ:

علَّمنا الإسلام أنَّ كل شيء له سبب، وأنَّ كلَّ أزمة لا بد أن تأتي من داخل الأنفس أولًا، وقد قال الله تعالى للصحابة أنفسهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

QaradawiBooks.com

لا بد للناس أن يراجعوا أنفسهم، فليس هناك أحد معصوم، والله لم يخلق الإنسان ملاكًا مطهرًا؛ بل خلق الإنسان على طبيعة مزدوجة، فيها الطين التي تهوي به إلى الأرض، وفيه نفخة الروح التي ترتقي به إلى السماء. فيه عنصر أشبه بعنصر البهائم، وفيه عنصر أشبه بعنصر الملائكة: طين وروح، أرض وسماء، مادة ومعنى، هذا هو الإنسان.

ولا بدَّ للإنسان أن يسعى لأن يُعلِي نفخة الروح فيه على قبضة الطين، لا بد للإنسان من هذا، وهذا لا يكون إلا إذا عمل الإنسان دائمًا على أن يرقى بنفسه. إذا اعتقد الإنسان أنه فوق مستوى الشبهات، وفوق مستوى المحاسبة، وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة، فهذا هو الغرور المهلك، وهذا هو العُجب الموبق، وهذه هي إحدى معاصي القلوب المهلكات، كما جاء في الحديث: «**ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى مُتّبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(١).

**معاصي القلوب أشد من معاصي الجوارح:**

كثير من الناس يهتمون بما يتعلق بالجوارح والمظاهر، ولا يُعنون بما يتعلق بالقلوب والسرائر، والنبي ﷺ يقول: «**ألا وإن في الجسد مُضْغة، إذا صَلَحت صَلَح الجسدُ كُلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(٢). أساس الصلاح والفساد تلك اللطيفة الربانية، تلك الجوهرة الروحانية. ليس المقصود هذه القطعة من اللحم، فهذه توجد في الحي وتوجد في الميت، وتوجد في الإنسان وتوجد في الحيوان.

---

(١) رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٦٥٤): هو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال؛ فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

هذه المضخة التي تنبثق منها الدماء، وتتوزع على الأوردة والشرايين والشعيرات في الجسم: ليس المقصود منها قطعة اللحم، إنما المقصود السر الذي يسكن داخلها، الذي صار به الإنسان إنسانًا.. سمِّه قلبًا، سمِّه فؤادًا، سمِّه روحًا، سمِّه عقلًا، إنَّه حقيقة الإنسان، هذا القلب وهذه الروح وهذا الضمير هو الذي يقدِّمه الإنسان مستندًا عند الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، حتى يسلم من العذاب، ويسلمَ من النار، ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩]. هذه هي الحجة التي تأتي بها الله يوم القيامة.

سلامةُ القلب: سلامته من التلوُّث، سلامته من النجاسة، من الخبث، من الأمراض: أمراضِ القلوب، هذا هو الذي ينجيك أمام الله، ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

**تلوث القلوب والأنفس:**

يتحدث الناس اليوم عن التلوث، وأضرار التلوث، وأخطار التلوث: التلوث البيئي، والتلوث الجوي، والتلوث البحري، والتلوث الذي يصيب الإنسان والنبات، والحيوان والأسماك، والأحياء البحرية والبرية. وهذه حقيقة سببها الإنسان، فإن الله خلق الأشياء نظيفة طاهرة والإنسان هو الذي يلوِّثها بصنعه، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ولكن الأمر الأشد خطرًا من تلوث البر والبحر والجو: هو تلوُّث الإنسان، التلوث البشري: أن تتلوَّث الأنفس، أن تتلوَّث القلوب، أن تتلوَّث الضمائر، أن تتلوَّث العقول، هذا هو التلوث الخطر، الذي لا بد للناس أن يعملوا على التطهُّر منه.

الجهود مبذولة لمقاومة التلوُّث البيئي والبحري؛ ولكن لا أرى جهودًا تُبذل لمقاومة التلوُّث الذي أصاب الأنفس وأصاب الضمائر.

QaradawiBooks.com

## الأزمات توقظ النائم وتنبه الغافل:

المفروض إذا أصابت الناس محنة أو أزمة: توقظ النائم، وتنبِّه الغافل، وتعلِّم الجاهل، وتذكِّر الناسي، هكذا ينبغي أن تكون المحن والأزمات في حياة الناس، ولكن هل نستفيد نحن المسلمين من الأزمات التي تصيبنا، والمحن التي تعترينا؟ للأسف لا أرى الكثيرين يستفيدون، أرى الأمور تجري في أعنَّتِها، كل شيء يمشي كما كان، بل أرى بعض الناس ازداد سوءًا عما كان؛ والعياذ بالله!

كان لا بد للناس عندما تصيبهم الأزمات أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، لماذا يُسلَّط ظالم على الناس أو طاغيةٌ جبار؟ لماذا؟ لا بد أن يسأل الناس أنفسهم لماذا سُلِّط علينا الظلوم والطاغية؟ إذا نزل بالناس بلاء؛ فلا بد للناس أن يسألوا عن سبب البلاء، وأن يرجعوا على أنفسهم بالملامة، هذا هو شأن الربانيين من الناس.

القرآن الكريم حكى لنا عن هؤلاء الربانيين، الذي قُتِل منهم من قُتِل في معركة من المعارك؛ ولكنهم حينما دعوا الله سبحانه وتعالى اتهموا أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧]، فقبل أن يسألوا التثبيت والنصر على الأعداء: طلبوا أن يغفر الله لهم ذنوبهم، وإسرافهم في أمرهم، أي: إنهم اتهموا أنفسهم بالإسراف والتقصير. وهذا هو شأن الإنسان المؤمن أن يرجع على نفسه باللوم، لا يقول: إنَّ القادة ظلمة، ولا إن السماء جنت

QaradawiBooks.com

عليه، ولكن يقول: أسرفتُ في أمري، لا بد أني قصَّرت في حق الله، أو فرَّطت في جنب الله، أو جاوزتُ الحـد، أو اعتديت في الأمر، أو فعلت كذا وكذا.

## لا بد من وقفة مع النفس:

لا بد أن يتعوَّد الفرد المؤمن وتتعوَّد الجماعة المؤمنة من هذه الوقفات مع النفس، حساب الأنفس. هذه المحاسبة مبدأ إسلامي أصيل، أن يحاسب الإنسان نفسه، في كل يوم إن استطاع، في كل أسبوع إن استطاع، في كل شهر على الأقل، أقل شيء في كل سنة يقف وقفة الحساب الختامي؛ كما يسمونه في علم المالية والميزانيات.

في السنَّة يقف: ماذا فعلتُ خلال هذا العام؟ بل يقف كل شهر ماذا فعلتُ هذا الشهر؟ كل أسبوع يقف وقفة، كل يوم يقف وقفة، عندما يريد أن ينام: ماذا فعلت هذا اليوم؟ ماذا قدَّمت وماذا أخَّرت؟ وماذا صدر مني من خير؟ وماذا وقع مني من شر؟ ليستزيد من الخير، ويتدارك نفسه إن وقع منه الشر.

## باب التوبة لا يُغلق:

باب التوبة مفتوح، ليس عليه حاجب ولا بواب، من وقع منه الخطأ يستطيع أن يتداركه، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون المستغفرون.

آدم نفسه نسي، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ضعفت إرادته، وضعفت ذاكرته، ووقع في الخطأ، ولكنه تدارك هذا بالتوبة: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

QaradawiBooks.com

خطيئة آدم انتهت، وغُسلت غســلًا بالتوبة، وليس كما يقول النصارى؛ بأن هذه الخطيئة بقيت، وظلت معلقة في عنق آدم، وفي أعناق ذريته إلى يوم القيامة، واحتاجت إلى مخلِّص يخلِّص البشرية من آثار هذه الخطيئة! وكان المســيح الذي زعموا أنه ابن الله هو المخلِّص إلخ! لا، هذه الخطيئة انتهت بالتوبة، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

وإذا كان آدم قد أخطأ؛ فلا عجب أن يُخطئ أبناء آدم، إنَّما العجب أن يُخطئوا ويتمادوا في الخطأ، ويستمرئوا هذا الطريق، ويسيروا في ركاب الشيطان، ولا يقولوا ما قال أبوهم آدم وأمهم حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

## إنَّ الله يحب المتطهرين:

الإنسان في حاجة إلى المحاسبة ليتطهر ويغتسل مما وقع فيه، إذا كان الإسلام قد دعا إلى الطهارة الحسية ـ وهي أول ما يدرسه الإنسان المســلم في الفقه الإســلامي، أول شــيء في الفقه الإسلامي كتاب الطهارة ـ وهذا رمز إلى أنَّك كما تطهِّر جسمك ينبغي أن تطهِّر قلبك، هذه هي البداية، «**الطهور شطر الإيمان**»[1]. الطهارة نصف الإيمان؛ لأن الإيمان شطران:

**الشطر الأول**: أن تتطهَّر من الشرك والنفاق والرذائل، تتخلى عن هذا.

**والشــطر الثاني**: بعد أن تزيل هذه الأنقاض، وتبني نفسَك بالتوحيد والإيمان والفضائل، فالإيمان تخلية وتحلية: أن تخلِّي نفسَك من الرذائل، وتحلِّي نفسَك بالفضائل. «**الطهور شطر الإيمان**».

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، لا بدَّ من التطهُّر، الإنسان يسعى ليتطهَّر، يحاسب نفسه ليتطهر، ليغسل نفسه من أدرانها حتى يكون نظيفًا طهورًا، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

ويحاسب نفسه ليتطهر مما كان، ويحاسب نفسه ليكون أحسن وأفضل فيما يكون، هذا هو شأن الإنسان المؤمن، إنه يريد أن يترقى دائمًا، أن يكون يومه خيرًا من أمسه، وأن يكون غده أفضل من يومه.

## لا بدَّ أن يكون يومك خيرًا من أمسك:

كان بعض السلف يقول: من كان يومه كأمسه فهو مغبون. أيامه متساوية، أمس مثل اليوم، مثل الغد، مثل بعد الغد، هو هو، لا يزيد شيئًا، مثل التاجر الذي لا يزيد رأس ماله، هو باقٍ على حاله، يُخشى لأدنى شيء أن ينقص رأس ماله.

ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون! أي: إنه ـ والعياذ بالله ـ ينحدر من أحسن إلى حسن، ومن حسن إلى سيئ، ومن سيئ إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى ما هو أشد سوءًا، فهو في انحدار وهبوط مستمر، حتى يصل إلى الهاوية ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١٠، ١١] والعياذ بالله.

## محاولة الترقي والصعود:

الإنسان يحاول أن يحاسب نفسه ليتطهر أولًا، وليترقى ثانيًا، ليرقى بنفسه. الناس درجات، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

QaradawiBooks.com

الظالم لنفسه: الذي يقصِّر في بعض الواجبات، ويرتكب بعض المحرمات، والمقتصد: هو الذي يقتصر على فعل الواجبات، وترك المحرمات، لا يزيد ولا ينقص. والسابق بالخيرات: هو الذي لا يكفيه فعل الواجبات؛ بل يكثر من الخيرات، ويزيد من الصالحات، ويستكثر من التطوعات. ولا يكفيه ترك المحرمات؛ بل يترك الشبهات: يتقي الشبهات، ويدَع الشبهات، بل يدَع كثيرًا من الحلال؛ خشيةَ أن يقع في الحرام، أو في المكروه، أو في الشبهة. كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي: «**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين؛ حتى يدع ما لا بأس به، حذرًا مما به بأس**»(١).

الإنسان يحاول أن يترقى من مستوى الظالم لنفسه إلى مستوى المقتصد. وإذا كان من المقتصدين يحاول أن يرتقي من درجة المقتصدين إلى السابقين بالخيرات بإذن الله، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

والسابقون أيضًا مستويات ودرجات، ودرجات الخير كثيرة وكثيرة، والمؤمن هو الذي يحاول دائمًا، ويحرص على أن يسلك أفضل السبل، ويتحرى أفضل الأعمال التي تقرِّب إلى الله تبارك وتعالى.

وكل وقت له عمل يُعتبر هو أفضل في هذا الوقت، والمؤمن الفقيه في دينه هو الذي يعرف أي عمل أفضل في هذا المكان، وفي هذا الزمان، وفي هذه الحال.

### غرور النفس:

لا بدَّ للمؤمن أن يحاسب نفسه، إذا قال: لماذا أحاسب نفسي، ولم أفعل شيئًا؟ أنا منضبط، أنا ملتزم، أنا في غاية الاستقامة، إذا قال ذلك

(١) سبق تخريجه صـ ١٧٨.

QaradawiBooks.com

نقول له: هذه نفسك هي مركز الداء، هذه هي العلة.. إذا اعتقدتَ في نفسك أنك لستَ في حاجة إلى مراجعة ولا إلى محاسبة، فهذا هو الغرور، هذا هو العُجب.

**مَن ذا الذي ما سَاء قَط؟ ومَن له الحُسنَى فقط؟**(١)

إنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «**يا أيُّها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة**»(٢)، وفي بعض الأحاديث: «**إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(٣). بل كان بعض الصحابة يعُدُّون له في المجلس الواحد مائة مرة يقول: «**رب اغفر لي وتُبْ عليَّ**»(٤)، وقد قال الله له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۞ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۞ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣]. هذا هو شأن الإنسان المؤمن، لا ينسى في حالة النصر والفتح أن يسبِّح ويستغفر، وفي حالة الشدة والأزمة كذلك، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يقولون عنك: ساحر وكاهن، ومجنون وشاعر، وكذا وكذا ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩].

الإنسان المؤمن ينبغي أن يستغفر الله ويسبِّح بحمده، وينيب إليه في الشدة والرخاء، وفي السراء والضراء، في العافيةِ والبلاء، وفي كل الأحوال.

(١) مقامات الحريري صـ٢٣٠، نشر مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.
(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢) (٤٢)، وأحمد (١٧٨٤٧)، عن الأغرِّ بن يسار المزني.
(٣) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٧)، عن أبي هريرة.
(٤) رواه أحمد (٤٧٢٦)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الصلاة (١٥١٦)، والترمذي في الدعوات (٣٤٣٤) وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الأدب (٣٨١٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

هذا هو رسولنا ﷺ، يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم سبعين مرة، أو مائة مرة، في المجلس الواحد، وهو المسدَّد بالوحي، المعصوم من الخطيئة، الذي لا ينطق عن الهوى، الذي كانت تنام عيناه وقلبه لا ينام، الذي كان لا يغفل عن ربه طرفة عين، الذي كان يراقب ربَّه في غدواته وروحاته، وحركاته وسكناته، ومع هذا يقول: «**إني أتوب إليه في اليوم مائة مرة**».

## لا بدَّ من محاسبة النفس:

يقول التابعي الجليل ميمون بن مهران: المؤمن أشدُّ حسابًا لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح.

إذا ابتُلي الإنسان بسلطان غاشم: يحاسبه ويحقِّق معه، ويدقِّق معه على النقير والقطمير، كذلك الشريك الشحيح الذي لا يسامح في خردلة، ولا يتساهل في شيء؛ مهما كان ضئيلًا أو حقيرًا.

المؤمن أشد حسابًا لنفسه من هؤلاء، المؤمن مع غيره متسامح متساهل ميسر، يعفو عند القدرة، ويسامح من أخطأ في حقه، ويعذر الآخرين، ويلتمس العذر لأخيه من عذر إلى سبعين ثم يقول: لعلَّ له عذرًا آخر لا أعرفه.

هو مع الناس في غاية السعة والمرونة والمسامحة، ولكنه شديد على نفسه، لا يتساهل معها، ولا يتسامح معها. هذه هي المحاسبة التي جاء بها الإسلام.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واسألوا أنفسكم قبل أن يصير السؤال إلى غيركم. هذه بداية الطريق، الطريقِ إلى الله عز وجل، الطريق إلى بناء الإيمان بل إلى بناء الإنسان.

QaradawiBooks.com

## حاجتنا إلى الفرد الصالح:

إنَّ الذي يصلح مجتمعاتنا هو الفرد الصالح، إنما تصلح المجتمعات بصلاح أفرادها، المجتمعات بنيان مرصوص، وهـذا البنيان يتكوَّن من لبنات، والفرد هو اللبنة في بناء المجتمع، فلا بد أن يصلح الفرد أولًا.

وإنَّما يصلح الفرد من داخله لا من خارجه، الإنسان لا يُقاد من أذنه كما تقاد الأنعام، إنما يُقاد من ضميره، يُقاد من قلبه، يُقاد من داخله. إنما تتغيَّر المجتمعات بتغيير الأنفس أو بتغيير ما بالأنفس على حد تعبير القرآن.

## تغيير ما بالأنفس يغير التاريخ:

كان الماركسيون ـ وقد أذهب الله ريحهم، وأدال دولتهم، وكانوا يظنون أنهم سيغزون العالَم ـ كان الماركسيون يقولون: غَيِّر الاقتصاد وعلاقات الإنتاج: يتغيَّر التاريخ، وتتغير الحياة معها. ولكن الإسلام يقول غير ذلك: غَيِّرْ نفسك أو غَيِّر ما بنفسك يتغير التاريخ. غَيِّر هذه المضغة من الداخل، غَيِّر ما بين جنبيك يتغيَّر التاريخ كله، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

ما الذي صنعه رسول الله ﷺ؟ ماذا صنع النبي عليه الصلاة والسلام بالعرب، الذين فتح الله بهم الدنيا، الذين نشروا الإسلام في العالم وأقاموا دولة العدل والإحسان، وحضارة العلم والإيمان؟ ماذا فعل النبي ﷺ بعرب الجزيرة؟

لقد كان هؤلاء في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، فسدت عقولهم، وفسدت عواطفهم: فسدت عقولهم، فعبدوا الحجارةَ الصماء؛ بل كما قال أبو رجاء العطاردي: كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرا هو أخير منه

QaradawiBooks.com

ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طفنا به[1]!

أي جناية على عقل الإنسان أشد من هذا؟ عبدوا آلهة من العجوة، يتراكم عليها الذباب ولا تستطيع أن تدفع الذباب عنها، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. هؤلاء ضعفت عقولهم وضعفت عواطفهم، بل ماتت عواطفهم.

**انعدام الرحمة وذبول العاطفة:**

أنبل العواطف عاطفة الأبوة والأمومة، ولكن هذه العاطفة طغت عليها الجاهلية والوثنية؛ حتى وجدنا الأب يقتل ولده وفلذة كبده، يقتل ابنه وابنته، ومن أجل ماذا؟ من أجل إملاق ـ فقر ـ واقع، أو خشية إملاق متوقع! يقتل بيديه.

القتل جريمة شنيعة، ولكن قتل البريء أشنع وأشنع.

فإذا كان البريء طفلًا طريَّ العود، نفسًا زكية، لم تقترف جرمًا ولم تكسب ذنبًا، يكون الجريمة أبشع وأبشع.

فإذا كان القاتل هو الأب فماذا تقول في هذه الحالة؟ الأب الذي يُفترض أن يفدي ابنته بروحه، أن يعرِّض نفسه للقتل ليحمي أبناءه وبناته، الذي يجوع ليشبع أولاده، إذا كان القاتل هو الأب نفسه: تكون الجريمة أشد بشاعة وشناعة!

وإذا كان القتل من أجل الإملاق أو خشية إملاق، كما جاء في الحديث: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**»، أن يزاحمك في اللقمة،

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦).

QaradawiBooks.com

يقتل من أجل أنه يستأثر باللقمة، ولا يشاركه ابنه أو ابنته! أيُّ شناعة وأي جرم صنعته الجاهلية بالإنسان؟!

وإذا كان القتل بطريقة الوأد، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٩]. الوأد: أن يحفر حفرة ويلقي الطفل فيها حيًّا.

وكثيرًا ما صنع الآباء ذلك وكانت بنته ترى الغبار يتطاير على لحية أبيها؛ فتنفض الغبار عن لحيته؛ وهي مسكينة، لا تدري أن هذا الغبار إنما هو من قبرها، من الحفرة التي يودعها فيها حية. هذا ما صنعته الجاهلية!

## تحرير الإسلام للنفوس وتطهيرها:

الجاهلية أفسدت الإنسان، فماذا صنع النبي ﷺ؟ غيَّر ما بأنفس الناس، صنع عقولًا جديدة، صنعها بالتوحيد، حرَّرها بأن لا إله إلا الله، علَّمها أن ليس هناك إله إلا الله، لا حجر ولا شجر ولا بقر، ولا شمس ولا قمر، ولا جن ولا بشر، الناس كلهم عبيد لله، حرَّرها بالتوحيد.

كانت دعوة النبي ﷺ يرسل إلى الملوك والقياصرة وإلى أمراء الأرض: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

حرَّر العقول بالتوحيد: بالعقائد السليمة، بالمفاهيم الصحيحة، ثم طهَّر القلوب: طهَّرها بالمشاعر الإيمانية، بالأخوة، بالمحبة، بالرحمة،

QaradawiBooks.com

بحب الخير للناس كل الناس، بل للإنسان والحيوان. هذا ما جاء به الإسلام: غيَّر ما بالأنفس؛ فغيَّر الله ما بالناس، وانطلق هؤلاء المؤمنون الجُدُد ينشرون الإسلام في أنحاء الأرض؛ حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وغطى النور آفاق العالمين، وارتفعت رايات التوحيد خفاقة على ربوع الدنيا، هذا ما صنعه الإسلام.

## حاجتنا لتزكية الأنفس وإصلاح القلوب:

ينبغي أن نطهِّر الأنفس من تلوُّثها، هذا هو التلوُّث الخطر الذي أصاب الناس، وينبغي أن نسعى جاهدين حتى نغير ما بأنفسنا، ونطهرها مما علق بها.

لا يمكن أن تقوم لنا قائمة إذا كانت الأنفس على هذه الشاكلة، الأنفس التي أصبح بعضها يكره بعضًا، والتي مزَّقت الأمة شرَّ ممزق في كل مكان، حتى بين المجاهدين أنفسهم بعضهم وبعض، حتى في ساحات القتال، في كل أرض الإسلام أصبح هناك هذا الانقسام، وهذا التمزُّق، ما الذي أصاب الأمة؟ أهذه أمة محمد؟ أهذه أمة القرآن؟ أهذه أمة لا إله إلا الله؟ أهذه أمة العقيدة الواحدة، والشريعة الواحدة، والقِبلة الواحدة؟

لا بدَّ من الرجعة إلى الله بصدق وإخلاص: أن يقف الإنسان أمام ربه وقد كشف عن نفسه، وأزاح لثام النفاق، وصارح ربَّه، وصارح نفسه بما في نفسه، ودعا الله أن يطهره ويغسله ويتوب عليه، إنَّ باب التوبة مفتوح، إن الله سبحانه وتعالى يدعونا أن نتوب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسَب، وأن نسأل أنفسنا قبل أن نُسأل، وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة؛ حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»(١).

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية:

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الذي هو عصمــة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شر.

اللهــمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِــنا، واجعل غدنا خيــرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خِزْي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ أصلِح ذات بيننا، وألِّف بين قلوبنــا، واجمع كلمة هذه الأمة على الهُدى، وقلوبها على التُّقى، وأنفســها على الحب، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، ونياتها على الجهاد في سبيلك.

اللهمَّ طهِّر أقوالنا من اللغو، وطهِّر أعمالنا من العبث، وطهِّر أنفســنا من الضعف، وطهِّر قلوبنا من الغش، وطهِّر ألســنتنا من الكذب، وطهِّر أعيننا من الخيانة، وطهِّر أعمالنا من الرياء.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهمَّ أيِّدْ إخواننا المجاهدين في ســبيلك حيثما كانــوا، اللهم أيِّدْ إخواننا المجاهدين في فلســطين، وإخواننا المجاهدين في أفغانســتان، وإخواننا المجاهدين في ســائر أرض الإســلام، اللهم أيدهم بروح من

QaradawiBooks.com

لدنك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واجمع كلمتهم على الحق والهدى يا أكرم الأكرمين.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين.

﴿ **وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

١٧

# تغيير الأنفس أساس الإصلاح

## الخطبة الأولى:

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ساءلت نفسي وساءلت من حولي: فيمَ أتحدَّث إليكم بعد أن انقطعت عنكم فترة من الزمن؟ إنَّ الذي يُحدِّث الناس باستمرار يحتار في اختيار موضوع حديثه، ليس الأمر سهلًا كم تتصورون، إنَّ اختيار موضوع الحديث أمر صعب.

### كثرة هموم المسلمين ومشكلاتهم:

قال لي البعض: تحدَّث في هموم المسلمين ومشكلاتهم الحاضرة. ولكن أي المشكلات أوْلى بالحديث؟ وأي الهموم أجدر بأن يُقدَّم.. وهموم المسلمين كثيرة كثيرة؟!

**ولو كان همًّا واحدًا لاتقيته ... ولكنه هَمٌّ وثانٍ وثالثُ**[1]

بل رابعٌ وخامسٌ، وعاشرٌ ومائةٌ، وألفٌ.

---

(١) البيت للقاضي أبي بكر ابن العربي، كما في الحُلة السِّيَراء لابن الأبَّار (٦/١)، تحقيق د. حسين مؤنس، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م. بلفظ (رمحًا) بدل (همًّا).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في أي المشكلات نتحدث: في مشكلات الأفراد؟ أم في مشكلات الأسر؟ أم في مشكلات المجتمعات؟ أم في مشكلات الدول والحكومات؟ المشكلات كثيرة، وكلها تتطلب حديثًا، وكلها تستوجب علاجًا!

**تكاثرت الظِّباءُ على خِراشٍ فما يدري خِراشٌ ما يصيدُ**(١)

أنتحدث في مشكلة التخلف والتأخر عند المسلمين؟

أم نتحدث في مشكلة التشتت والتمزق بين المسلمين بعضهم وبعض، إلى حد أن يعادي بعضهم بعضًا؛ بل أن يقاتل بعضهم بعضًا؟

أنتحدث في مشكلة التسيب والتحلل بين المسلمين؟ هذا الانحلال الأخلاقي الذي نراه في كل مكان، هذا الغش السائد في الحياة كلها: غش في التجارة، غش في العمل والوظيفة، غش في التعليم والتربية، غش في الاقتصاد والإدارة، غش في الحكم والسياسة، غش على كل المستويات، في أي من هذه الموضوعات نتحدث؟!

أنتحدث في مشكلة فلسطين التي طال عليها الأمد، وظلت سنين وسنين، وعقودًا بعد عقود من السنين.. وهي كما هي، الحال هو الحال، بل الحال يزداد سوءًا، الطين يزداد بلة، والداء يزداد علة؟

أنتحدث في مشكلة لبنان وما يجري في جنوبها وشمالها؟ أنتحدث في مشكلة اللاجئين الذين يُبادون في المخيمات ويموتون جوعًا أو بغير الجوع، من لم يمت بالسيف مات بغيره!

(١) ذكره من غير نسبة أبو بكر الخوارزمي في الأمثال المولدة ص٣٣١، نشر المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

أنتحدث في الحرب المجنونة بين المسلمين بعضهم وبعض، التي مرت عليها السنوات ولا يزال أوارها مشتعلًا؟ أنتحدث فيما جرى في الحرم، في أحداث الحرم وما جرى فيها؟

أنتحدث عن المسلمين المضطهدين: الأقليات المضطهدة في بلاد الأكثريات غير المسلمة؟ أم نتحدث عن الأكثريات المسلمة المضطهدة في داخل ديارها؟ أنتحدث عن المذابح التي تُكاد وتُبيَّت لكثير من دعاة الإسلام في أرض الإسلام نفسها؛ حتى أصبح المسلم غريبًا في وطنه، أجنبيًّا في بلده، يُعتبر تمسكه بالإسلام جريمة، حتى إنَّ المرأة المحجبة في بعض بلاد المسلمين تُعتبر مخالفة للقانون، تُعاقَب على ذلك وتُقاد إلى السجن؟ أنتحدث عن المساجد والمصليات التي تُغلق جهارًا نهارًا في بعض بلاد الإسلام؟ أنتحدث عن المذابح التي تحدث للمسلمين في بلاد أخرى ولا يتحدث الناس عنها، ويقام عليها تعتيم كامل؟

فِيمَ نتحدث والمشكلات كثيرة كثيرة؟ إنَّ المرء ليحار كل الحيرة لما يصيب المسلمين خارج أرض الإسلام، وداخل أرض الإسلام، إنَّ العين لتدمع، وإنَّ القلب ليحزن، وإنَّ الكبد لتتقطع مما يجري للمسلمين اليوم، ما سبب هذا كله؟ ما الذي جرى حتى أصبح الدم الإسلامي أرخص دم على وجه الأرض؟

لو أنَّ يهوديًّا في أقصى أطراف الأرض أصابه شيء قليل قليل؛ لقامت الدنيا ولم تقعد، وطيَّرت وكالات الأنبياء خبره، وأصبح حديث الألسن والندوات، وأصبح في الصفحة الأولى في صحافة العالم، وفي الأخبار الأولى في إذاعات العالم وتلفازاته، أما نحن المسلمين فيصيبنا ما يصيبنا في كل مكان، ولا يتحدث عن ذلك أحد.

QaradawiBooks.com

## أسباب الواقع المخزي الذي نعيشه:

إنَّ الذي أصابنا لكثير كثير، ولكن ما سببه؟ سببه أنَّنا تخلينا عن الإسلام، أننا بعُدنا عن الإسلام الصحيح، فلم يعرف كل منا: ما واجبه؟ وما دوره؟ وما مهمته؟ أصبحنا نتواكل، كل واحد يريد أن يلقي الحِمْل عن نفسه، وأن يضع المسؤولية على غيره، هناك من يقول: الحُكَّام هم المسؤولون. وهناك من يقول: العلماء هم المسؤولون. وهناك من يقول: رجال التربية هم المسؤولون. وهناك من يقول: أصحاب الأموال هم المسؤولون.

## المسؤولية مشتركة:

والواقع أنَّ المسؤولية مشتركة، المسؤولية موزعة على الجميع، صحيح أنها متفاوتة، فكل إنسان يحمل من المسؤولية بقدر ما آتاه الله من مُكنة وقوة، فمسؤولية الحاكم أكبر؛ لأن لديه من السلطة ما ليس لدى غيره، ومسؤولية العالم أكبر؛ لأن لديه القدرة على البلاغ والبيان، ومسؤولية الموسر والغني أكبر؛ لأن عنده من المال ما يستطيع أن يمول به المشروعات الإسلامية.

كل إنسان عنده قدرة وعنده إمكانية.. مسؤوليته أكبر من غيره، ولكن الجميع مسؤول كما علمنا رسول الله ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في بيت سيده وهو مسؤول عن رعيته**»(١)، الجميع راعٍ، والجميع مسؤول، فلا بد من الشعور بالمسؤولية.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

**الخطوة الأولى تغيير ما بالأنفس:**

المسؤولية مشتركة، ولهذا علينا أن نعيد حساباتنا من جديد، الإصلاح يبدأ من الفرد، يبدأ الإصلاح من نفس الإنسان، القاعدة الأساسية التي قررها القرآن في إصلاح الأقوام والمجتمعات لا تتخلف أبدًا، وهي التي قال فيها الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

بعض النظريات مثل النظرية الماركسية تقول: غَيِّر الاقتصاد أو علاقات الإنتاج يتغيَّر التاريخ. ولكن النظرة الإسلامية تقول: غَيِّر نفسك يتغيَّر التاريخ. غيِّر ما بنفسك من الشر إلى الخير، من الضلال إلى الهدى، من الانحراف إلى الاستقامة، غيِّر مفاهيمك، غيِّر فكرتك، غيِّر تصورك للحياة والكون والإنسان، ورب الحياة والكون والإنسان، غيِّر ما بنفسك يتغير ما حولك، فتغيير الأنفس هو أساس كل إصلاح.

**التغيير الداخلي يسبق الثورات:**

كلُّ ثورة غيرت وجه التاريخ سبقها تغيير داخلي، تغيير فكري نفسي عميق، وهذا هو الذي صنعه رسول الله ﷺ، إن الذي صنعه عليه الصلاة والسلام أنه غيَّر الأنفس من الجاهلية إلى الإسلام، من الشرك إلى التوحيد، من الكفر إلى الإيمان، من الأنانية إلى الغيرية، من الأثرة إلى الإيثار، من حب الدنيا إلى حب الآخرة، من حب الذات إلى حب الناس، حتى أصبح أحدهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، بل يقدم أخاه على نفسه، يجود بالشيء وهو محتاج إليه، يتعب ليرتاح أخوه، يسهر لينام أخوه، يتلقى ضربات السيوف، وطعنات الرماح، ورميات السهام بصدره؛ ليفدي أخاه من خلفه، تغيرت الأنفس، فتغير المجتمع.

QaradawiBooks.com

## تغيير الأهداف والأماني:

الذين كان همهم شُرب الخمر، والجلوس مع الندامى وشهوة النساء: أصبحت لهم أماني أُخَر، وأحلام أُخَر، وأغراض أُخَر، أصبح همهم الآخرة، همهم الإقبال على الله عزَّ جلَّ، أصبحوا يمشون على الأرض وأعينهم مشدودة إلى السماء، أصبحوا يعيشون في الدنيا وقلوبهم ترنو إلى الآخرة، إلى سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله.

ولهذا تُعرض عليهم الشهوات، فيركلونها بأقدامهم، والأموال الحرام فيرفضونها، والمناصب الحرام والمجد الحرام فيأبونها، تعرض عليهم شهوات الخمر والنساء؛ فيقول أحدهم: إني أخاف الله تعالى. يقدر على أن يبطش بالضعفاء، وعلى أن ينال من خصومه؛ فيحلم ويحسن إلى من أساء إليه، ويعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويبذل لمن منعه، وتلك هي مكارم الأخلاق.

## صناعة التغيير:

ما الذي صنعه النبي ﷺ؟ إنَّه صنع الإنسان المؤمن الجديد، تحوَّل إنسان الجاهلية إلى إنسان الإسلام، تغيَّر الإنسان القديم فصار إنسانًا آخر، عمر بن الخطاب الذي كان يعبد صنمًا من الحجر أو من العجوة: أصبح هو عمر الإسلام الذي يرفض أن يسجد لغير الله، بل يقف عند الحجر الأسود ويقول: أيُّها الحجر، إني أُقبِّلُك وأنا أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلتك[1].

عمر الذي قيل عنه: إنَّه وأد ابنة له في الجاهلية. هو الذي يقول: والله لو هلك جدْي بشط الفرات، وفي بعض الروايات: لو عثرت

(١) مُتَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠)، كلاهما في الحج.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بغلة في العراق لرأيتني مسـؤولًا عنها أمام الله يوم القيامة، لماذا لم أسوِّ لها الطريق؟[(١)]

أصبح القلب غير القلب، والعقل غير العقل، العقل الذي عبد الحجر وعبد إلهًا من العجوة؛ حتى إذا جاع أكله: أصبح العقل المسلم المتحرر من الخرافات والأباطيل، والقلب القاسـي الذي يئد ابنته حية: أصبح القلب الرحيم الرقيق، الذي يشعر بالمسؤولية، ويخشع لذكر لله، هذا هو صُنع الإسلام.

## أثر الإيمان في التغيير:

النبي ﷺ صنع إنسـان الإسـلام الجديد، صنعه بالإيمان، صب في عروقه دمًا جديدًا هو دم الإيمان، دم التوحيد، أنَّه لا يخشى إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يعنو وجهـه إلا لله، ولا تخر جبهته إلا لله، ولا ينحني صُلبه إلا لله. حرر الإيمان الإنسان من كل عبودية لغير الله؛ ليصير عبدًا لله وحده، ليفخر بهذه العبودية بأنه عبد الله، أصبح الإنسان سيدًا في الكون، عبدًا لله وحده، هذا ما صنعه النبي ﷺ فتغير الإنسان.

خنساء بنت عمرو، تلك الشاعرة الشهيرة التي توفي أخوها من أبيها: صخر؛ فملأت الدنيا عليه بكاء وعويلًا وشِـعرًا، فُقد منه ما فُقد، وبقي منه ما بقي، وملأ هذا الباقـي ديوانًا بأكمله، هذه المرأة البكَّاءة.. رأيناها حينما أسـلمت تُقـدِّم بنيها الأربعـة لله، تقدمهم في معركة القادسـية، وتحمسهم وتثبتهم، وتشـجعهم على أن يثبتوا فلا يترددوا، وأن يُقْدِموا فلا يحجموا. وفعلًا دخلوا المعركة، وكلما رأى أحدهم من أخيه شيئًا من الفتور يقول له: أنسـيت وصيـة الأم العجوز البارحـة؟ فينهض ويُقْدِم

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥٣/١).

QaradawiBooks.com
نسخة مجانية

ويثبت؛ حتى قدَّر الله لهم أن يُستشـهدوا جميعًا في المعركة، استشهدوا وجاءها الخبر، جاءها الناعي ينعى إليهـا أبناءها الأربعة في يوم واحد، فما لطمت خدًّا، ولا شـقَّت جيبًـا، ولا دعت بدعـوى الجاهلية، ولا صاحت بالويل والثبـور، وإنَّما قالت في إيمان الواثقـة، وثقة المؤمنة: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وجعلهم شـفعاء لي يوم القيامة[١]. تغيرت النفس القديمة، أصبحت نفسًا أخرى.

ما الذي يُغيِّر الأنفس؟ الشيء الوحيد الذي يُغيِّر الأنفس ولا يخضع لسـن معينة هو الإيمان، علمـاء التربيـة يقولون: إنَّ تكويـن العادات والصفات يكون في سن الطفولة، حتى إذا كبر الإنسان وشبَّ على شيء معين أصبح من الصعب اقتلاعه وتغييره. وقديمًا قالوا: من شـبَّ على شيء شاب عليه، ومن شـاب على شـيء مات عليه. الذي يخرق هذه القاعـدة هو الإيمـان إذا خالطت بشاشـته القلوب، إذا مسـت نفحاته الأنفس، إذا دخل نـوره إلى الأفئـدة، الإيمان يُغيِّر كل شـيء، يحطم القواعد، ويغير الإنسان تغييرًا كليًّا.

## تكوين الإنسان المؤمن:

إنَّالصحابة الذي فتحوا الفتوح، ونشـروا الإسلام في الآفاق، ونقلوا إلينا القرآن والسـنن، وكانوا بأخلاقهم وفضائلهم خير دعاية للإسـلام، حتى دخـل الناس في ديـن الله أفواجًا، هـؤلاء الصحابة إنمـا غيَّرهم الإيمان، غيَّرهم الإسلام، كانوا أناسًـا مثلنا أو أقل منا، لماذا كانوا أقل منا؟ لأنَّهم نشـؤوا في الجاهلية، ونشأنا في الإسـلام، نشؤوا بين قوم

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٢٩/٤)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

يقدسون الحجر ويعبدونه، ويقاتلون دون ذلك، ومع هذا لما هداهم الله بالإسلام تغيروا.

ظلَّ النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكة، لم يكن فيها بالدرجة الأولى تشريعات ولا تنظيمات للمجتمع، كان العهد المكي ـ وهو أطول من العهد المدني ـ عهد تكوين للإنسان المؤمن، للفرد الصالح، للمؤمن القوي الذي يحمل عبء نشر الإسلام، ودعوة الخلْق بعد ذلك. كان العهد المكي عهد تربية وتكوين، وتأسيس على العقيدة الصالحة، وعلى العبادة الخاشعة، وعلى الخُلق القويم، وعلى العمل الصالح، الإنسان الذي لا يرجو إلا الله والدار الآخرة.

**تلاميذ النبي ﷺ:**

ثلاثة عشر عامًا في مكة وجبريل روَّاح غدَّاء بآيات الله تُتلى، نزل فيها أكثر من ثمانين سورة من سور القرآن الكريم، والنبي ﷺ يتعهد هذه الفئة من المؤمنين في دار الأرقم بن أبي الأرقم، حتى يربِّي منهم الجيل النموذجي، الجيل المثالي، الجيل الرباني القرآني المحمدي، الجيل الأخلاقي الإنساني، الذي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله، جيل الصحابة المهاجرين، ثم بعد ذلك في المدينة ربى جيل الأنصار، ربَّى النبي ﷺ هؤلاء الصحابة ليربوا العرب، ثم ليربي العرب العالم كله، هذا الجيل تلاميذ رسول الله ﷺ هم الذين علموا الإنسانية بعد ذلك.

علمهم، ماذا علمهم؟ إنَّه علمهم الإسلام الصحيح: عقيدته وعبادته، وأخلاقه وفضائله، لم يُشغلوا بجدل فارغ، ولا بقضايا من هنا ومن هناك؛ مما دخل على الفكر الإسلامي بعد ذلك، ولكنهم عرفوا الإسلام الحق، حتى إن الأعرابي منهم الذي لم يجلس إلى معلم، ولم يلج باب مدرسة، ولم يفتح صفحات كتاب، تسمعه فكأنك تسمع فيلسوفًا يلخص الإسلام في كلمات.

QaradawiBooks.com

## أهداف الإسلام الكبرى:

ألم تروا إلى ذلك الأعرابي الذي دخل على رستم قائد جيوش الفرس، قائد قوادهم، ومعه الهيل والهيلمان والحشم والخدم والجنود، دخل عليه فسأله رستم: من أنتم؟ ألستم الذين كانوا قابعين في داخل جزيرتهم لا يسمع بهم أحد؟ من أنتم وما الذي أخرجكم من جزيرتكم؟ فيقول الأعرابي المسلم: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[١]. لخص أهداف الإسلام الكبرى في هذه الكلمات.

نحن قوم ابتعثنا الله، إنَّه يشعر أنه مبعوث، فالأمة مبعوثة كما أن الرسول مبعوث، الأمة مبعوثة، صاحبة رسالة بعد رسولها، ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عباد رب العباد، من عبادة الشجر والحجر والمخلوقات، إلى عبادة الله وحده، من عبادة الملوك وعبادة الأحبار والرهبان، إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، فقد جاء الإسلام بما يوسع الحياة، شرع الإسلام من الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ما يوسع الحياة.

وابتعثنا الله لنخرج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام، الأشياء التي جارت فيها الأديان على الإنسان وسلبته حقه، وحرمته من الحياة، وحرَّمت عليه أن يفكر، وأن يعمل، وأن يستمتع بالطيبات، جاء الإسلام ليخرج الناس من هذا الجور والميل والانحراف إلى عدل الإسلام، إلى توازن الإسلام، إلى وسطية الإسلام، إلى الصراط المستقيم الذي جاء به الإسلام، هكذا ربى النبي ﷺ الصحابة ليربوا العالم من بعده.

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

**حاجتنا إلى بناء المؤمن الصالح:**

إنَّ الذي نحتاج إليه هو ذلك الإنسان الصالح، الإنسان المؤمن، يجب أن نبدأ من هنا، أصلح نفسك وادعُ غيرك، ابدأ بنفسك ثم بمن تعول، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، ابدأ فأصلح نفسك، ألزمها تقوى الله، والاستقامة على أمره، والانتهاء عن نهيه، ثم علِّم زوجك وأبناءك وبناتك ومن حولك الإسلام.

لا يكن الإسلام خفيفًا غير مهم عندك؛ بحيث لا تسأل: أصلَّى ابنك أم لم يصلِّ؟ أستقام أم لم يستقم؟ أصاحب الأخيار أم صاحب الأشرار؟ أيسهر في عمل صالح أم في عمل طالح؟ لا، قوا أنفسكم وأهليكم نارًا، ابدأ بنفسك ثم بمن تعول، يجب أن نبدأ بإصلاح أنفسنا ومن حولنا، هذا هو أساس الإصلاح كله، وبدون هذا سنظل ندور وندور؛ كالثور في الساقية، أو الحمار في الطاحون، يسير ويسير.. والمكان الذي انتهى إليه هو الذي ابتدأ منه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر لنا ما مضى، وأن يصلح لنا ما بقي، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# ١٨

# الظلم مراتبه وعواقبه(١)

## الخطبة الأولى:

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن العدل الذي قامت به السماوات والأرض، الله سبحانه هو العدل، وقد أمر بالعدل، ودعا إلى العدل، وهو يحب العادلين المقسطين.

ونتحدث اليوم عن نقيض العدل، وهو الظلم، فكما أن الله تعالى أمر بالعدل نهى عن الظلم، الظلم مجاوزة الإنسان حدوده ليأخذ ما ليس من حقه، ويعتدي على غيره بصورة من الصور، هذا الظلم من طبيعة الإنسان، لو تُرك لغرائزه وشهواته وحدها جار وظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وقال أبو الطيب:

**والظلمُ من شِيمِ النفوسِ فإن ... تجدْ ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ(٢)**

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م.

(٢) ديوان المتنبي صـ٥٧١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لو تُرِك الناس وأهواءهم وأنانياتهم ظلمــوا وبغوا في الأرض؛ لولا رسالات السماء، ولولا الإيمان الذي يعصم الناس من الظلم، ويدعوهم إلى العدل والاســتقامة على الحق، ولهذا جاء الإسلام بالعدل، وبالنهي عن الظلم.

**الجاهلية تقوم على الظلم:**

كانت الجاهليــة العربية والجاهليات كلها تقــوم على مظالم الناس بعضهم لبعض، في الجاهلية العربية يقول الشــاعر زهير بن أبي سلمَى في معلقته، وهي من معلقات الحِكَم:

**ومن لم يَذُد عن حوضهِ بســلاحهِ يُهدَّم ومن لا يَظلـم الناسَ يُظلم**[1]

كأنَّما يدعو الناس إلى أن يظلموا الآخرين حتــى لا يُظلموا، إذا لم تظلم الناس ظلموك، فلكي تدفع عن نفسك الظلم اظلم!

ويقول عمرو بن كلثوم مباهيًا ومفاخرًا:

**لنــا الدُّنيــا ومَــنْ أمسَــى عليها ونبطــشُ حيــن نبطــشُ قادرينَا**
**بُغــاةً ظالميــن ومــا ظُلمنــا ولكنَّــا ســنبدأُ ظالمينــا**[2]

يفاخر بالظلم، وبقدرته على الظلم، وبممارسته للظلم.

وكان العالم كله يقوم على هذه المظالــم، الفقراء ضائعون تأكلهم براثــن الأغنياء، والضعفاء تدوســهم أقــدام الأقويــاء، والمحكومون يفترسهم الحُكَّام.

---

(١) انظر: شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري صـ٤٢٧، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار المعارف ضمن سلسلة ذخائر العرب (٣٥)، ط٥.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩٠، ٩١، تحقيــق إميل بديع يعقوب، نشــر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

## الإسلام يحرم المظالم كلها:

هكذا كان العالم، فجاء الإسلام ليُحرِّم المظالم كلها، ويُعلن في الناس ما قاله النبي ﷺ؛ فيما رواه عن ربه في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّمًا؛ فلا تظَّالموا**»(١). الله صاحب الملك يتصرف فيه كيف يشاء، ولكنه حرَّم الظلم على نفسه، لا يظلم أحدًا مثقال ذرة، لا يُضيع أجر من أحسن عملًا، لا يعاقب أحدًا بغير ذنب، لا يعاقب إنسانًا بوزر غيره، ﴿**وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ**﴾ [الأنعام: ١٦٤]، لا يحمل الأب وزر بنيه، ولا الابن وزر أبيه، ولا الأخ وزر أخيه، ﴿**تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ**﴾ [يونس: ٤٤]، وحينما يُنزل الله عقوبته بقوم يقول لهم: ﴿**ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ**﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿**وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا**﴾ [الكهف: ٤٩]، في يوم القيامة يأخذ كل ذي حق حقه، ويستوفي كل ذي حسنة ثوابه، وكل ذي سيئة عقابه، ﴿**وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا**﴾ [الكهف: ٤٩].

«**إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّمًا؛ فلا تظَّالموا**»، لا يظلم بعضكم بعضًا، الظلم عاقبته وخيمة في الدنيا وفي الآخرة.

وقد أعلن القرآن أن الله لا يحب الظالمين، ﴿**إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿**إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾ [الأنعام: ٢١]، ﴿**وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا**﴾ [طه: ١١١]،

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النمل: ٥٢]، الظلم يُخرِّب الديار، وهو سبب الهلاك والدمار.

## لا بد من عقوبة الظالم:

قد لا يكون العقاب على الظلم سريعًا، ولكن كما يقول الناس دائمًا: (يا ظالم لك يوم)! قد يأتي قريبًا، وقد يأتي بعيدًا، ولكن اليوم آت، ويقول الناس أيضًا: يُمهل ولا يُهمل! إنه يملي للظالمين، قد يوسع عليهم رزقه، قد يغدق عليهم من نعمه مكرًا بهم، واستدراجًا لهم، وربما زاد لهم في العطاء كلما زادوا في الظلم؛ حتى تأتي النقمة فتباغتهم وتأخذهم من حيث لا يحتسبون، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥]. تأتيهم نقمة الله بغتة حتى تقطع دابرهم.

كأنَّ من ربوبية الله تعالى المشرفة على هذا الكون: ألا يدع الظالمين إلى ما لا نهاية؛ حتى يستمرئوا الظلم إلى الا بد، لا، لا بد أن يأتي يوم يأخذهم فيه أخذ عزيز مقتدر، روى أبو موسى عن النبي ﷺ فيما رواه الشيخان: «**إن الله ليملي للظالم** ـ يمهله ـ **حتى إذا أخذه لم يُفلته**». ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][1].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البرّ والصِّلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

### مراتب الظلم ودرجاته:

الظلم كله مُحرَّم، وهو مراتب ودرجات، وبعضه أكبر من بعض.

### ظلم الإنسان لنفسه

**أول مرتبة من مراتب الظلم:** ظلم الإنسان لنفسه بارتكاب المعاصي، أن يُتبع نفسه هواها، ويعمل ما يشتهي، لا ما ينبغي؛ فيما بينه وبين الله تعالى، فهذا ظلم للنفس، وهو ظلم ينبغي أن يتوب الإنسان منه - وإن لم يكن واقعًا على أحد - كما تاب آدم عليه السلام حينما ارتكب النهي؛ فأكل من الشجرة التي منعه الله منها، ونهاه عنها، ولكنه سرعان ما تاب إلى ربه، وندم على ذنبه، وقال هو وزوجه: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٣].

ظلم النفس كما قال ذو النون وقد التقمه الحوت: ﴿**فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ**﴾ ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت: ﴿**أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧]. هذا الظلم في محيط النفس، المحيط الشخصي.

### الظلم في محيط الأسرة:

**وهناك مرتبة ثانية:** الظلم في محيط الأسرة، بأن يظلم الابن أباه أو أمه فيعقهما، أو يظلم الأب ابنه، فيمنعه من حق له، أو يظلم بنته فيمنعها أن تتزوج من كفء؛ وقد جاءها الخُطَّاب من ذوي الخلق والدين، وقد قال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»(١). فقد يظلم الإنسان ولده.

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولًا ومرسلًا. وإنما يعني بقوله: مرسلا انقطاع ما بين ابن عجلان وأبي هريرة، وقد رجَّح البخاري المنقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وقد يظلم الأخ أخاه، كما رأينا ابن آدم الأول الذي يسمونه (قابيل)، وقد ظلم أخاه الطيب الذي يسمونه (هابيل)، لم يرتكب هابيل ذنبًا، ولم يقترف إثمًا، كل منهما قدَّم قربانًا إلى الله فتُقبِّل قربان هابيل، ولم يُتقبَّل قربان قابيل، ما ذنب هابيل؟ ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٢٨]، ثم هدده وخوفه: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]. ولكن الأخ الشرير لم يرتدع، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]، ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ظلم قديم من أول ما قامت الحياة البشرية على الأرض.

وهناك ظلم إخوة يوسف ليوسف، لم يكن ليوسف ذنب أن يحبه أبوه، لكنهم قالوا: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ٩ ـ ١٠]. وفعلًا ألقوه في الجب، وفعلوا ما فعلوا، هذه من المظالم داخل الأسرة.

الشاعر العربي يقول:

**وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند**(١)

تتوقع من أخيك أن ينصرك لا أن يظلمك، أن يكون لك لا أن يكون عليك، فإذا بالظلم يأتي منه، هذا شديد على النفس البشرية.

(١) ديوان طرفة بن العبد ص٢٤، شرح مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

## الظلم في محيط المجتمع:

**وهناك مرتبة ثالثة**: وهي الظلم في محيط المجتمع، ظلم الأغنياء للفقراء، وظلم الأقوياء للضعفاء، وظلم الرجال للنساء، وظلم المُلَّاك للمستأجرين، وظلم أرباب العمل للعمال.. المظالم بين الفئات بعضها وبعض، هذا ما يحدث في المجتمعات، وهو يجلب عليها النقمة، ويسلب منها البركة، ويضيع عنها الرحمة، فما تظالم الناس إلا عمتهم المصائب من كل جانب.

ويشتد الإثم ويعظم الجرم كلما كان الظالم أشد قوة، وكان المظلوم أشد ضعفًا، وهذا ما جاء به حديث قدسي يقول: «**اشتد غضبي على من ظلم مَن لا يجد له ناصرًا غيري**»[1]. يشتد غضب الله على ظلم الضعفاء المهيضي الجناح، الذين لا ظهر لهم ولا سند، فهؤلاء يغضب الله لهم من فوق سبع سماوات، وإذا كثر ظلم هؤلاء الضعفاء في أرض ما: استحقت عقوبة الله تبارك وتعالى؛ فينزل عليها من النقم ما لا يعلمه إلا الله.

## ظلم القاضي للمتحاكمين إليه:

**وهناك مرتبة رابعة**: ظلم القاضي للمتحاكمين إليه، المفروض في القاضي أن يكون ملاذ المظلومين من الظالمين، قد يظلم الظالم؛ ولكنه إذا ذهب إلى القاضي ليحكم بينه وبين خصمه لم ينصف القاضي المظلوم.

---

(١) رواه الطبراني في الصغير (٧١)، والأوسط (٢٢٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٠٦٦): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه مسعر بن الحجاج النهدي، كذا هو في الطبراني، ولم أجد إلا مسعر بن يحيى النهدي، ضعفه الذهبي بخبر ذكره له. عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

المفروض في القاضي أن ينصف المظلوم ـ أيًّا كان موقعه؛ ولو كان أقل الناس قدرًا، وأضعف الناس شأنًا ـ لأنه مع الحق لا مع الهوى، مع العدل لا مع القوة، هذا هو شأن القاضي العادل.

أمَّا القاضي الظالم الجائر الذي هو حطب جهنم؛ فهو الذي يميل مع الريح حيث مالت، إذا كان أحد المختصمين من أحبابه أو أصدقائه، أو أقاربه أو أصهاره، أو من أقارب ذوي الشأن أو ذوي السلطان؛ فإنه يميل إليه، ويحكم له متحيزًا للباطل ضد الحق، وللظلم ضد العدل، هذا هو الذي قال فيه الشاعر:

**إذا جارَ الأميرُ وحاجباه        وقاضي الأرضِ داهنَ في القضاءِ**
**فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ        لقاضي الأرضِ من قاضي السماءِ**[1]

هذا القاضي الذي يظلم لحسابات سياسية أو اقتصادية، أو شخصية أو حزبية.. ويل له من قاضي السماء، كما رأينا في قضية أخينا تيسير علواني[2] الذي حُكم عليه بسبع سنوات ولا أدلة تدينه، لم يفعل شيئًا، قالوا: لم يثبت عليه أنه من القاعدة. كل ما فعله أنه رجل صحفي، مراسل لقناة الجزيرة، استطاع أن يصل إلى بعض الناس ويسجل معهم، هذا من إتقانه لعمله، ويجب أن يكون هذا سرًّا عنده، وإلا لم يثق أحد بلقاء أحد قط، فهذا من ظلم القاضي.

الله سبحانه وتعالى لام سيدنا داود عليه السلام، حينما حكم لأحد الخصمين على حساب الآخر؛ قبل أن يسمع الطرف الثاني، لم يعرف

(١) انظر: تاريخ ابن أبي خيثمة (١٠٠١/٢).
(٢) تيسير علوني: صحفي سوري، يعمل مراسلًا بقناة الجزيرة، حكمت عليه المحكمة الإسبانية بالسجن لمدة ٧ سنوات في ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٥م، وخرج من المعتقل في شهر مارس ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

وجهة نظره، لم يسمع دفاعه، حين دخل عليه الخصمان وتسوروا المحراب وفزع منهم، ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۞ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٢ ـ ٢٣]، غلبني في الكلام، فبماذا حكم داود؟ ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ [ص: ٢٤]، هكذا سارع داود بحكم العاطفة، وحكم على الرجل!

يا داود انتظر حتى تسمع الخصم، يقال في المثل: إذا جاء أحد الخصمين وعينه مقلوعة؛ فلا تحكم له حتى ترى خصمه، فربما وجدت عينيه كلتيهما مقلوعتين! فحكم داود لهذا الخصم، ولم يسمع حجة صاحبه، لعل هذا الخصم كان يريد أن يقول للمتظلم: بدل أن ترعى كل يوم نعجة واحدة ضمها إلى نعاجي ونتحاسب في النهاية. أو شيء من هذا، ولذلك قال الله تعالى لداود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦]، لا تتبع الانفعال السريع ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

## ظلم الرعاة والحكام:

ثم هناك مرتبة خامسة من مراتب الظلم: هي ظلم الرعاة والحكام، الحاكم مسؤول عن رعيته كما قال ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في بيته وهو مسؤول عن رعيته**»(١). كأن الإمام في المجتمع كالأب في الأسرة، مسؤول مثله، عليه أن يرعى الصغير والكبير، أن يكون للكبير ابنًا، وللصغير أبًا، وللمساوي أخًا، وأن يشفق على الجميع، وأن يسوسهم بالعدل، لا يحابي

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥٥٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

قريبًا، ولا يتحيز ضد بعيد، المفروض في الحاكم المسلم أن يرعى الناس، ويجعلهم سواسية كأسنان المشط أمامه، هذا هو العدل الذي جاء به الإسلام، وينبغي للحاكم في ذلك أن يسمع نصائح الناس، فـ «**الدين النصيحة: لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**»(١).

الحاكم العادل يسمع للنصح، والحاكم الظالم لا يسمع لنصح أحد، كما قال أحدهم في أيام انحراف الحكم الإسلامي: من قال لي: اتقِ الله. ضربت عنقه(٢). على حين يقول عمر رضي الله عنه: رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوب نفسي(٣)، مرحبًا بالناصح أبد الدهر، مرحبًا بالناصح غدوًّا وعشيًّا(٤)، من رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقومني(٥). وقال له أحد الناس يومًا: اتقِ الله يا ابن الخطاب. فأنكر عليه بعض أصحاب عمر، وقال له: تقول هذا لأمير المؤمنين؟! فقال له عمر: دعه، لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها(٦).

الحاكم الصالح هو الذي يكون في الرعية كالأب في أسرته، يرعى حقوق الناس، يسهر من أجل مصالحهم، يعمل من أجل حقوقهم ورعايتها، ولذلك جاء في بعض الآثار: يوم من إمام عادل خير من عبادة ستين سنة(٧). لأنَّه في هذا اليوم قد يُصدِر من القرارات ما ينفع الألوف

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم الداري.

(٢) قاله عبد الملك بن مروان. انظر: تاريخ الخلفاء صـ١٦٥، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ٢١٧.

(٤) رواه الطبري في تاريخه (٢٢٥/٤).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩).

(٦) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٧٧٣/٢)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ.

(٧) رواه الطبراني (٣٣٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩٩٥)، وحسن إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ٢٠٥، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

والملايين، وأيضًا: يوم من حاكم ظالم شر من جرائم ستين سنة. لأنَّه في يوم واحد يمكن أن يُصدِر قرارًا يظلم به آلافًا أو ملايين من الناس؛ حسب تعداد شعبه.

شر ما تُصاب به المجتمعات أن تُصاب بظلم الحُكَّام، وحكم الظُلَّام، فهؤلاء خطر على الأمة والعياذ بالله ﷻ، أن يصبح الحارس لصًا، ويصبح الراعي ذئبًا، كما قال المثل: يصبح (حاميها حراميها). أو كما قال الشاعر العربي:

**وراعي الشاةِ يحمي الذئبَ عنها فكيفَ إذا الرعاةُ لها ذئابُ؟**[1]

**الظلم الدولي:**

وهناك مرتبة من الظلم أعلى من ذلك، وهو الظلم الدولي، ظلم الدول بعضها لبعض، والأمم بعضها لبعض، أن تكون أمة هي أربى من أمة، وذلك إذا تحكم منطق القوة على منطق الحق، وسادت قوانين الغابة، التي يفترس فيها القوي الضعيف، كما نرى في يومنا هذا الدول الكبرى تريد أن تأخذ كل شيء، والدولة الأكبر تريد أن تجتاح العالم، تفرض سلطانها على الجميع، ليس بمنطق الحق؛ ولكن بمنطق القوة.

**تكلمَ السيفُ فاسكتْ أيُّها القلمُ وتحكم الذئبُ فاخضعْ أيُّها الحملُ**

هذا هو منطق القوة، هذا هو الظلم الذي نراه في العالم اليوم، هذا الظلم شر ما تُصاب به البرية.

(١) ذكره الدميري ولم ينسبه في حياة الحيوان الكبرى (١/ ٥٠٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

## ما موقف الإنسان المسلم من الظلم؟

المسلم يتحرى ألا يظلم أحدًا، يجتنب الظلم ما استطاع، لا يظلم قريبًا، ولا يظلم بعيدًا، لا يظلم صديقًا ولا يظلم عدوًّا، لا يظلم مسلمًا ولا غير مسلم، لا يظلم إنسانًا ولا حيوانًا، فقد «**دخلت امرأة النار في هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خَشَاش الأرض**»(١).

## المسلم لا يظلم أحدًا:

لا ينبغي للمسلم أن يظلم أحدًا، هكذا علمنا النبي ﷺ، حينما كان يخرج بيته يقول: «**اللهم أعوذ بك أن أَضل، أو أُضل، أو أَزلَّ، أو أُزلّ، أو أظلم، أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل عليَّ**»(٢). لا تَظلم ولا تُظلم، ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

وحينما عرض عليه أصحابه أن يُسعِّر لهم، قالوا: غلا السعر يا رسول الله فسعِّر لنا. فقال: «**إنَّ الله هو المسعِّر، القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله، وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم، ولا مال**»(٣). لم يُرد أن يتدخل في حرية التجارة الشخصية؛ لأنَّ الغلاء كان غلاء طبيعيًّا، كما يقول ابن تيمية: من قلة الشيء وكثرة الخلْق(٤). وهذا يسمونه في الاقتصاد اليوم (قانون العرض والطلب)، المعروض أقل من

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٩٤)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الاستعاذة (٥٤٨٦)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٨٤)، عن أم سلمة.

(٣) رواه أحمد (١٤٠٥٧)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وقال: حسن صحيح. كلاهما في البيوع، وابن ماجه في التجارات (٢٢٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٦)، عن أنس.

(٤) الحسبة لابن تيمية صـ٣٥، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

QaradawiBooks.com

المطلوب؛ فلا بد أن يغلو السـعر، فإذا كان غلاء طبيعيًّا لا تدخُّل. اعتبر النبي ﷺ التدخل في هذه الحالة ظلمًا، لا يريد أن يلقى الله عليه ويطالبه الناس يوم القيامة بحقوقهم، أما إذا كان الغلاء بسـبب احتكار السـلع والتحكم في الأسـواق؛ فإنَّ تدخل الدولة ضـروري؛ لأنه إزالة للظلم، وإقامة للعدل.

## المسلم لا يعين ظالمًا:

المسـلم يجتنب الظلم، ثم لا يكفيه ذلك، لا تظلـم ولا تكن عونًا لظالم، كما أنه مطلـوب منك ألا تظلم.. مطلوب منـك ألا تكون عونًا لظالم من الظُلَّام، تكون سـاعده الأيمن أو حتى الأيسـر، تشـاركه في الإثم، لا، الله تعالى يقـول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. فإذا عاونت الظالم؛ بأن عملت معه أي عمل يسـاعده في ظلمه، كنت شـريكًا له في إثمه بقدر معاونتك إياه.

الله سـبحانه وتعالى حينما دان فرعون وهامان ـ وهم المتألهون في الأرض، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفسـاد ـ قال: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]، ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]. هم ظلموا؛ فلا بد أن تكون هـذه عاقبتهم، والجنود مع فرعون وهامان؛ لأنهم سواعده وأدواته، وسـياطه التي يضرب بها، من عاون ظالمًا غير مُكرَه؛ فإنه شريك له في الإثم.

بل إنَّ الإمام أحمد رضي الله عنه حينما سـجنوه في محنـة (خلق القرآن) وضربوه وآذوه، وصبُّوا عليه من سياط العذاب ما صبوا.. جاء سجَّانُه

QaradawiBooks.com

يقول له: يا أبا عبد الله، الأحاديث التي وردت في أعوان الظلمة، وأنهم في النار، وأنهم كلاب جهنم، وأنهم كذا، هل هي أحاديث صحيحة؟ قال له: نعم. قال: هل تراني من أعوان الظلمة؟ قال: لا، لست من أعوان الظلمة، إنما أعوان الظلمة من يطهو لهم طعامهم، ويخيط لهم ثيابهم، ويقضي لهم حاجاتهم، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم[1]! فلا تكن عونًا لظالم.

## المسلم لا يركن لظالم:

وأكثر من ذلك: لا تركن إلى ظالم، أي لا تمل إليه بقلبك، لا يكن هواك معه، حتى وإن لم تشارك في الظلم عمليًا، ولكن ميولك معه، الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]. ومن قرأ سير السلف وفرارهم من الظلمة، ومن العمل معهم، ومن الركون إليهم يجد شيئًا عجيبًا غريبًا.

## نصيحة الظالم ومنعه من الظلم:

ثم هناك شيء أكبر من ذلك، وهو أن تنصر الظالم على نفسه وعلى شيطانه، كما قال النبي ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». قالوا: هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «**تأخذ فوق يديه** - تمنعه من الظلم - **فذاك نصرك إيَّاه**»[2]. ففي هذه الحالة أنت نصرته على نفسه على هواه.

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي صـ٤٣٥، تحقيق حسن المساحي سويدان، نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com
نسخة مجانية

إذا كنت قادرًا.. امنع الظالم من ظلمه، «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١)، قد يكون الظالم ابنًا لك، قد يكون أخاك الصغير، قد يكون إنسانًا تقدر عليه، امنعه عن ظلمه.

ثم هناك مرتبة دون ذلك وهي أن تنصحه، تقول له: اتقِ الله وابتعد عن الظلم، لا تبغِ على الناس؛ فإنَّ البغي مرتعه وخيم، وعلى الباغي تدور الدوائر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، اعتبروا بالماضين وما جرى لهم، ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]. ذكّر الظالم، وانصحه بقدر ما تستطيع.

## حياة الأمة في مواجهة الظالمين:

ويبقى في الأمة الخير ما دام فيها من ينصح الظالم، ويأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، يقول النبي ﷺ فيما رواه سيدنا أبو بكر الصديق: «**إنَّ الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه؛ أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**»(٢). يبقى الخير في الأمة ما دام فيها من يقول للظالم: يا ظالم.

ويقول ﷺ: «**إذا رأيت أمتي تهاب الظالم، أن تقول له: أنت ظالم، فقد تودع منهم**»(٣). أي استوى وجودهم وعدمهم، ليس في الأمة رجل

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه أحمد (١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي في الفتن (٣٠٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٥)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.

(٣) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبزار (٢٣٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١١٠): =

QaradawiBooks.com

يقول للظالم: يا ظالـم اتقِ الله؟! بل أكثر من ذلك يقـول للظالم: أيها البطـل، أيها المحرر، أيها المنقـذ، أيها الزعيم العظيـم، أيها المُلهَم. ويُضفون عليه من الصفات والمدائح ما يضفون، هذا هو شر ما تصاب به الأمم، هذا هو الخطر.

## أضعف الإيمان كراهية الظلم:

إذا لم يكن ذلك؛ فأقل ما يجب عليك أن تكره الظالم بقلبك، تكن الكراهية للظالم بسبب ظلمه لا لشخصه، فأنت تكره ظلمه، لو عاد عن هذا الظلم وتاب تبدي له الحب، أنت تكره الظالم لظلمه بقلبك، هذا هو التغيير بالقلـب، «**من رأى منكم منكـرًا فليغيره بيده، فإن لم يسـتطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1].

وجاء في حديث ابن مسـعود عن مقاومة الحـكام الظالمين يقول: «**فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسـانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلـك من الإيمان حبة خردل**»[2]. آخر مرتبة الجهاد بالقلب، ولهذا الجهـاد القلبي دلائل، فليس معناه أن تقول: أنا أجاهد بقلبي. ولكنك تقف كل يوم عند هؤلاء الظلمة تتمسح بأعتابهم، وتقف على أبوابهم، وتسـير في ركابهم، هذا كذب، إذا كنت تكرههم بقلبك ابتعد عن شرهم، إذا لم تُزل الشر فزُل أنت عن الشر.

من دلائل ذلك ألا تدعو لهم بطول العمر وبالتأييد وبكذا، لأنَّ معنى أن تدعو لهم بطول العمر: أنك تريد استمرار الشر والفساد والطغيان في

---

= رواه أحمد والبزار بإسـنادين، ورجال أحد إسـنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد. عن عبد الله بن عمرو.

(١) سبق تخريجه صـ ٢٩٨.

(٢) رواه مسلم (٥٠)، وابن حبان (١٧٧)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الأرض، كما قال الإمام الحسن البصري: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعصى الله في أرضه[(١)].

أفضل شيء أن تدعو لهم بالهداية، تقول: اللهم اهدهم، اللهم أصلح بالهم، اللهم أصلح أمرهم. فإذا لم يكن من وراء ذلك فائدة فقل: اللهم خذهم وأرح العباد من شرهم. هذا هو شأن الإنسان أمام الظالمين.

**حقوق المظلومين:**

ولكن ما شأن المظلومين؟ من حق المظلوم أن يجهر بالشكوى من ظلم الظالمين، يقول: ظلمني فلان، فعل بي كذا. بل قد يسبه، صحيح أن الإسلام منع السب، «**لا تسبوا الريح**»[(٢)]، «**لا تسبوا الحمَّى**»[(٣)]، «**لا تسبوا الشيطان**»[(٤)]، ولكنه أباح سب الظالم؛ حتى ينفِّث المظلوم عن نفسه، ويشفي غليله، يقول الله تعالى: ﴿**لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا**﴾ [النساء: ١٤٨].

ومن حق المظلوم أيضًا أن يرد الظالم بما يستطيع، إذا استطاع أن يرد الظالم عن ظلمه فليفعل، ولا حرج عليه، كما يقول الله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ**﴾ [الشورى: ٣٩]، ينتصرون لأنفسهم أمام الذين بغوا عليهم،

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٣٠).

(٢) رواه أحمد (٢١١٣٩) وقال مخرجوه: حديث صحيح. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٠٧)، والحاكم في التفسير (٢٧٢/٢)، وصححه على شرطهما، وقال الذهبي: على شرط البخاري، عن أبيّ بن كعب.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٥)، عن جابر.

(٤) رواه أبو طاهر في المخلصيات (١٥٧٢)، وأبو القاسم تمام الرازي في الفوائد (٧٧٨)، ورجح الدارقطني في العلل (١٩٣٦) الموقوف، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]. ثم يقول الله تعالـى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الشورى: ٤١ ـ ٤٢]. فمن حق المظلوم أن يدافع عن نفسه.

ومن حق المظلوم أيضًا أن يدعو على من ظلمه، يستنصر بالله، يستعين بالقوة التي لا تُقهر، ليس أمام الضعيف إلا أن يلجأ إلى الأقوياء، فإذا لم يجد قويًّا في الأرض ينصره لجأ إلى ربه: أقوى الأقوياء، القوي المتين، وسيجد أبواب السماء مُفتَّحة، فإنَّ دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، حتى جاء في الحديث: «**اتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(١).

ويقول النبي ﷺ: «**ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حين يُفطر** ـ في رواية: حتى يُفطر ـ **والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين**»(٢). فمن حق المظلوم أن يدعو على ظالمه.

ومن واجب الظالم أن يخشى دعوة المظلوم، كما قال السلف: إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنهما يسريان بالليل والناس نيام(٣).

**لا تظلمنَّ إذا كنتَ مقتدرًا فالظلمُ ترجعُ عُقباهُ إلى النَّدمِ**
**تنامُ عيناك والمظلومُ منتبهٌ يدعو عليكَ وعينُ الله لم تنمِ**(٤)

احذر أيُّها الظالم من الظلم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٨)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٨٠٤٣)، وقال مخرجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٢١/١)، من قول أبي الدرداء، نشر دار السعادة، القاهرة، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٤) ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب صـ١٨٤، جمع عبد العزيز الكرم، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

## توبة الظالم:

ماذا أمام الظالم؟ هل الأبواب مُغلَّقة دونه؟ لا والله، لا يُغلق بابُ الله دون أحد، لا ظالم ولا كافر، حتى الكافر باب الله مفتوح أمامه، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

## أنواع الظلم:

الباب مفتوح للظالم، ولكن الظلم أنواع ثلاثة كما قال بعض السلف: ظلم لا يغفره الله، وظلم لا يبالي به الله، وظلم لا يتركه الله، أما الظلم الذي لا يغفره الله فهو الشرك، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

والظلم الذي لا يبالي به الله الظلم فيما بينك وبين الله، في حقوق الله الخالصة، التي ليس فيها حق لعباده، بمجرد أن تتوب منها يتوب الله عليك، ولا حرج عليك بعد ذلك.

والظلم الذي لا يتركه الله هو ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، ظلم العباد بعضهم لبعض، هذا لا يُترك، لا بد أن يُسامح أصحابه فيه، لو ظلم الناس: غشهم في تجارته، أو ضرب هذا، أو أساء إلى هذا، أو اغتاب هذا.. ظلمهم بأي صورة من صور الظلم؛ لا بد أن يتحلل من هؤلاء.

## التحلل من المظالم في الدنيا:

جاء في الصحيح، عن النبي ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن**

QaradawiBooks.com

**كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»**(١). في يوم القيامة لا يتعامل الناس بالدراهم ولا بالدنانير، ولا بالريالات ولا بالدولارات، إنما يتعاملون بالحسنات والسيئات، فمن ظلم أخاه: شتمه، أو ضربه، أو أخذ ماله، أو أي شيء من هذا، ولم يتحلل منه في الدنيا؛ يأتيه يوم القيامة مطالبًا إياه بحقه، فإذا كثر مطالبوه فَنِيَتْ حسناته، لم يبقَ له رصيد، أصبح رصيده صفرًا، وماذا يفعل أصحاب الحقوق؟ يقولون: يا ربّ، خُذ من سيئاتنا واطرحها على سيئاته. حتى يُطرح في النار والعياذ بالله.

من هنا كان على الإنسان الظالم أن يتحلل مَن ظلمه، ما معنى يتحلل؟ أي يذهب إلى المظلوم ويقول له: ظلمتك في كذا وكذا؛ فسامحني وأبرئ ذمتي، غلبني الهوى وغلبني الشيطان، أرجوك يا أخي، أتوسل إليك أن تسامحني، وهذا سيكون في ميزانك يوم القيامة حسنات ودرجات. فإنْ كان المظلوم رجلًا طيبًا يقول له: سامحتُك وأجري على الله. وقد يرفض ويقول له: لا، لن أسامحك.

هنا إذا كان الظالم التائب صادق النية؛ فليعمل على أن يستغفر لصاحبه إن كانت سيئاته من الناحية الأدبية، ولكن إذا كانت سيئاته حقوقًا مالية فهذه هي المشكلة، هنا يجب أن يرد الحقوق إلى أصحابها إن كان يعرفهم وكانوا أحياء، وإذا ماتوا يرد هذه الحقوق إلى ورثته، وإذا لم يعرفهم يتصدق بهذا المال، وإذا ضاع الحرام الذي جمعه ولم يعد عنده شيء؛ ينوي أنه كلما أتاه مال أخرج منه ليسدد ما عليه من ديون، فإن سددها فَبِها ونعمت، وإلا فإنَّ الله تعالى كفيل أن يرضي خصومه عنه يوم القيامة!

(١) رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٩)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المظالم أيُّها الإخــوة خطيرة، احــذروا الظلم، «**اتقــوا الظلم؛ فإنه ظلمات يوم القيامة**»(١)، هو ظلمات يــوم القيامة، وهو كوارث ومصائب في الدنيا، لا تظلم، ولا تكــن عونًا لظالم، ولا تركن إلــى ظالم، وإذا ظلمت فتب مــن ظلمك، وارجع إلى ربك، فإنــه أهل أن يتوب عليك، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

أقول قولي هذا، وأســتغفر الله تعالى لي ولكم فاســتغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٨)، وأحمد (١٤٤٦١)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

**إسرائيل والفصائل الفلسطينية:**

لا زلنا أيُّها الإخوة نتابع ما يجري في فلسطين من أحداث بقلوبنا وأعصابنا، ونسأل الله تعالى أن يسدد خُطا إخواننا، وأن يلهمهم الصواب، وأن يجمع كلمتهم على الهدى وقلوبهم على التقى؛ إسرائيل تريد أن تضرب بعضهم ببعض، السلطة بالفصائل، والفصائل بالسلطة، ولا يمكن أن ينتصر الفلسطينيون إلا إذا بقوا كتلة واحدة، وأن يظل الدم الفلسطيني محرَّمًا على كل واحد منهم، لا بد أن يعوا هذه الحقيقة، إسرائيل تريد أن تُصفِّي فصائل الجهاد وخصوصًا حماس، وهي تضربهم دائمًا، تضرب حماس والجهاد والأقصى، وكل هذه الفصائل، ولكنها تخص حماس بمزيد من النقمة، تريد أن تبعدها عن الانتخابات القادمة، ألا يكون لها حق في المشاركة، تعتبرهم كأنهم ليسوا فلسطينيين، وتهدد هؤلاء، تقول للدكتور الزهَّار حفظه الله: إن مصيرك سيكون كمصير من سبقك: أحمد ياسين، والرنتيسي.

وماذا كان مصير أحمد ياسين والرنتيسي أيها الجبناء؟ كان مصيرهم الجنة، كان مصيرهم الفردوس إن شاء الله، فقد ماتوا شهداء، إنهم حصلوا على الموتة التي يتمناها كل مسلم لنفسه، أن يُختم له بالشهادة في سبيل الله، كان من الأدعية النبوية: «**اللهم إنا نسألك عيش السعداء، وموت الشهداء، والفوز في القضاء، والنصر على الأعداء**»[1]. ونحن ندعو الله

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤١٩)، وقال: حديث غريب. وابن خزيمة في الصلاة (١١١٩)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٩٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

بهذا الدعاء، ونسأل الله أن ينصر إخوتنا، وأن يؤيدهم بروح من عنده، وأن يكتب لهم التوفيق في مسيرتهم.

غير مرخصة للطباعة

**استقبال رمضان:**

أيُّها الإخوة، بعد أيام سنستقبل شهر رمضان المبارك، موسم المتقين، ومتجر الصالحين، فعلينا أن نستفيد من هذا الشهر الكريم، نزيد من رصيد حسناتنا عند الله، كفانا غفلة أحد عشر شهرًا، فلنضغط على أنفسنا في هذا الشهر؛ لنزداد عبادة وطاعة لله، بأن نُحسن الصيام، ونُحسن القيام، ونحسن ذكر الله وتلاوة القرآن، ونبر الوالدين، ونصل الأرحام، ونُحسن إلى الجيران، ونُحسن إلى الفقراء؛ فإن الحسنات تتضاعف مثوبتها في هذا الشهر الكريم.

إن شاء الله إذا ثبت شهر رمضان في ليلة الثلاثاء - وهو الغالب والمرجح - إن شاء الله سنصلي التراويح في مسجد الشيوخ، وكل عام وأنتم بخير، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا وأن يقبلنا، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهمَّ أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضَ عنا وأرضنا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# ١٩
# الإسلام والعروبة

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيها الإخوة المسلمون:

سألني أحد الإخوة سؤالًا أحببت أن أعرضه عليكم هنا، هذا السؤال بمناسبة استضافة جامعة قطر لاتحاد الجامعات العربية في الأسبوع القادم، وبمناسبة استضافة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الإسلامية في قطر لوفد المشيخة الإسلامية في البوسنة والهرسك من جمهوريات يوغوسلافيا.

### تعدد الانتماءات:

سألني هذا الأخ: هل نحن عرب أو مسلمون؟

قلت له: نحن عرب ومسلمون، ولا تناقض بين العروبة والإسلام، والإنسان تتعدد انتماءاته، بعض هذه الانتماءات نَسَبية أو عِرقية، أو جغرافية أو اجتماعية، فقد تكون قَطَريًا خليجيًا في الوقت نفسه، عربيًا في ذات الوقت، آسيويًّا بحكم انتمائك إلى القارة الآسيوية، مسلمًا بحكم انتمائك إلى دين الإسلام، إنسان بحكم انتمائك إلى العالم الإنساني، وقد تكون لك انتماءات أخرى بحكم المهنة؛ فأنت من جماعة الأطباء أو المهندسين أو غير ذلك.

QaradawiBooks.com

لا مانع أن تتعـــدد انتماءات الإنســـان، وهي دوائر قـــد تتداخل أو تتكامل، وليس مـــن الضـــروري أن تتناقض، فما الذي جعـــل العروبة والإسلام أمرين متناقضين إذن؟!

هذا إنما حـــدث عندما وُجـــد العلمانيـــون، من القوميـــين العرب اللادينيين الذين تنكروا للإسلام، أو وُجِد الشعوبيون من دعاة الإسلام، الذين يغمطون فضل العرب، ولكن الحقيقة ليست عند هؤلاء ولا هؤلاء.

لقد وُجِد من دعا إلى قومية عربية بعيدة عن الإسلام؛ بل متنكرة له، من يعتبر محمدًا عليه الصلاة والسلام مجـــرد عبقرية عربية، ومن يعتبر الإســـلام مجرد انتفاضة عربية، أغفلوا النبوة والرسالة والوحي!

## تكريم الإسلام العرب:

ولكن محمدًا ﷺ هو نبي موحى إليه، والرســـول الكريم هو الذي جعل للعرب ذكرًا، الإسلام هو الذي خلَّد العرب، وجعل لهم ذكرًا في العالمين ورفع رايتهم، لا شـــك أن من يعرف الوقائع، ويعرف التاريخ، ويدرس الحقائـــق: يتبين له أن الله كـــرَّم العرب بالإســـلام، ولم يُكرِّم الإسلام بالعرب.

كرَّم الله العرب بالإسلام بأن بعث فيهم ومنهم محمدًا ﷺ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]. ضلال الجاهلية، وضلال الوثنية، الوثنية التي جنت على العرب حتى أفســـدت عقولهـــم؛ فعبدوا أحجارًا نحتوها، وأفسدت عواطفهم؛ فقتلوا أولادهم وفلذات أكبادهم من إملاق، أو خشية إملاق.

QaradawiBooks.com

وكرَّم الله العرب كذلك بأن أنزل القرآن بلسانهم وبلغتهم، وأي شرف أعظم من هذا الشرف، وأي فخر أزكى من هذا الفخر، أن ينزل كلامه الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أن تنزل كلمات الله الأخيرة للبشرية بلسان العرب، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥]، ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، فهذا هو الشرف كل الشرف، والفخر كل الفخر.

ولهذا قال الله تعالى لرسوله: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣ ـ ٤٤]. ذكر وشرف لك ولقومك من العرب، وسوف تُسألون عن هذا القرآن وهذا الوحي، ويقول في آية أخرى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]. فيه شرفكم؛ تُذكرون به على مدار التاريخ.

كما كرَّم الله العرب بأن جعل مقدسات الإسلام في أرضهم: الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا، ومن دخله كان آمنًا، والذي يتوجه إليه المسلم كل يوم خمس مرات، لا تصح صلاته إلا بالتوجه إليه، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤]، هذا المسجد الحرام في أرض العرب.

والمسجد النبوي، وهو المسجد الثاني في الإسلام، وقبر رسول الله ﷺ في أرض العرب، المسجد الأول في مكة، والمسجد الثاني في المدينة، بل المساجد الثلاثة التي لا تُشد الرحال إلا إليها كلها في أرض العرب، المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله في أرض العرب.

QaradawiBooks.com

كل مسلم إذن مشدود إلى أرض العرب في صلواته اليومية، ويسأل الله أن يُهيئ له الفرصة ليحج البيت الحرام، ليقضي فريضة العمر بالحج، ويتمنى أن يذهب أكثر وأكثر إلى العمرة، وإلى حج النافلة.

كما كرَّم الله العرب بأن جعل صحابة رسول الله ﷺ منهم، الصحابة الذين تربوا في المدرسة المحمدية، في حضانة النبوة تخرجوا على يدي رسول الله ﷺ، شاهدوا أسباب التنزيل، وفقهوا القرآن، وعرفوا السُّنن، وقاتلوا بين يديه وذادوا عن الإسلام، هؤلاء كانوا من العرب: أبو بكر وعمر، وعثمان وعلي، وألوف مؤلفة هؤلاء عرب.

هؤلاء الصحابة هم الذين حفظوا القرآن ونقلوه إلى من بعدهم، وانتقل من جيل إلى جيل بالتواتر، وهم الذين حفظوا السنن ورووها لمن بعدهم، وهم الذين انطلقوا في الآفاق بعد رسول الله ﷺ يقاتلون أعتى الإمبراطوريات، ويدافعون عن الشعوب، ويبلغونها كلمة الإسلام، ويزيلون الحواجز من أمامها، هؤلاء الفاتحون من الصحابة وتلاميذهم كانوا من العرب، كانوا معلمي الأمم، أصبحوا بالإسلام رعاة الأمم بعد أن كانوا من قبل رعاة الغنم، هؤلاء الصحابة ومن تتلمذ على أيديهم هم الذين فتحوا الفتوح ونشروا الإسلام في العالم.

والعرب بعد ذلك هم الذين علموا الأمم المساواة والعدل والإحسان وقيم الإسلام، وأزالوا الفوارق بين الناس، «**ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى**»(١)، ومن هنا اختلطت العناصر وامتزجت بعضها ببعض، وأقاموا حضارة إسلامية شامخة، قامت على العلم والإيمان، قامت على العدل

(١) سبق تخريجه صـ ٩٠.

QaradawiBooks.com

والإحسان، قامت على تآخي المعاني الربانية والمعاني الإنسانية، وتآزر السمو الروحي والرقي المادي، حضارة جمعت بين الدنيا والآخرة، ومزجت بين الروح والمادة، ووصلت الأرض بالسماء، هذه هي حضارة العرب المسلمين.

## حضارة عربية أم إسلامية؟

وفي عصرنا مماحكات ومجادلات، يقول بعضهم: أهي حضارة عربية أم حضارة إسلامية؟ هي عربية إسلامية، هي حضارة عربية بحكم اللغة التي كُتبت بها، العلوم كل العلوم: الطب والفيزياء والكيمياء، والفلك والجبر وغيرها كُتبت باللغة العربية، التي عجزنا نحن اليوم في معظم جامعاتنا أن نكتب بها العلم والطب والهندسة وغيرها، هذه اللغة وسعت كل هذه العلوم، فهي حضارة عربية كُتب بها العلم، وكُتب بها الأدب، وكُتبت بها الثقافة بكل فنونها، فهي عربية من هذه الناحية.

وهي حضارة إسلامية بحكم الأهداف التي هدفت إليها، والحوافز التي دفعت إليها، بحكم أن الإسلام هو السناد الروحي والفلسفي وراء هذه الحضارة، فليست الحضارة مجرد عمران ولا مجرد فنون، هناك فكرة وراءها، هناك فلسفة تدفع إليها، والفلسفة التي دفعت إلى هذه الحضارة كانت هي الإسلام.

تصوروا أنَّ أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي مبتكر علم الجبر إنما ابتكره ليحل به مشاكل ومسائل في علم المواريث والوصايا، ولذلك نجد نصف كتابه فقهًا والنصف الآخر رياضيات، لم تعرف هذه الحضارة انفصالًا بين العلم والدين، ولا صراعًا بين الحكمة والشريعة؛ بل العلم عندها دين، والدين عندها علم، فهذه الحضارة إسلامية بحكم الدوافع والفلسفة التي تعتمد عليها.

QaradawiBooks.com

وهي حضارة إسلامية بحكم الرقعة التي انتشرت فيها، لأنها حضارة لم تكن في أرض العرب وحدهم، لقد امتدت إلى كل الرقع الإسلامية شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا، فهي إسلامية بحكم دار الإسلام، كانت حضارة دار الإسلام كل دار الإسلام.

وهي حضارة إسلامية بحكم العناصر المتنوعة التي اشتركت فيها، فقد اشترك فيها عرب وفرس، وهنود وأتراك، وأمازيغ وبربر، وكل العناصر اشتركت فيها، فهي حضارة عربية إسلامية.

لماذا إذن يجعل بعض الناس صراعًا وتناقضًا بين العروبة والإسلام؟ الناس في مصر وفي المغرب العربي لا يفرقون بين العروبة والإسلام، فعندهم كل عربي مسلم حتى وإن كان دينه غير الإسلام، فمن لم يكن منهم مسلمًا دينًا كان مسلمًا ثقافة، وعندهم إذا قال الرجل العادي: اللهم انصر العرب. يقصد: اللهم انصر المسلمين. وهذا ما عبَّر عنه الشاعر المصري الراحل محمود غنيم رحمه الله في قصيدته (وقفة على طلل)، حيث يتحدث عن واقع المسلمين ومآسيهم؛ فيمزج بين العروبة والإسلام، يقول:

**ويحَ العروبةِ كان الكونُ مسرحَها ... فأصبحت تتوارَى في زواياهُ**

**كم صرَّفتنا يدٌ كُنَّا نُصرِّفها ... وباتَ يملكنا شعبٌ ملكناهُ**

**أنى اتجهتَ إلى الإسلامِ في بلدٍ ... وجدته كالطيرِ مقصوصًا جناحاهُ**(١)

يتكلم عن العروبة وعن الإسلام، لا يجد فرقًا بينهما، ثم يقول في هذه القصيدة:

**إنَّ العروبةَ لفظٌ إن نطقتَ به ... فالشرقُ والضادُ والإسلامُ معناهُ**(٢)

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم (٧٩/١)، نشر دار الغد العربي، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) المصدر السابق (٨٠/١).

QaradawiBooks.com

لا تناقض إذن بين العروبة والإسلام عند دعاة الإسلام الأُصلاء، وعند دعاة العروبة الأُصلاء، لأنه لا عروبة بغير إسلام، العروبة جسم والإسلام روحه، ولا يجوز أن نفصل الجسم عن الروح؛ لأنه لا حياة للجسم بدون بالروح.

## هل هناك عروبة بغير إسلام؟

يقول القوميون من العرب: إنَّ الذي يربط العرب بعضهم ببعض شيئان مهمان: هما اللغة، والتاريخ.

ونقول: ما الذي خلَّد اللغة؟ ما الذي حفظها؟ إنه القرآن، القرآن هو الذي خلَّد لغة العرب وحفظها، وجعل لها قيمة أي قيمة، ووسع نطاقها؛ فأصبح الذين يتكلمون بها اليوم مائتي مليون أو أكثر في داخل أرض العرب، وفي غير أرض العرب؛ لأنَّ العروبة ليست جنسًا، ليس عرقًا، ليست دمًا، العروبة لسان وثقافة.

ولهذا قالوا: إنَّ العربية من أحدكم ليست بأب ولا أم، إنما العربية اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي.

وعلى هذا دخل الشمال الإفريقي كله في العرب بواسطة الاستعراب، صاروا عربًا بواسطة اللغة، والاستعراب أمر أصيل في العروبة، إن أفضل العرب الذين بُعث منهم النبي ﷺ وهم العرب العدنانيون عرب الشمال إنما كانوا عربًا بالاستعراب، أي لم يكونوا عربًا وإنما استعربوا، أصل العرب هم عرب الجنوب، هم اليمنيون والقحطانيون، ولكن إسماعيل عليه السلام تعلم العربية، وورثت ذلك ذريته، وأصبحوا هم ذؤابة العرب، وبُعث منهم سيد العرب وسيد الخلق أجمعين: محمد ﷺ.

QaradawiBooks.com

وقد كانت سياسة الصحابة وتلاميذهم من أبناء الإسلام في العصور الأولى أن ينشروا العربية مع الإسلام، فكان الناس يدخلون في الإسلام ويتعلمون لغته، يتعلمـون العربية معه، وعلى هذا امتـد نطاق العرب، وليت هذه السياسة استمرت، لو اسـتمرت وتعلم كل مسلم العربية ما كان عندنا اليـوم عالمان: عالم عربي، وعالم إسـلامي، لـكان العالم الإسلامي كله عالمًا عربيًّا، ولأصبح المسلمون كلهم عربًا.

## كثير ممن خدم الإسلام ولغته ليسوا عربًا:

إنَّ كثيرًا من الذين خدموا الإسـلام وخدمـوا العربية لم يكونوا من جنس العرب، تعربوا وخدموا هذا الدين، وخدموا لغته، هل كان سيبويه عربيًّا؟ اسمه يدل عليه، سـيبويه، الزمخشري، الجرجاني، الفيروزبادي، الذين كتبوا في اللغة والنحو والبلاغة وغير ذلك: أكثرهم من غير العرب!

وأصحاب الكتب السـتة ـ من أئمة السـنَّة والحديث ـ ليسـوا من العرب: البخاري ومسـلم، وأبو داود والترمذي، والنسـائي وابن ماجه، كلهم من غير العرب.

وأبو حنيفة لم يكن من العرب.

والذين قادوا المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي يوم هجم التتار من الشـرق وهجم الصليبيون من الغرب، الذين وقفوا لهؤلاء وقاوموهم مقاومة باسلة، حتى استعادوا للإسلام أرضه ودياره: لم يكونوا من جنس العرب، عمـاد الدين زنكي، وابنـه نور الدين محمود الشـهيد، وتلميذه صـلاح الدين الأيوبي، وسـيف الدين قطز، والظاهر بيبـرس، هؤلاء لم يكونوا عربًا من ناحية الجنس، ولكنا نعتبرهم عربًا بحكم الثقافة واللسان، تكلموا العربية ونطقوا بها، ودرسوا القرآن والسنَّة؛ فأصبحوا عربًا.

QaradawiBooks.com

عناصر مختلفة من السلاجقة والعثمانيين والمماليك وغير هؤلاء ذادت عن حُرمة الإسلام وبيضته، ونشروا الدين في الآفاق، من ينكر خدمات هؤلاء لهذا الدين؟!

لماذا إذن هذه المعركة التي يقيمها بعض الناس بين العرب وغيرهم، وبين العروبة والإسلام؟! وقد جاء الإسلام ليجمع الجميع على كلمة لا إله إلا الله، جاء ليجمع الناس على كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

**العربي يعتز بالإسلام:**

الإسلام هو الذي جعل العرب ينتشرون في الأرض، ينشرون هذا الدين، وجعل لهم رسالة يعتزون بها أمام القوى الكبرى في العالم، من منا ينسى موقف ذلك العربي من الصحابة ـ ربعي بن عامر ـ أمام رستم قائد قواد الفرس، وقد دخل عليه ببساطته وبداوته، ووقف أمام هذا الرجل بهيله وهيلمانه، وخدمه وحشمه، وزينته وذهبه، وسجاجيده إلى آخره، فحينما سأله: من أنتم؟ قال: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[1].

هذا هو العربي، وهذا هو تاريخ العرب الذي ينبغي أن يعتز به كل عربي، إذا كانت العروبة هي اللغة والتاريخ فهذا هو التاريخ، بماذا يعتز العربي؟ أيعتز بامرئ القيس، ويعتز بحرب البسوس، ويعتز بداحس والغبراء؟! أم يعتز بمحمد ﷺ، ويعتز بأبي بكر وعمر، ويعتز بغزوة بدر وفتح خيبر وفتح مكة، ويعتز بالفتح الإسلامي الذي كان فتح عدل ورحمة، ولم يكن فتح استعمار ولا غزو للأسواق، كان فتحًا لإعلاء

(١) رواه الطبري في تاريخه (٣/٥٢٠).

QaradawiBooks.com

كلمة الله، لتكون كلمة الله هي العليا؟ بماذا يعتز الإنسان المسلم؟ إنه يعتز بتاريخ الإسلام.

كان العربي قديمًا يعتز بانتمائه إلى هذا الدين، ويقول قائلهم:

**أبـي الإسـلامُ لا أبَ لي سـواهُ إذا افتخـرُوا بقيـسٍ أو تميمِ**[١]

وروى الحاكم في مستدركه: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو في خلافته، كان متوجهًا إلى الشام؛ فقابلته مخاضة، فشمَّر عن ساقيه وخاض هذه المخاضة، فقال له أبو عبيدة وكان قائد جيوش المسلمين في الشام هناك: يا أمير المؤمنين، ليتك لم تفعل هذا، لأن هؤلاء القوم ملوك القسطنطينية وملوك الروم يعرفون الأبهة والمظاهر، فما كان لك أن تفعل هذا. فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ كنت أحب أن تصدر من غيرك؛ فأنت أمين هذه الأمة، نحن كنا أذل قوم؛ فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغيره أذلَّنا الله[٢]. هذا هو شأن الإنسان العربي الحق، إنه يعتز بالإسلام.

## المسلم يعتز بالعروبة:

والمسلم الحق يعتز بالعروبة أيضًا، يعرف أنَّ العروبة هي وعاء الإسلام، والعربية هي لسانه، وأرض العرب هي حرمه ومعقله، وأن العرب هم عصبة الإسلام، ينبغي أن يكونوا دائمًا في مقدمة الصف للدفاع عن الإسلام، هذا هو شأن الإنسان المسلم، يعتز بالعرب ويحبهم ويقدرهم، فاللغة والتاريخ لا معنى لهما بغير الإسلام.

---

(١) هو نهار بن توسعة، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٥٢٨/١)، نشر دار الحديث، القاهرة.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

**العربي غير المسلم:**

بعض القوميين يقولون: ماذا تفعلون في العربي غير المسلم، والمسلم غير العربي؟

ونقول لهؤلاء: أمَّا العربي غير المسلم فتجمعنا به الأخوة القومية، نحن وإياه من قوم واحد، إنه بحكم الدار والثقافة ينبغي أن يكون ولاؤه للإسلام، ولا عجب أن نعتبر أخوتنا بيننا وبين هؤلاء أخوة قومية، بعض الناس ينكرون هذا، فقلت لبعضهم: ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]؟ كيف أثبت الأخوة وهم كفار مكذبون لرسولهم؟ إنها الأخوة من الناحية القومية، أنهم قومه وهو منهم، فأثبت الأخوة بينه وبينهم، فهذا النوع من الأخوة لا مانع منه.

هؤلاء كما قال بعض المخلصين منهم، مثل الزعيم القبطي مكرم عبيد قال: أنا مسلم وطنًا[1]. أي بحكم وجودي في وطن الإسلام ودار الإسلام، وقال بعض النصارى الشام: أنا مسلم ثقافة وحضارة. أي بحكم تثقفي بثقافة الإسلام وعيشي في ظل حضارة الإسلام أنا مسلم، وكان بعضهم أشد دفاعًا عن الشريعة الإسلامية من بعض المسلمين الذين ينتمون إلى الإسلام مجرد دعوى!

كان فارس الخوري من أكبر القانونيين في سوريا، ورئيس الوزراء في ذلك الوقت: من أشد المتحمسين لتطبيق الشريعة الإسلامية، ويرى أن العرب لا يمكن أن تسلم حياتهم من الخلل والاضطراب، وانتشار الرذيلة والجريمة؛ إلا بتطبيق الشريعة، وله في ذلك أقوال نقلتها في

(١) صحيفة الوفد، عدد ٢١ يناير ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

بعض كتبي[1]، فلماذا تجعلون من العربي غير المسلم مشكلة؟ والإسلام يأمر بأن يكون لهؤلاء ما لنا، وعليهم ما علينا ـ أي في الجملة ـ إلا ما يتصل بالناحية الدينية.

## المسلم غير العربي:

وأمَّا المسلم غير العربي؛ فإنَّ الإسلام عرَّب عواطفه، وعرَّب ثقافته، فهو عربي العاطفة عربي الثقافة، انظر إلى المسلمين في أنحاء الأرض: في الهند وباكستان، وبنجلاديش وأفغانستان، وتركيا وفي أفريقيا وغير ذلك؛ تجدهم يحبون العرب ويقدرونهم إلى حد يكاد يكون تقديسًا، وقد رأينا من ذلك العجب العاجب، إذا رأوا عربيًّا التفوا به، وتبركوا به؛ لأنَّ هذا قريب رسول الله ﷺ، وجاء من الأرض المقدسة، هكذا ينظرون إلى العرب، حتى بعض العرب الذين ربما ذهبوا إلى تلك البلاد لملذاتهم يستنكرون عليهم هذا يقولون: هل أنت عربي حقًّا؟! هل جئت من مكة؟! هل جئت من الأزهر؟!

المسلمون غير العرب عرَّب الإسلام عواطفهم، كما عرَّب ثقافتهم أيضًا، وكثير منهم يعرفون العربية معرفة جيدة، وبعضهم يعرف من العربية ما يصحح به عبادته، كما ذكر الشافعي في كتاب (الرسالة)، أن على كل مسلم أن يتعلم من العربية ما بلغه جهده؛ ليقيم صلاته، ليستطيع التسبيح والتكبير، وقراءة الفاتحة والتشهد ونحو ذلك، ثم يتسع ما هيأ الله له بعد ذلك، هذا هو شأن العربي المسلم، والمسلم غير العربي.

---

(١) انظر كلامه في كتابنا: بينات الحل الإسلامي صـ٢٣٧ ـ ٢٤١، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ورسالتنا: الأقليات الدينية والحل الإسلامي صـ٧٠ ـ ٧٦، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

إذن ليس هناك تناقض بين العروبة والإسلام؛ إلا إذا كانت العروبة عروبة لا دينية، تتنكر للإسلام وتقاومه، وتحاربه كما رأينا في بعض الأوقات، رأينا أولئك الذين يريدون تغريب المجتمع باسم القومية، أي قومية عربية هذه التي تريد أن تسلخ المجتمع من ذاتيته، وتجعله جزءًا من الغرب؟ هل هذه عروبة؟ هذا تغريب وليس بتعريب، أو يريدون مركسة المجتمع، أن يكون مجتمعًا ماركسيًّا أيام سطوة الماركسية، والآن والحمد لله أذهب الله ريحها وأدال دولتها.

### ماذا يطلب العرب من المسلمين؟

ماذا يطلب العرب من المسلمين؟ وماذا يطلب المسلمون من العرب؟ وماذا يطلب الإسلام من العرب والمسلمين جميعًا؟

أما العرب فلا أظنهم يطلبون من المسلمين شيئًا يُذكر، كل ما يُطلب من المسلمين: أن يزدادوا تعلمًا للغة العربية، وكثير منهم يتعلمونها، ولهم مدارس في أنحاء الأرض تُعلم العربية، تحتاج إلى بعض العون، والعرب لا يقدمون العون للأسف! كل العالم يحاول أن ينشر لغته، وينفق على ذلك، والعرب لا ينفقون على لغتهم، مع أن هناك من يتقرب إلى الله بتعلم هذه اللغة.

نقول: على المسلمين أن يكونوا معنا في قضايانا. وهم معنا من غير أن نطلب منهم ذلك، هم يتحمسون لقضية فلسطين أكثر مما يتحمس لها العرب، وفي بعض الأوقات حينما نادى المنادي بالجهاد كان إخواننا من البلاد الإسلامية غير العربية أول من يتحمس؛ ليسلك نفسه مع المتطوعين للدفاع عن المسجد الأقصى، وفي سنة ١٩٦٧م. كانت الجاليات غير العربية من المسلمين هنا في قطر من أشد الناس حماسًا، ووقفوا طوابير يطلبون الدفاع عن بيت المقدس، عن أرض النبوات.

QaradawiBooks.com

## ماذا يطلب المسلمون من العرب؟

أما ماذا يطلب المسـلمون من العرب؟ فهم يطلبـون منهم الكثير، يطلبون منهم أن يعودوا كمـا كان آباؤهم وأجدادهـم، أن يعودوا جندًا للإسـلام، ودعاة لهذا الدين، كما كان ربعي بن عامر وغيره، أن يجعلوا هذا الدين أساس حياتهم. إنَّ بعضهم يأتون إلى بلاد العرب ويقولون لنا: أنتم أبناء الصحابة، أنتم الذين نقلتم الإسـلام إلينا وأدخلتمونا في دين الله، أنتم الذين نقلتمونا من الجهالة إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الشـرك إلى التوحيد، آباؤكم فعلوا ذلك، فعليكم أن تستمروا في مسيرتهم، وأن تحملوا رسـالتهم، عار علينا أن نذكركم بالإسلام وأنتم أهله، وأن ندعوكم إلى الإسلام وأنتم حماته. هكذا يقولون لنا!

المسلمون من غير العرب في كل مكان يطلبون منا أن نتمسك بالإسلام، وأن نعض على الإسلام بالنواجذ، وأن يكون الإسلام محور حياتنا.

كما يطلب المسـلمون من العرب أن يكونوا مع القضايا الإسلامية حيثما كانت هذه القضايا، للأسف في بعض الأوقات وقف العرب ضد بعض القضايا الإسـلامية، وقفوا مـع الاتحاد السـوفيتي ضد الأفغان، ووقفوا مع الهند ضد باكسـتان، ووقفوا مع هيلاسلاسـي ضد إرتيريا، ووقفوا مع ماركوس ضد المسـلمين في الفلبين، هذا ما يحكيه تاريخنا المعاصر للأسف.

## ماذا يطلب الإسلام من العرب والمسلمين؟

أمَّا ما يطلب الإسـلام من العرب والمسلمين جميعًا؛ فهو يطلب منهم أن يكونوا لهذا الدين أنصارًا، أن يكونوا أنصار الله، أن يبلغوا رسالته في العالمين.

QaradawiBooks.com

اليهودية وجدت لها من يذود عنها، ويقيم لها دولة في قلب ديارنا، والنصرانية وجدت من ينشرها في العالم حتى طمعوا فينا نحن، وأقاموا المؤتمرات من أجل تنصير المسلمين في العالم، وأنشؤوا لذلك المعاهد، ورصدوا لذلك المليارات، وكل مذهب وجد له أنصارًا؛ أفلا يجد الإسلام أنصارًا من أبنائه؟

الإسلام يطلب منا أن نحمل رسالته إلى العالمين، نحن مسؤولون عن ضلال الأمم في هذا العالم المعاصر، عن الذين لم تبلغهم رسالة الإسلام بلوغًا يحمل على النظر، ويشوق إلى البحث، إنما بلغتهم بلوغًا شائهًا، وأكدنا نحن هذا التشويه بسلوكنا، وقال من قال منهم: إذا كان الإسلام كما تقولون في كتبكم؛ فلماذا أنتم على غير ما يدعو إليه الإسلام؟ ولماذا لا تطبقونه في أرضكم؟

مطلوب منا نحن جميعًا أن ننصر الإسلام، أن ننصر الله لينصرنا الله.

يا أيُّها الإخوة، إنَّ على المسلمين جميعًا أن يصطلحوا مع الله تعالى، وأن ينصروا الله لينصرهم، آن للعرب أن يراجعوا أنفسهم، وآن للمسلمين جميعًا أن يراجعوا أنفسهم، ويستمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها، أن يعود الجميع إلى الله، وإلى دين الله؛ لينشروا هذا الإسلام في العالم، وبذلك تعلو كلمة الله، وترتفع راية القرآن، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢ ـ ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

٢٠

# حال البشرية قبل الإسلام

غير مرخصة للطباعة

## الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نتحدَّث عن أعظم شخصية في هذا الوجود، عن خِيرة الله في خلقه، عن صفوة رُسُله وخاتم أنبيائه محمدٍ ﷺ، هذا النبي الكريم الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فكان الرحمة المهداة والنعمة المسداة، والسراج المنير.

أرسله ربه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ومبشرًا للمؤمنين بأنَّ لهم من الله فضلًا كبيرًا. ما أحوجنا نحن المسلمين إلى أن نعايش رسولَ الله ﷺ، في سيرته الطيبة الطاهرة، في جهاده لنشر دعوته وإعلاء كلمة ربِّه، في مصاحبته لأهله ولأصحابه، ومعاملته لأعدائه.

ما أحوجنا أن نعيش مع سيرته ﷺ، ومع رسالته ﷺ؛ لنعرف ماذا قدَّم للدنيا، وماذا قدَّم للإنسانية!

نسخة مجانية

### لا يعرف قيمة النور إلا من عرف الظلام:

ولا نعرف ذلك إلَّا إذا عرفنا ماذا كان عليه الحال قبل بعثة محمد ﷺ، لا يعرف النور إلا من عرف الظلام، وبضدها تتميَّز الأشياء، والضد يُظْهِر حسنه الضدُّ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنَّما تنقض

عُرى الإسلام عُروة عُروة، إذا نشأ في الإسلام مَن لا يعرف الجاهليَّة[1]. من لا يعــرف الجاهلية، وماذا كان فيها من ضلال فــي العقيدة والفكر، والسلوك والتشريع، وفي كل جوانب الحياة.. لا يعرف ماذا قدَّم الإسلام، وماذا أخَّر الإسـلام، ومن هنـا كان علينـا أن نعرف مـاذا كانت عليه الجاهلية: الجاهليةُ العربية، والجاهلية العالمية.

## ضلال الأمم قبل الإسلام:

كان العالَم كلــه في جاهلية جهلاء، وفي ضلالــة عمياء، اختلط فيه الحق بالباطل، ولم يعرف الناس لهم غاية، ولم يتضح لهم طريق، حتى الديانات والكتابات السماوية حُرِّفت وبُدِّلت، فلم يبقَ هناك دين صحيح، ولا كتاب سماوي صحيح سالم من التحريف والتبديل. الوثائق الإلهية التي أنزلها الله تعالى لهداية البشرية حرَّفها المحرفون وبدَّلها المبدِّلون، فزادوا ونقصوا، زادوا ونقصوا من الناحية اللفظية، ومن الناحية المعنوية، تحريف بالتغيير اللفظي وبالتغيير المعنوي، أي: بإساءة التفسير والتأويل، وإخراج الألفاظ عن مقاصدها ودلالتها.

## تحريف أهل الكتاب:

لم تعد اليهودية صالحة ولا النصرانية صالحــة، لم تعد التوراة كما أنزلها الله، ولا الإنجيل كما أنزله الله، بل الإنجيل الذي أنزله الله فُقِد منذ زمن، ولم يعد هناك إلا أناجيل منســوبة إلى أصحابهــا، إلى مصنفيها ومؤلفيهــا، بقيت أربعة أناجيل من نحو ســبعين إنجيــلًا أو أكثر، كلها حُرِّفت عن معانيها الأصلية.

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٤/٥٩٠)، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

الله جل جلاله لم يعد هــو الله؛ كما يجب أن يعرفه البشــر، الخالق المكون المدبر، بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، الواحد الذي لا شريك له، ولا ندَّ له، ولا مِثل له، لم يلد ولم يُولَد، ولم يكن له كفوا أحد، لم يعد هذا الإله كمــا ينبغي أن يُعرف، حرَّفته التــوراة، وحرَّفته الأناجيل، وحرَّفته الديانات المختلفة.

## تحريف التوراة:

الله في التــوراة وثن، إله كأنَّه بشــر، يخلق آدم ثم يحســده ويغار منه، ويحرِّم عليه الأكل من الشــجرة؛ لأنَّه إذا أكل منها عرف، يود المعرفة، ولا يريد الله أن يشاركه أحد في المعرفة! فحسدًا له.. منعه من الأكل من الشجرة!

ويدخل الإله الجنة فيقترب آدم منه، ولا يعرف الإله أنه آدم فيناديه! إلى آخر ما ذُكِر في التوراة.

إسرائيل يصارع الربَّ فيصرعه ويغلبه! ولم يكن يعرف أنَّه الرب، فلما عرف أنه هو قال: لا أدَعك تفلت مني حتى تبارك في ذريتي! وهكذا.

الأنبياء في التوراة كلهم أصحاب كوارث، ما بين شارب خمر وزانٍ ومعتدٍ على جاره، إلخ! الأنبياء الذين هم قدوة البشــر وأسوة البشر! لم يعد هناك كتاب صالح لهداية البشر.

كانت هذه الكتب الســماوية كُتُبًا مرحلية، فلــم يتكفل الله بحفظها، استحفظها الربانيين والأحبار والرهبان، استحفظها أهلَها؛ فلم يحفظوها!

## أوهام الوثنية وخرافاتها:

كانت الوثنية قد ســادت البشــر في كل أنحاء العالم، كان في الهند وقتها أكثر من ثلاثمائة مليون إله، أكثر من ثلاثمائة مليون صنم، تعبدها الناس، صوَّروها ونحتوها.

QaradawiBooks.com

كان كل شيء جميل وكل شيء نافع: يُعتبر إلهًا يعبده الناس. وفي بلاد العرب هناك من عبد الشمس، كما كانت سبأ، وهناك من عبد القمر، وهناك من عبد الكواكب كالصابئة، وهناك من عبد الحيوانات، وهناك من عبد الأصنام والأوثان.. ينحتونها ثم يعبدونها، يعبدون ما ينحتون، يعملونها بأيديهم ثم يَخِرُّون لها ساجدين.

أحيانًا يصنعونها من العجوة، ثم إذا جاعوا أكلوها، وهي التي أشار إليها القرآن بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

إن يسلب الذباب هذه الآلهة من الحلوى أو من العجوة، إذا سلب هذا الذباب شيئًا، أو أكل منه شيئًا.. لا تستطيع أن تسترده، ولا أن تنقذه. ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣ ـ ٧٤].

## فساد المعتقدات والأخلاق:

فسدت معتقدات البشر، وفسدت أخلاق البشر، وفسدت أنظمة البشر. انظروا إلى الحياة في جزيرة العرب كيف فسدت الأخلاق، وكيف فسدت العواطف الإنسانية، والمشاعر النبيلة، أعظم عاطفة هي عاطفة الأبوة والأمومة، أنبل المشاعر الإنسانية رأينا كيف أفسدت الجاهلية هذه المشاعر، حتى رأينا الأب يقتل ولدَه وفلذة كبده؛ من إملاق واقع، أو خشية إملاق متوقَّع، من أجل الفقر، أو خوفًا من الفقر.. يقتل ولده!

QaradawiBooks.com

أحيانًا يقتلون الأبناء الذكور، وأحيانًا يقتلون البنات، وأكثر ما كانوا يقتلون البنات؛ يقتلونهم من أجل لقمة الخبز، يريد الأب ألَّا يشاركه أحد في لقمته! فهو يقتل أولاده، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]. ولذلك كانوا يضيقون ذرعًا بولادة البنات؛ لأن البنات لا يسعين للرزق، كانوا يعتبرونهن عالة عليهم، ولهذا لم يكن يفرح بالبنت إذا وُلدت.

قيل لأحدهم: إن امرأتك ولدت.

قال: وما ولدت؟

قالوا له: أنثى.

قال: ما هي بنعم الولد؛ نصرها بكاء، وبرُّها سرقة. أي: إنها إذا نصرتني لا تنصرني إلا بالصراخ والبكاء، لا بحمل السلاح، وإذا برتني تبر من مال زوجها، تسرق من مال زوجها؛ فليس لها مال.

هكذا كانوا ينظرون إلى البنت، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ يتردَّد، ويسائل نفسه ويكثر التَّساؤل: أيقبل الأمر الواقع ويمسك هذا المولود الجديد على هوان ومذلة ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ ويتخلص منه؟ ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]، وبئس ما يفكرون، وبئس ما يصنعون، ليسوا هم الرازقين: لا للأبناء، ولا للبنات، ولا لأنفسهم، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وينتهي بهم التفكير إلى أن يغلبَ الجانب الأسود القاتم على الجانب المضيء، ويغلبَ التفكير الشرير على التفكير الخير، فيمتد الشر ويقتل الأب ولده أو ابنته!

QaradawiBooks.com

## جريمة القتل جريمة بشعة:

انظروا: إنَّ القتل في ذاته جريمة بشـعة؛ لأنَّه هدم لبنيان الله تعالى، كيف يقتل الإنسـان نفسًـا زكية بغير نفس؟ القتل إذا كان بغير نفس أو فساد في الأرض هو اعتداء على الإنسانية كلِّها، كما ذكر القرآن: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

القتل جريمة بشعة، ولكنه يكون أبشـع إذا كان لقتل بريء لا يدفع عن نفسه، لا يستطيع أن يمد يدًا، ولا يستطيع أن يحمل سلاحًا.

قتل الأطفال جريمة كبيرة، ولهذا نهى الإسلام، مهما اشتعلت نيران الحرب ومهما اقتتل المسلمون وأعداؤهم: نهاهم أن يقتلوا الأطفال، أو يقتلوا الشيوخ، أو يقتلوا النساء، لا قتل ولا قتال إلا لمن يقاتل.

قتل الطفل البريء جريمة أي جريمة، القتل في ذاته جريمة بشـعة، ولكن جريمتها تتفاقم حينما يكون المقتول طفلًا، لا حول له ولا طول، ولا قدرة له على الدفاع عن نفسه.

وتكون الجريمة أبشـع وأبشـع؛ إذا كان الذي يقتل الطفلَ هو أباه، الأب الذي يُفترض أن يدافع عن طفله ويحمي عنه، ويذود عنه بالنفس والنفيس، ويفديه بالغالي والرخيص، هذا الأب يتقدم ليقتل ولده وفلذة كبده! أي جريمة؟! أي قتلة؟! أي وحشـية؟! أيُّ قلب أُودِع صدر ذلك الإنسـان الذي يتقدَّم ليقتل ولده، ليقتل ابنته، ليقتل من يُظنُّ أن يكون مهجة القلب وقرة العين؟ أي جريمة، أي وحشـية تلـك التي صنعتها الجاهلية؟! ولكن هكذا فعلوا!

QaradawiBooks.com

ومن ناحية رابعة: تشتد بشاعة هذه الجريمة حينما نعرف أنَّ الدافع إلى هذا القتل هو المشاركة في لقمة العيش، أنه يقتله لأنه جاء يزاحمه في مطعمه ومشربه ولبسه! يا لله ماذا أصاب الإنسان؟! إنَّ الأب يجوع ليشبع ابنه أو لتشبع ابنته، يصبر على الطوى وعلى عضة الجوع، يترك اللقمة ليطعمها أطفاله، أي أب هذا الذي يهون عليه أن يقتل طفله من أجل أنه يخاف أن يزاحمه في العيش، أن يزاحمه في اللقمة؟! وهذا ما صنعته الجاهلية.

ثم بشاعة خامسة بعد هذا: لو كان يقتله بالسيف أو بالرمح لكان الأمر أهون، ولكنها جريمة بشعة: طريقة القتل، أي قتل هو؟ إنه الوأد، إنها الحفرة، يحفرها الرجل بيديه ثم يأتي بطفله ليودعه التراب.

وكثيرًا ما رووا: أنَّ الأب كان يحفر الحفرة والغبار يتطاير عليه؛ فتأتي ابنته فتمسح الغبار عن لحيته، ولا تدري أنَّ هذه الحفرة ستُقتل فيها بعد لحظات!

**إفساد الجاهلية للعقول والقلوب:**

ماذا صنعت الجاهلية؟! الجاهلية أفسدت عقل الإنسان؛ فجعلته يعبد ما ينحت، يعبد الحجارة التي ينحتها بيده، ينحتها ثم يقف أمامها راكعًا خاشعًا، ضارعًا طالبًا سائلًا، أي عقل هذا؟! فسد العقل، وفسد القلب، وماذا يبقى من الإنسان إذا فسد عقله وقلبه؟

إذا فسد فكره وفسدت عاطفته ماذا يبقى من الإنسان؟ هكذا كانت الجاهلية قبل أن يأتي محمد ﷺ.

فسد الأب عقليًّا وعاطفيًّا، فسدت الأسرة، لقد كان الظلم هو السائد، والتقاليد الجاهلية.

QaradawiBooks.com

## ظلم الرجال للمرأة في الجاهلية:

المرأة في الأسرة كانت شيئًا من الأشياء، تُورَث ولا ترث، يموت الرجل، فيرث ابنُه بيته ومتاعه، ويرث مع ذلك زوجة أبيه، كما يرث الإبلَ والغنم يرث زوجة أبيه. فإن كانت حسناء ورغب فيها أمسكها وتزوَّجها، وإلَّا ضيَّق عليها وضارَّها وآذاها لتفتدي منه، تدفع له إتاوة حتى تستطيع أنْ تتزوج من غيره!

كانت الجاهلية تجيز النكاح من زوجات الآباء، وهو ما حرَّمه القرآن حين قال: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، كانت هذه منزلة المرأة، كان الأب يزوِّج ابنته من يريد، يجبرها على أن تتزوج من يريد هو، لا من تريد هي، قبل أن يأتي الإسلام ويجعل للمرأة الخيار، ويوجب على الأب أن يأخذ رأيها، فإمَّا أن تتكلم بصريح العبارة، وإما أن يكفي صمتها إذا كانت بكرًا.

كانت الجاهلية تظلم النساء، وتظلم الصغار، لم يكن يرث من الأب إذا مات، ولم يكن له حظ في تركته إلا الرجال الكبار، الذين يستطيعون أن يحملوا السلاح، ويمتطوا صهوة الجواد، أمَّا النساء فلا حظ لهن في الميراث، صغارًا كُنَّ أم كبارًا، وأما الصغار والأطفال ومن دون البلوغ فلا حظ لهم في الميراث؛ ذكورًا كانوا أم إناثًا.

QaradawiBooks.com

**اعتصار حق الضعيف:**

هكذا كانـت الجاهلية، كان الظلـم في المجتمع كلـه، كان القوي يعتصـر الضعيف اعتصارًا، الغنــي لا يبالي بالفقيـر، الرقيق من العبيد والإماء كأنهم ماشية، لا قيمة لضعيف في المجتمع، الغني يرابي بماله، الربا كان أضعافا مضاعفــة، الدرهم الواحد ربما صــار دراهم بعد عدة سنوات، لأنه إذا لم يستطع أن يسدد دينه في أجله وفي موعده؛ قال له: إما أن تدفع، وإمــا أن تُرْبِي، يمد له في الأجل، ويزيــد عليه في الربا، حتى يستغرق ذلك المال، ويخرب البيوت!

لم يكن هناك حقٌّ، لا معلوم ولا غير معلوم، والمال للأغنياء لا للفقراء، ولذلك كان الفقراء ضائعين، وكان الضعفاء مسحوقين في ذلك المجتمع.

**انهيار الأخلاق:**

كانت الأخلاق منهارة، الزنى منتشر، الخمر منتشرة، مجالس الخمر يروِّجها أولئـك الفاسـقون والماجنـون، والمتاجرون بعقـول الناس وأبدانهم، وأموالهم وأقواتهم وروابطهم، كما نرى في كل عصر، اليهود وأشباه اليهود كانوا يروِّجون هذه السموم، وكان العرب مولعين بالخمر، كان لها عندهم أكثر من مائتي اسـم: الخمر، والصباح، والمدام، وبنت العنقود... إلخ.

وطالما وصفوا مجالسـهم، وصفـوا أقداحها، ووصفـوا ندماءها، ووصفوا ووصفوا، هكذا كان العرب في الجاهلية.

المرء فسـد، والأسـرة فسـدت، تحطمت روابطها، المجتمع فقد تماسـكه، العصبية هي التي تحكم الناس، العصبيــة القبلية، أي أن كل

QaradawiBooks.com

واحد يتعصب لقبيلته في الحق وفي الباطل: انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا. هكذا كان شعارهم، قبل أن يعدِّل مفهومَه النبي ﷺ، أي: إذا نادى منادٍ في القبيلة غضب له آلاف السيوف، يخرجون معه للقتال في صفه؛ سواء كان على حق أم على باطل، هكذا كانت العرب.

**لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا**[1]

وكانوا يقتتلون لأتفه الأشياء من أجل هذه العصبية، من أجل ناقة كانت الحرب أربعين سنة بين بكر وتغلب، ودامت الحرب سنين طوالًا بين عبس وذبيان من أجل بعض الخيل، وكانت الحروب دائمة بينهم، من أجل ماذا؟ من أجل أشياء تافهة. وكان هناك من يوقد نيران هذه الحروب ليستفيدوا منها.

هكذا كانت الجاهلية قبل أن يأتي محمد ﷺ، فلما أتى ﷺ صنع الكثير: أخرجهم من الضلال إلى الهدى، الله وصف العرب في جاهليتهم بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، ضلال مبين في كافة النواحي.

ومن درس الجاهلية يعرفون كيف كان هذا الضلال، كانوا على شفا حفرة من النار، فأنقذهم منها.

## العرب هبة الإسلام:

المؤرخ اليوناني القديم ديودور الصقلي زار مصر، وكتب عنها كتابًا؛ فقال عن مصر هذه الكلمة، التي توارثها المؤرخون: مصر هبة النيل. أي: لولا النيل ما كانت مصر وحضارتها، وخصوبتها وموقفها في التاريخ.

---

(١) من شعر قريط العنبري، وقد أغارت بنو شيبان على إبله، فاستنجدهم فلم ينجدوه، وكان فيهم ضعف، فقال فيهم ما قال. انظر: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (٢/٩٦)، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

ونحن نقول: العرب هم هبة الإسلام، ولولا الإسلام ما كان العرب، من الذي جمعهم من شتات؟ وأحياهم من موات، وأيقظهم من سبات، وهداهم من ضلالة، وعلَّمهم من جهالة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، من ظلمات الوثنية إلى نور التوحيد، من ظلمات الفوضى إلى نور النظام، من ظلمات التعبد للعباد إلى التعبد لله وحده، من جور الأديان والظُّلَّام إلى عدل الإسلام، ما الذي صنع بهم هذا كلَّه؟ إنه الإسلام.

انتقلوا من الجاهلية إلى حياة العلم والهدى والنور، نوَّر الإسلام عقولهم، ونوَّر قلوبهم، ونوَّر حياتهم، نقلهم من رعاية الغنم إلى رعاية الأمم، صاروا به خير أمة أخرجت للناس. صانع هذا هو رسول الله ﷺ.

أيُّ عربي يعتز بغير الإسلام يخون نفسه، ويخون تاريخه، ويخون هويته، ويخون دينه.

الإسلام هو صانع العرب، صانع تاريخهم، صانع حضارتهم، صانع وحدتهم، وهو وحده القادر على أن يصنعهم من جديد كما صنعهم من قديم، هذا هو الإسلام.

يا أيُّها الإخوة، إنَّ الحديث عما صنعه رسول الله ﷺ في هذه الأمة لا تتسع له خطبة ولا خطبتان ولا ثلاث، ولكن يحتاج إلى حديث طويل، لعلَّنا نعود إليه، ولكن علينا أن نعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى أكرمنا بمحمد ﷺ؛ فعلينا أن نذكر هذا ونشكر هذه النعمة، كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ۝ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

QaradawiBooks.com

## مكارم الأخلاق النبوية:

نعمة الإسلام محمد ﷺ، يتلو عليكم آيات الله، ويعلمكم الكتاب والحكمة بعد أن كنتم أميين لا تقرؤون ولا تكتبون، ويزكيكم ويطهركم وينميكم، يطهركم من الرذائل، ويحلِّيكم بالفضائل: فضائلِ الإسلام، يتمِّم فيكم مكارم الأخلاق، هذا هو محمد ﷺ.

رأى أحد قواد الفرس مجموعة من المسلمين في الحرب، رآهم صفوفًا منتظمة خلف إمامهم، كأنَّ على رؤوسهم الطير، لا فرجة بين مصلٍّ وآخر، لا ثغرة في الصف، لا اعوجاج، فقد علموا أن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة، وأنَّ الله لا ينظر إلى الصف الأعوج، فوقفوا صفوفًا متراصة كصفوف الملائكة، إذا كبَّر الإمام كبَّروا، وإذا ركع ركعوا، وإذا سجد سجدوا، وإذا قرأ أنصتوا، رآهم هذا الفارسي، رآهم بعد أن توضؤوا وتنظفوا وأصبحوا كالشامة بين الأمم، فقال هذا القائل: أكل كبدي عمر، أكل كبدي ابن الخطاب، لقد علَّم هؤلاء مكارم الأخلاق.

ونسي هذا الفارسي أنَّ الذي علَّم هؤلاء وعلَّم عمر مكارم الأخلاق؛ إنما هو محمد ﷺ، الذي قال عن نفسه ونفَّذ المهمة البارزة في رسالته حينما قال: «**إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**»(١).

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المقتدين برسوله، السائرين على دربه، المهتدين بهداه، الداعين بدعوته، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

---

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

## الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيها الإخوة المسلمون:

فقد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له، ولعلَّها تكون هذه الساعة[1].

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شر.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خِزْي الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عبادَ الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وأقم الصلاة.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوسُوعَةُ الأعمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإمَامِ
يُوسُف القَرضَاوِي

# الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# فهرس الآيات القرآنية الكريمة

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة البقرة** | | |
| ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ | ٩ | ١٥٤ |
| ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ | ١١ | ٢٨، ٢٩ |
| ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ | ١٢ | ٢٨، ٢٩ |
| ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ | ١٤ | ١٥٤ |
| ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾ | ٢٧ | ٤، ٥٠ |
| ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ | ٣٠ | ٢٣، ١٠٥ |
| ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ | ٣٤ | ٧٦ |
| ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ | ٣٥ | ٧٣ |
| ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ | ٣٧ | ٧٤، ٢٦١ |
| ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ | ٤٠ | ٢٣٩ |
| ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ | ٦٠ | ٢٥، ١٠٥ |
| ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ | ٦٣ | ٢١٠ |
| ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ | ١١٣ | ٩٦ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ | ١٤٣ | ٢٠٥، ٢٢٠ |
| ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ | ١٤٤ | ٣٠٩ |
| ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ | ١٥١ | ٣٣٢ |
| ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ | ١٥٢ | ٣٣٢ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ | ١٧٢ | ١٨١ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ | ١٨٣ | ١٦٤، ١٨١ |
| ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ | ١٨٥ | ٢٢٢ |
| ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ | ١٨٧ | ١٨٦ |
| ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ | ١٩٥ | ١٣٤ |
| ﴿ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ | ٢٠٤ | ٤، ٥٥ |
| ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ | ٢٠٥ | ٤، ٥٥ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ | ٢٠٨ | ٨٧ |
| ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا ﴾ | ٢١٦ | ٨٨ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ | ٢٢٢ | ٢٦٢، ٢٦٩ |
| ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ | ٢٢٨ | ١٨٧ |
| ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ | ٢٢٩ | ١٨٧ |
| ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ | ٢٣٣ | ١٨٧ |
| ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ | ٢٥٥ | ٣٩ |
| ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ | ٢٥٦ | ٩٦ |

غير مرخص للطباعة

نسخة مجانية

| الآيـــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ | ٢٧٦ | ١٨٣، ١٨٤ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ | ٢٧٨ | ١٧٧ |
| ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ | ٢٧٩ | ١٧٧، ٢٩٥ |
| ﴿ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ | ٢٨١ | ٢٨٦ |
| ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ | ٢٨٥ | ٩٢ |
| **سورة آل عمران** | | |
| ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ | ٥٤ | ١٤ |
| ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ | ٦٤ | ٩٤، ٢٦٨ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ | ١٠٠ | ١٥٣ |
| ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾ | ١٠١ | ١٥٣ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ | ١٠٢ | ٢٢٦ |
| ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ | ١٠٣ | ١٥٣ |
| ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ | ١١٠ | ٢٠٨ |
| ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ | ١٣٩ | ٢١٢ |
| ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ ﴾ | ١٤٦ | ٢٥٩ |
| ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ | ١٤٧ | ١٤١، ١٧٢، ١٨٨، ٢١٥، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٧١، ٣٣٤ |
| ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ | ١٥٢ | ٢٥٢ |
| ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ | ١٥٤ | ٨٤ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ | ١٦٥ | ٢٥١، ٢٥٦ |
| ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ | ١٦٩ | ٥٥ |
| ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ | ١٧٠ | ٥٥ |
| ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ | ١٧٥ | ٢٣٩ |
| ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ | ١٨٢ | ٢٨٦ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ | ٢٠٠ | ٦٦ |
| **سورة النساء** | | |
| ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ | ١٠ | ٢٣٩ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ | ١٩ | ١٨٦، ١٨٧، ٣٢٩ |
| ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾ | ٢٢ | ٣٢٩ |
| ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ | ٢٨ | ٦٨ |
| ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ | ٢٩ | ١٣٤ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ | ٤٨، ١١٦ | ٣٠٢ |
| ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ | ٥٣ | ١٢٣ |
| ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ | ٥٨ | ٩٧ |
| ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ | ٨٠ | ٢١٦ |
| ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ | ٩٠ | ٨٨ |
| ﴿فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾ | ٩١ | ٨٨ |
| ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ | ٩٧ ـ ٩٩ | ١٩٥ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ | ١٢٨ | ٢٦ |
| ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ | ١٤٢ | ٥١ |
| ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ | ١٤٣ | ٥١ |
| ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ | ١٤٨ | ٣٠٠ |
| **سورة المائدة** | | |
| ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ | ٢ | ٢٩٦ |
| ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ﴾ | ٥ | ٩٣ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ | ٨ | ٩٧ |
| ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ | ١٩ | ٩٤ |
| ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ | ٢٢ | ١٩ |
| ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ | ٢٧ | ٢٤، ١١٣، ٢٣٨، ٢٨٩ |
| ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾ | ٢٨ | ٢٤، ٢٣٩، ٢٨٩ |
| ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ | ٢٩ | ٢٨٩ |
| ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ | ٣٠ | ٢٨٩ |
| ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ | ٣٢ | ٢٨، ٦٢، ٣٢٧ |
| ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ | ٣٣ | ٢٨ |
| ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ | ٤٨ | ٩٢ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ | ٥١ | ٢٨٦ |
| ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾ | ٦٤ | ٥٥ |

| الآيــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ | ٦٨ | ٤٦ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ | ٨٧ | ١٢٧ |
| ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ | ٨٨ | ١٢٧ |
| **سورة الأنعام** | | |
| ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ | ٢١ | ٢٨٦ |
| ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ | ٣٨ | ٥٣، ١٠٦ |
| ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ | ٤٤ | ١٥، ٢٨٧ |
| ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ | ٤٥ | ١٥، ١٦، ٢٨٧ |
| ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ | ١١٦ | ٧١ |
| ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ | ١٢٧ | ٨٧ |
| ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ | ١٣٢ | ٣٩ |
| ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ | ١٥٣ | ٢٠٨ |
| ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ | ١٦٤ | ٢٨٦ |
| **سورة الأعراف** | | |
| ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ | ١٠ | ١١٥ |
| ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ | ١١ | ٧٥، ١١٥ |
| ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ | ١٧ | ٧١ |
| ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ | ٢٠ | ٧٣ |
| ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ | ٢١ | ٧٣ |

QaradawiBooks.com

| الآيــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ | ٢٣ | ١٧، ٧٤، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٨٨ |
| ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ | ٢٤ | ١٠٤ |
| ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ | ٣١ | ١١٣، ١١٨، ١٢٧ |
| ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ | ٣٢ | ١٢٧ |
| ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ | ٥٦، ٨٥ | ٢٢، ٥٢، ١٠٤ |
| ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ | ٦٥ | ٩١، ٣١٧ |
| ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ | ٧٣ | ٩١، ٣١٧ |
| ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ | ٧٤ | ١٠٥ |
| ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ | ٨٠ | ١٣١ |
| ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ | ٨١ | ١٣١ |
| ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ | ٨٥ | ٩١، ٣١٧ |
| ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ | ٨٩ | ١٠ |
| ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ | ١٧٩ | ٧٠ |
| ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ | ١٨٢ | ١٦ |
| ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ | ١٨٣ | ١٦ |
| **سورة الأنفال** | | |
| ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ | ٣٠ | ١٤٧ |
| ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ | ٣٨ | ٣٠٢ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ | ٤٥ | ٩٠ |

QaradawiBooks.com

| الآيــــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ | ٤٦ | ٢٠٧ |
| ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ | ٦٠ | ٢١١، ٢١٢ |
| ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ | ٦١ | ٩٠ |
| ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ | ٦٢ | ٢١٤ |
| ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ | ٦٣ | ٢١٤ |
| **سورة التوبة** | | |
| ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ | ٣٢ | ٣٢١ |
| ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ | ٣٣ | ٣٢١ |
| ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ | ٤٠ | ١٤٨، ١٤٩ |
| ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ | ٩٧ | ١٠٣ |
| ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ | ٩٩ | ١٠٣ |
| ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ | ١١٨ | ٣٠٤ |
| **سورة يونس** | | |
| ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ | ٢١ | ١٤ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ | ٢٣ | ١٣، ١٤، ٢٩٨ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ | ٤٤ | ١١٨، ٢٨٦ |
| ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ | ٦٢ | ٥٤ |
| ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ | ٩٠ | ٣٠ |
| ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ | ٩١ | ٣٠ |
| ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾ | ٩٩ | ٩٦ |

QaradawiBooks.com

| الآيــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة هود** | | |
| ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ | ٦ | ٢٥، ١١٥، ٣٢٦ |
| ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾ | ٩ | ٨ |
| ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ | ٦١ | ٢٣، ١٠٥ |
| ﴿يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ | ٧٨ | ١٣١ |
| ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ﴾ | ٨٢ | ١٣١ |
| ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ | ٨٣ | ١٣١ |
| ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ | ٨٥ | ١٠٥ |
| ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ | ٨٧ | ٤٨ |
| ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ | ١٠٢ | ١٣، ٢٨٧ |
| ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ | ١١٣ | ٢٩٧ |
| ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ | ١١٨ | ٩٦ |
| ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ | ١١٩ | ٩٦ |
| **سورة يوسف** | | |
| ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ | ٢ | ٣٠٩ |
| ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ | ٩ | ٢٨٩ |
| ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ | ١٠ | ٢٨٩ |
| ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ | ٢٣ | ٢٣٩ |
| ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ | ٥٢ | ٢٤٢ |

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ | ٥٣ | ٢٤٢ |
| ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ | ٧٣ | ٢٨ |
| ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ | ٨٧ | ٨ |
| ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ | ٩٠ | ٦٦ |
| ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ | ١١٠ | ١٥ |
| **سورة الرعد** | | |
| ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ | ٦ | ٢٣٠ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ | ١١ | ٢٢٧، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٨٣ |
| ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ | ١٧ | ٦٤ |
| ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ | ٢٥ | ٥٠ |
| ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ | ٢٨ | ٢٤٧ |
| **سورة إبراهيم** | | |
| ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ | ٧ | ١١٩ |
| ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ | ١٥ | ٨١ |
| ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ | ٣٤ | ٢٨٤ |
| ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ﴾ | ٤٥ | ٢٩٨ |
| **سورة الحجر** | | |
| ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ | ٩ | ١٥٦ |
| ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ | ١٦ | ٧٧ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾ | ١٩ | ١٠٤ |
| ﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ | ٢٠ | ١١٥ |
| ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾ | ٣٠ | ٧٥ |
| ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ | ٣١ | ٧٥ |
| ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ | ٤٦ | ٥٤ |
| ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ | ٥٦ | ٨ |
| ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ | ٧٢ | ١٣١ |
| ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ | ٩٢، ٩٣ | ١٩٠، ٢٣١ |
| ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ | ٩٧ | ٢٦٤ |
| ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ | ٩٨، ٩٩ | ٢٦٤ |
| **سورة النحل** | | |
| ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ | ٦ | ٧٨ |
| ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ | ٤٣ | ١٣٩ |
| ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ | ٤٤ | ٢١٧ |
| ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾ | ٥٨ | ٣٢٦ |
| ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ | ٥٩ | ٢٦٨، ٣٢٦ |
| ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ | ٦٤ | ٢١٧ |
| ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾ | ١١٢ | ١١٩ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الإسراء** | | |
| ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ | ١ | ١٨، ٨٤ |
| ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ | ١٤ | ٢٥٠ |
| ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۞ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ | ٢٦، ٢٧ | ١١٨ |
| ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ | ٣١ | ٣٢٦ |
| ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ | ٥٧ | ٢٣٠ |
| ﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾ | ٦٠ | ٤٦ |
| ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ | ٧٠ | ٩٥ |
| ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا﴾ | ٨٣ | ٨ |
| ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ | ١٠٠ | ٢٦ |
| **سورة الكهف** | | |
| ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ | ٢٩ | ٩٦ |
| ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ | ٤٩ | ٢٥٠، ٢٨٦ |
| ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ | ٥٠ | ٧٥ |
| ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا﴾ | ٥٩ | ٢٨٧ |
| **سورة مريم** | | |
| ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ | ١٢ | ٢١٠ |
| **سورة طه** | | |
| ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ | ٥٠ | ٢٢ |

QaradawiBooks.com

| الآيــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ | ٦١ | ٨١ |
| ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ | ٨١ | ٤٦ |
| ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ | ٩٦ | ٢٤ |
| ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ | ١١١ | ٨١، ٢٨٦ |
| ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ | ١١٥ | ٧٥، ٢٦٠ |
| ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ | ١٢١ | ٧٤ |
| ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ | ١٢٢ | ٧٤، ٢٦٠ |
| **سورة الأنبياء** | | |
| ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ | ١٠ | ٣٠٩ |
| ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ | ٤٧ | ٢٥٠ |
| ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ | ٨٠ | ١١٨ |
| ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ | ٨٧ | ٢٨٨ |
| ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ | ٩٠ | ٢٣٠ |
| ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ | ٩٢ | ٨٢ |
| ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ | ١٠٥ | ١١٧ |
| **سورة الحج** | | |
| ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ | ٥ | ١١٠ |
| ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ | ٦ | ١١٠ |
| ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ | ٢٨ | ٢٠٢ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ | ٢٩ | ٢٠١ |
| ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ | ٤٠ | ١٥٢ |
| ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ | ٦٨ | ٩٦ |
| ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ | ٦٩ | ٩٦ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾ | ٧٣ | ٢٦٧، ٣٢٥ |
| ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ | ٧٤ | ٣٢٥ |
| **سورة المؤمنون** | | |
| ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ | ٥ ـ ٧ | ١٢٩ |
| ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ | ١٨ | ١٠٤ |
| ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ | ٤٧ | ٧٧ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ | ٥١ | ١٨١ |
| ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ | ٥٢ | ٨٢ |
| ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ | ٩٩ | ١٩١ |
| ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ | ١٠٠ | ١٩١ |
| **سورة النور** | | |
| ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾ | ٣٠ | ١٩٧ |
| ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ | ٣٧ | ١٦٠ |
| **سورة الفرقان** | | |
| ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا﴾ | ٢١ | ٧٧ |

| الآيـــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗا﴾ | ٥٤ | ١٨٦ |
| ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ | ٥٩ | ١٣٩ |
| **سورة الشعراء** | | |
| ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ | ٦١ ـ ٦٢ | ١٤٩ |
| ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ | ٨٧ – ٨٩ | ٢٥٨ |
| ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ | ١٢٣، ١٢٤ | ٩١ |
| ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ | ١٤١، ١٤٢ | ٩١ |
| ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ | ١٥٠ ـ ١٥٢ | ٢٥ |
| ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ | ١٦٠، ١٦١ | ٩١ |
| ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم﴾ | ١٦٥، ١٦٦ | ٥٠، ١٣١ |
| ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ۝ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾ | ١٨١، ١٨٢ | ٤٨ |
| ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ | ١٨٣ | ٢٥، ٤٨، ١٠٥ |
| ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ | ١٩٣ – ١٩٥ | ٣٠٩ |
| ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ | ٢١٤ | ٢٣٥ |
| ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ | ٢٢٧ | ٥٦، ٢٩٨ |
| **سورة النمل** | | |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ | ٣٢ | ٣١ |
| ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ | ٣٣ | ٣١ |
| ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ | ٣٤ | ٣٢، ٢٤٢ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ | ٥٢ | ٢٨٧ |
| ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ | ٥٤ | ٥٠ |
| ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ | ٥٥ | ٥٠، ١٣١ |
| ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾ | ٥٦ | ٥٠ |
| ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ | ٦٠ | ٥٢، ٧٨، ١١٠ |
| ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ | ٨٨ | ١٠٤ |
| **سورة القصص** | | |
| ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ | ٤ | ٢٩، ٤٧ |
| ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ | ٨ | ٩، ٢٩٦ |
| ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ | ٢٦ | ٢٤٢ |
| ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ | ٤٠ | ٩، ٢٩٦ |
| ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ | ٨٣ | ٤٧ |
| **سورة العنكبوت** | | |
| ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ | ٢٢ | ٥٦ |
| ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي ﴾ | ٢٣ | ٨ |
| ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ | ٣٠ | ١٣١ |
| ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ | ٣٦ | ١٠٥ |
| ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ | ٤٥ | ١٧٢، ١٨٨، ٢٥٥، ٢٧٢ |
| ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ | ٦٩ | ٢٢٨ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

| الآيــــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الروم** | | |
| ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ | ٢١ | ١٨٦ |
| ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ | ٣٩ | ١٨٤ |
| ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ | ٤١ | ١١٨ |
| ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ | ٥٤ | ٦٨ |
| **سورة لقمان** | | |
| ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ | ١٣ | ٣٠٢ |
| **سورة السجدة** | | |
| ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ | ٧ | ١٠٤ |
| ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ | ١٦ | ٢٣٠ |
| **سورة الأحزاب** | | |
| ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ | ١٠ | ٨٨ |
| ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ | ١١ | ٨٨ |
| ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ | ٢١ | ٢١٩ |
| ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ | ٢٥ | ٨٩ |
| ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ | ٤٤ | ٨٧ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ | ٥٦ | ١٤١، ١٧٢، ١٨٨، ٢٥٥، ٢٧٢، ٣٣٤ |
| ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ | ٧٢ | ٢٨٤ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة سبأ** | | |
| ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ | ١٠، ١١ | ١١٨ |
| ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ | ١٣ | ٧١ |
| **سورة فاطر** | | |
| ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ | ١٤ | ١٣٩ |
| ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ | ١٨ | ٧٤ |
| ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ | ٢٨ | ٢٣٠ |
| ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ | ٢٩ | ٤، ١٦٦ |
| ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ | ٣٠ | ٤، ١٦٦ |
| ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ | ٣٢ | ٢٦٢ |
| ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ | ٣٧ | ١٩١ |
| ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ | ٤٣ | ١٤ |
| **سورة يس** | | |
| ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ | ٩ | ١٤٧ |
| ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ | ٨٢ | ٨ |
| **سورة الصافات** | | |
| ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ | ١٠٢، ١٠٧ | ٢٠٢، ٢٠٣ |
| **سورة ص** | | |
| ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ | ١١ | ٩ |
| ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ | ٢٢ | ٢٩١ |

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ | ٢٣ | ٢٩١ |
| ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ | ٢٤ | ٧١، ٢٩٢ |
| ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ | ٢٦ | ٢٩٢ |
| ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَىَّ أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ | ٧٥ | ٧٥ |
| ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ | ٧٦ | ٧٥ |
| **سورة الزمر** | | |
| ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ | ٩ | ٢٣٠ |
| ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ | ١٥ | ٥٠ |
| ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ | ٢٨ | ٣٠٩ |
| ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ | ٣٠ | ٢٢٤ |
| ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ | ٥٣ | ٣٠٢ |
| **سورة غافر** | | |
| ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ | ٣ | ١٤٠، ١٧٠ |
| ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَىۡءٍ رَّحۡمَةً وَعِلۡمًا﴾ | ٧ | ١٠ |
| ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ | ١٦ | ٦٦ |
| ﴿إِن فِى صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ | ٥٦ | ٧٢ |
| **سورة فصلت** | | |
| ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ | ١٠ | ١١٥ |
| ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ | ٣٩ | ١١٠ |
| ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ | ٤٩ | ٨ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الشورى** | | |
| ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ﴾ | ١٥ | ٨٨، ٩٦ |
| ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ | ٣٠ | ٢٥٢، ٢٥٨ |
| ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ | ٣٩ | ٣٠٠ |
| ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ | ٤٠ | ٢٨٦، ٣٠١ |
| ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ | ٤١ | ٣٠١ |
| ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ﴾ | ٤٢ | ٣٠١ |
| **سورة الزخرف** | | |
| ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ | ٤٣ | ٣٠٩ |
| ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ | ٤٤ | ٣٠٩ |
| **سورة الدخان** | | |
| ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ | ٣٠ | ٤٧ |
| ﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ | ٣١ | ٤٧ |
| **سورة محمد** | | |
| ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ | ٤ ـ ٦ | ٥٥ |
| ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ | ٣٥ | ٢١٢ |
| **سورة الفتح** | | |
| ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ | ١ | ٨٩ |
| ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ | ٤ | ٩، ٢٤٧ |
| ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ | ٧ | ٩ |

QaradawiBooks.com

| الآيــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ | ١٠ | ١٤ |
| ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ | ٢٤ | ٨٩ |
| **سورة الحجرات** | | |
| ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ | ١٠ | ٩١ |
| ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ | ١٣ | ٩١ |
| **سورة ق** | | |
| ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ | ٧ | ٧٨ |
| **سورة الذاريات** | | |
| ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ | ٥٦ | ١٠٥ |
| **سورة النجم** | | |
| ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ | ٣ ـ ٤ | ٢١٦ |
| **سورة القمر** | | |
| ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ | ٤٩ | ١٠٤ |
| **سورة الرحمن** | | |
| ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ | ٧ ـ ٩ | ١١٨ |
| ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ | ٤٦ | ٢٣٧ |
| **سورة الواقعة** | | |
| ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۞ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ | ١٠، ١١ | ٢٦٣ |
| ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۞ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾ | ٢٥ ـ ٢٦ | ٨٧ |

QaradawiBooks.com

| الآيـــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة المجادلة** | | |
| ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾ | ٦ | ٢٣١، ٢٥٠ |
| **سورة الحشر** | | |
| ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ | ٧ | ٢١٦ |
| ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ | ٨ | ١٥٢ |
| ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ | ٩ | ١٥٢ |
| ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ | ١٠ | ١٤١، ٢٥٥، ٢٧١، ٣٣٤ |
| ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ | ٢٣ | ٨٧ |
| **سورة الممتحنة** | | |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ | ١٣ | ٨ |
| **سورة الصف** | | |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ | ٤ | ٨٣ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ | ١٤ | ١٥٥ |
| **سورة الجمعة** | | |
| ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ | ٢ | ٣٠٨، ٣٣١ |
| ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ | ١٠ | ١٢٨ |
| **سورة المنافقون** | | |
| ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ | ٨ | ٢٥٣ |
| ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ | ١٠ | ١٩١ |
| ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ | ١١ | ١٩١ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية

| الآيـــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة التغابن** | | |
| ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ | ١ | ١٤٠ |
| ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ | ١٦ | ١٣٤ |
| **سورة الطلاق** | | |
| ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ | ١ | ١٨٧ |
| ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ | ٢ | ١٨٥ |
| ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ | ٣ | ١٨٥ |
| **سورة التحريم** | | |
| ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ | ٦ | ٢٨٣ |
| **سورة الملك** | | |
| ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ | ٣ | ١٠٤ |
| ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ | ٥ | ٧٧ |
| ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ | ١٥ | ٢٦، ٤٩، ١٩٤ |
| **سورة القلم** | | |
| ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ | ١ | ٢٠٦ |
| **سورة الحاقة** | | |
| ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ | ١١ | ٤٦ |
| **سورة المدثر** | | |
| ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ | ٤ | ١٢٥ |
| ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ | ٣١ | ٩، ١٩٧ |
| ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ | ٣٨ | ٧٤ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة القيامة** | | |
| ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۞ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ | ١، ٢ | ٢٤٤ |
| **سورة النازعات** | | |
| ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ | ١٧ | ٤٦، ٤٧ |
| ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ | ٣٧ ـ ٣٩ | ٤٦ |
| ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ | ٤٠ ـ ٤١ | ٢٣٧ |
| **سورة التكوير** | | |
| ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۞ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾ | ٨، ٩ | ٢٦٨، ٣٢٦ |
| **سورة الانفطار** | | |
| ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ | ٧، ٨ | ٧٨ |
| **سورة المطففين** | | |
| ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۞ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۞ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ | ٤ ـ ٦ | ٦٦ |
| ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ | ١٤ | ٢٤٥ |
| **سورة البروج** | | |
| ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۞ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ | ١٧، ١٨ | ٩، ٨١ |
| **سورة الطارق** | | |
| ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۞ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۞ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ | ١٥ ـ ١٧ | ١٤ |
| **سورة الأعلى** | | |
| ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ | ٢، ٣ | ١٧٤ |

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الآيـــــــة | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة الفجر** | | |
| ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ | ٦ ـ ١٤ | ١٥ |
| ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ | ١١، ١٢ | ٣٤، ٤٥ |
| ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ | ٢٧ ـ ٣٠ | ٢٤٧ |
| **سورة الشمس** | | |
| ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ | ٧ ـ ١٠ | ٥١، ٢٤٣ |
| **سورة التين** | | |
| ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ | ٤ | ٧٨ |
| **سورة العلق** | | |
| ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ | ١ ـ ٤ | ٢٠٦ |
| ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ | ٦، ٧ | ٢٧، ٤٦ |
| **سورة البينة** | | |
| ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ | ٨ | ٢٣٧ |
| **سورة القارعة** | | |
| ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ | ١٠، ١١ | ٢٦٢ |
| **سورة العصر** | | |
| ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ | ١ ، ٢ | ١٢١ |
| ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ | ٣ | ٦٦، ١٢١ |
| **سورة قريش** | | |
| ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ | ٣ | ٥٤ |
| ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ | ٤ | ٥٤ |

QaradawiBooks.com

| رقم الصفحة | رقم الآية | الآيـــــــــة |
|---|---|---|
| | | **سورة الكافرون** |
| ٨٨ | ٦ | ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ |
| | | **سورة النصر** |
| ٢٦٤ | ١ – ٣ | ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ |

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

# فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| أ | |
| أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنَّها مُنْتنة | ١٥٣ |
| أتاكم رمضانُ شهرُ بركةٍ، يغشاكم اللهُ فيهِ، فيُنزِلُ الرَّحمةَ، ويحُطُّ الخطايَا | ١٦١ |
| أتدرون علام تبايعون الرجل؟ إنَّكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود | ١٤٥ |
| اتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب | ٣٠١ |
| اتقوا الظلم؛ فإنه ظلمات يوم القيامة | ٣٠٤ |
| اتَّقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، والظل، وقارعة الطريق | ١١١، ١٢٦ |
| أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدق الأسماء: حارس وهمَّام | ٩٠ |
| أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا | ٢٢١ |
| إذا أمرتكم بأمر، فائتوا منه ما استطعتم | ١٣٤ |
| إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد | ٢١٠ |
| إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنّة، وغُلِّقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين | ١٦١ |
| إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض | ٢٨٨ |
| إذا رأيت أمتي تهاب الظالم، أن تقول له: أنت ظالم، فقد تودع منهم | ٢٩٨ |
| إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان | ١١٥ |



نسخة مجانية

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناس. فهو أهلكُهم. وفي رواية: فهو أهلكَهم | ٢٢٥ |
| إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوا عليه | ١٣٦ |
| اذهبي حتى تلدي | ٢١٨ |
| ارجع فقد بايعناك | ١٣٦ |
| استفتِ قلبك، وإن أفتاك الناس، وأفتوك | ١٨٠ |
| اشتد غضبي على من ظلم مَن لا يجد له ناصرًا غيري | ٢٩٠ |
| اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك | ١٩٠ |
| أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب | ٢٤٦ |
| ألا إنَّ في الجسد مضغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله | ٢٢٤، ٢٥٧ |
| ألا إنَّ لله في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرَّضوا لها | ١٦٩ |
| ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود | ٣١٠ |
| اللهم أعوذ بك أن أَضل، أو أُضل، أو أَزلَّ، أو أُزلّ، أو أظلم، أو أُظلم | ٢٩٥ |
| اللهم إنا نسألك عيش السعداء، وموت الشهداء، والفوز في القضاء | ٣٠٥ |
| اللهمَّ أنت ربِّي، لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدُك | ٢٤٦ |
| اللهمَّ أنت السلامُ، ومنك السلامُ | ٨٧ |
| اللهم بارك لأمتي في بكورها | ١٢٨ |
| اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلَّا شفاؤك | ١٣٧ |
| اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه، أنا شهيدٌ أنَّك الله وحدَكَ لا شريكَ لك | ٩٢ |
| أليست نفسًا | ٩٥ |
| أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له | ٢٣٦ |
| إماطة الأذى عن الطريق صدقة | ١٢٦ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، الكِبْرُ بَطَرُ الحق، وغمْطُ الناس | ٧٧، ٧٨ |
| إنَّ الله سائل كل راعٍ عما استرعاه أحفظ أم ضيَّع | ١١٤ |
| إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين | ١٨١، ١٨٢ |
| إنَّ الله طيب يحب الطيب، وجميل يحب الجمال، ونظيف يحب النظافة | ١١٢، ١٢٦ |
| إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم | ٢٢٤ |
| إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته | ٢٨٧ |
| إنَّ الله معنا | ١٤٩ |
| إنَّ الله هو المسعِّر، القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله | ٢٩٥ |
| إنَّ الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده | ١١٢ |
| إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله | ٢٢٣ |
| إنَّ الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه | ١٩٣ |
| أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك | ٢٦٧ |
| إنَّ الحلال بيِّنٌ وإنَّ الحرام بيِّنٌ | ١٧٤ |
| إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم | ٢٥٢ |
| إن رسول الله ﷺ بايعنا على النصح لكل مسلم | ١٧٦ |
| إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه | ٢٢٤ |
| إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك | ١٣٧ |
| إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء | ٢٤٥ |
| إنَّ عمارًا ملئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه | ١٣٨ |
| إنَّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله | ٢٢٧ |
| إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة | ١٠٨ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| إنَّ لجسدك عليك حقًّا، وإنَّ لعينك عليك حقًّا، وإنَّ زوجتك عليك حقًّا | ١٣٣، ٢٢١ |
| إنَّ المسلم ليؤجر في كل شيء؛ حتى في اللقمة يضعها في فم امرأته | ١٩٩ |
| إنَّ الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه | ٢٩٨ |
| إنَّ هذا الشَّهرَ قد حَضَرَكُمْ، وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر | ١٦٥ |
| أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما إني لأخشاكم لله وأتقاكم له | ٢٢٠، ٢٢١ |
| انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا. قالوا: هذا ننصره مظلومًا | ٢٩٧ |
| إنَّما بُعِثْتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق | ٩٣، ٣٣٣ |
| إني أتوب إليه في اليوم مائة مرة | ٢٦٥ |
| إنِّي بُعثت بحنيفية سمحة | ٢٢٢ |
| إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّمًا؛ فلا تظَّالموا | ٢٨٦ |
| إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة | ٢٦٤ |
| أيكما أطب | ١٣٩ |
| أيُّها النَّاس، إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، كلُّكم لآدم، وآدمُ من تراب | ٩٠ |
| **ت** | |
| التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ | ٧٤ |
| تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين | ٥ |
| تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وسنتي | ٢٢٥ |
| تَسَمَّوْا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عَزَّوَجَلَّ عبد الله وعبد الرحمن | ٥ |
| **ث** | |
| ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى مُتّبع، وإعجاب المرء بنفسه | ٢٥٧ |
| ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حين يُفطر - في رواية: حتى يُفطر | ٣٠١ |



QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| ح | |
| حبُّ الدُّنيا، وكراهيةُ الموت | ٢١٢ |
| حدثوا عني ولا حرج، بلغوا عني | ٢١٩ |
| حقٌّ على كل مسلم، في كل سبعة أيام يوم يغسل فيه رأسه وجسده | ١١٢، ١٢٦ |
| الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّن، وبينهما مُشَبَّهات، لا يعلمها كثير من الناس | ١٧٣، ١٨١ |
| د | |
| دخلت امرأة النار في هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها | ٢٩٥ |
| درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشد من ستة وثلاثين زنية | ١٧٧ |
| دع ما يريبك إلى ما لا يريبك | ١٧٨ |
| الدين النصيحة. كما قال نبيُّنا مُحَمَّد ﷺ | ١٢١، ٢٩٣ |
| ر | |
| رب اغفر لي وتُبْ عليَّ | ٢٦٤ |
| الربا وإن كثُر؛ فإن عاقبته تصير إلى قُلٍّ | ١٨٣ |
| ز | |
| زادك الله حرصًا ولا تعد | ٢٢٣ |
| س | |
| سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون | ١٩٨ |
| السواك مَطْهَرة للفم ومَرْضاة للرب | ١١٢، ١٢٥ |
| ش | |
| شرُّ النَّاس يوم القيامةِ ذو الوجهَيْن، الَّذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه | ٥١ |



نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| **ص** | |
| صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب | ١٣٤ |
| الصَّلواتُ الخمسُ، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان | ١٦٠ |
| **ط** | |
| الطهور شطر الإيمان | ١١١، ١٢٥، ٢٦١ |
| **ف** | |
| فإنْ سابَّك أحدٌ أو جهل عليك فلتقل: إنِّي صائم، إنِّي صائم | ١٦٣ |
| فإن لبدنك عليك حقًّا ـ أي في الراحة ـ ولعينك عليك حقًّا ـ أي في النوم | ٢٢١ |
| فإن المنبتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى | ٢٢١ |
| فر من المجذوم فرارك من الأسد | ١٣٦ |
| فمن اتَّقى الشبهات؛ فقد استبرأ لدينه وعِرضه | ١٧٨ |
| فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن | ٢٩٩ |
| في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له | ٣٣٤ |
| **ك** | |
| كان خلقه القرآن | ٢١٦، ٢١٧ |
| كان النبيُّ ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان | ١٦٧ |
| كان يأمرني أن أتَّزِر فيباشرني، وأنا حائض | ٢١٩ |
| كان يقبلني في رمضان، وكان أملككم لإربه | ٢١٩ |
| كل جسم نَبَتَ من سُحْت، فالنار أولى به | ١٧٥ |
| كلُّ عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف | ١٥٩ |
| كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته | ٢٩٢ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| **ل** | |
| لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير | ١٩٨ |
| لا، إنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده | ١٤٣ |
| لا تتمنَّوْا لقاءَ العدوِّ، وسَلُوا اللهَ العافيةَ، ولكنْ إذا لقيتموه فاصبروا | ٨٩ |
| لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض | ٨٢ |
| لا تزرموه وصبوا عليه ذنوبًا من ماء، فإنَّما بُعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين | ٢٢٢ |
| لا تزول قدما عبد يوم القيامة؛ حتى يسأل عن عمره فيما أفناه | ٢٧٠ |
| لا تزول قدماه في عرصات يوم القيامة حتى يُسأل عن أربعة | ١٩٠ |
| لا تسبوا الحمَّى | ٣٠٠ |
| لا تسبوا الريح | ٣٠٠ |
| لا تسبوا الشيطان | ٣٠٠ |
| لا هجرةَ بعد الفتح ولكنْ جهادٌ ونيَّة، وإذا استُنفرتم فانفروا | ١٥٤ |
| لا يبلغ عبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس | ٥، ١٧٨، ٢٦٣ |
| لا يحِلُّ دمُ امرئٍ مسلم، يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله | ٦٤ |
| لا يدخل الجنَّة مَنْ كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كِبْر | ٧٧، ٢٢٥ |
| لا يوردن مُمْرض على مُصِح | ١٣٦ |
| لعن الله من اتخذ هذا غرضًا | ٥٣ |
| لعن في الخمر عشرة | ١٢٩ |
| لكم على هذا الجنَّة | ١٤٥ |
| لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطاعون | ١٣٠ |
| لمن هذه الشاة؟. قالوا: إنَّها لمولاة لميمونة أم المؤمنين | ١١٦ |

QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| لو كان لابن آدم واديان من ذهب؛ لابتغى ثالثًا، ولا يملأ عينَ ابن آدم إلَّا التراب | ١٨٤ |
| لولا أنَّ الكلابَ أُمَّة من الأمم؛ لأمرتُ بقتلها | ٥٣، ١٠٦ |
| لولا أنِّي رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلتك | ٢٧٨ |
| ليس الصيام من الأكل والشرب، إنَّما الصيام من اللغو والرفث | ١٦٢ |
| ليس الواصل بالمكافئ، إنَّما الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها | ١٩٤ |
| ليلعق أحدكم الصحفة | ١١٦ |
| **م** | |
| ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده | ١١٧، ١١٨ |
| ما أنزل الله من داءٍ إلَّا أنزل له شفاء | ١٣٥ |
| ما ظهرت الفاحشة في قوم يُعمل بها فيهم علانية؛ إلَّا ظهر فيها الطاعون | ١٩٦ |
| ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه | ١٢٧ |
| ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا؛ فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة | ١٠٨ |
| المسلمُ أخو المسلم | ٩١ |
| مَنْ أحيا أرضًا ميتة فهي له | ١١٠ |
| مَن أدرك رمضانَ فلم يُغفر له فأبعده الله، هكذا دعا جبريل | ١٦١ |
| من أصبح آمنًا في سربه، معافًى في بدنه، عنده قوتُ يومِه | ٥٤ |
| مَن حجَّ فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه | ٢٠٠ |
| من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه | ٢٩٨، ٢٩٩ |
| مَنْ زرع شجرة فصبر عليها وقام عليها حتَّى تُثمر كان له من الأجر كذا وكذا | ١٠٩ |
| مَنْ صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه | ١٦٠ |
| من علق تميمة، فقد أشرك | ١٣٧ |


غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| من فطَّر صائمًا، كُتب له مثل أجره، من غير أنْ ينقص من أجر الصائم شيء | ١٦٨ |
| من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه | ١٦٤ |
| من قتل عصفورًا عبثًا عجَّ إلى الله ﷻ يوم القيامة | ٥٢، ١٠٥، ١١٤ |
| من قتل مُعاهدًا لم يَرَح رائحةَ الجنَّة، وإنَّ ريحَها ليوجد من مسيرةِ كذا وكذا | ٤٠ |
| مَنْ قطع سدرة صوَّب الله رأسه في النار | ١٠٥ |
| من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم | ٣٠٢ |
| مَنْ كان له شعر فليكرمه | ١١٢، ١٢٥، ١٢٦ |
| من لم يدَعْ قولَ الزُّور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَه وشرابه | ١٦٣ |
| من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به | ١٣٢ |
| المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف | ١٢٨ |
| المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنْيَانِ يشدُّ بعضُه بعضًا | ٨٣ |
| المؤمن يأكل في مِعًى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء | ١٢٨ |
| **ن** | |
| نعم إنَّه فتح | ٨٩ |
| نعم، فإن الله ﷻ لم يضع داء إلَّا وضع له شفاء | ١٣٤ |
| نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ | ١٩٨ |
| نهى أن يقضي الإنسان حاجته في الأماكن الَّتي يرتادها النَّاس | ١١١ |
| نهى عن بول الإنسان في مُستحمِّه | ١١١ |
| نهى عن البول في الماء الدائم | ١١١ |
| نهى المسلم أن يجلس مجرد جلوس على مائدة يدار عليها الخمر | ١٢٩ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| هـ | |
| هي من قدر الله | ١٣٥ |
| و | |
| وأعوذ بك من غَلَبَة الدين، وقهر الرجال | ١٨٤ |
| وأيكم مثلي؟ إنِّي أبيت يطعمني ربي ويسقيني | ١٣٨ |
| ومن غشَّ فليس منَّا | ١٥٠ |
| ومن قام ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه | ١٦٤ |
| وينادي مناد: يا باغيَ الخير أقبِل، ويا باغيَ الشرِّ أقصِر | ١٦١، ١٦٢ |
| ي | |
| يا أبا بكر، ما ظنُّكَ باثنين الله ثالثهما | ١٤٨ |
| يا أيُّها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة | ٢٦٤ |
| يا بني هاشم، ويا بني عبد المطلب، إن الرائد لا يكذب أهله | ٢٣٦ |
| يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام | ١٨٢ |
| يا رسول الله كانت الليلة باردة وتذكرت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ | ١٣٤ |
| يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله | ٢٢٤ |
| يا عائشة، لِمَ فعلت هذا؟ قالت: ألم تسمع ما قال يا رسول الله؟ قال: بلى | ٢٢٤ |
| يا عباد الله، تداووا فإن الله لم يضع داءً إلَّا وضع له دواء | ١٣٤ |
| يا عبادي، إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّمًا؛ فلا تظَّالموا | ٢٨٦ |
| يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ: أمن الحلال أم من الحرام | ١٧٤ |
| يُحسب ما خانوك وعصوك ويكذبونك، وعقابك إيَّاهم | ٢٥٠ |


QaradawiBooks.com

| الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|
| يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا | ٢٢٢ |
| يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا | ٢٢٢ |
| يوشك أن يأتي زمان يجلس فيه رجل شبعان متكئ على أريكته | ٢١٧ |

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

# فهرس الموضوعات


- **من الدستور الإلهي للبشرية** ..... ٤
- **من مشكاة النبوة الخاتمة** ..... ٥

**١ ـ الأمل واليأس في القرآن الكريم (٢)** ..... ٧

الخطبة الأولى ..... ٧

المؤمن لا ييئس أبدًا ..... ٨

وسع ربُّنا كلَّ شيء علمًا ..... ١٠

ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء ..... ١٢

الظالمون انقلبوا على الحرية ..... ١٣

البغي لا يأتي إلَّا على صاحبه ..... ١٣

الظالمون يقتلون روح الأمة ..... ١٤

إنَّ ربَّك لبالمرصاد ..... ١٥

الظلم لا ينتصر على العدل ..... ١٦

الخطبة الثانية ..... ١٨

قضيَّة القدس والمسجد الأقصى ..... ١٨


غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

**٢ ـ الفساد والإفساد في القرآن الكريم (١)** ..... ٢٢
الخطبة الأولى ..... ٢٢
الإصلاح وعمارة الكون ..... ٢٣
ما حدث بين ابني آدم ..... ٢٤
محاربة الفساد ..... ٢٥
الأرزاق موجودة ..... ٢٦
طغيان الإنسان ..... ٢٧
النهي عن الفساد في الأرض ..... ٢٨
الفساد السياسي ..... ٢٩
الفساد الاقتصادي ..... ٣٠
الخطبة الثانية ..... ٣٣
الانقلاب العسكري في مصر ..... ٣٣
السيسي يحلف كإبليس والمؤمنُ يصدق من يقسم له ..... ٣٥
انقلاب على اختيار الشعب ..... ٣٨
حلُّ الجمعيات الخيرية ..... ٣٩
ننكر كل تفجير يقع في مصر ..... ٣٩
ليس للإخوان صلة بالإرهاب ..... ٤٠
**٣ ـ الفساد والإفساد في القرآن الكريم (٢)** ..... ٤٥
الخطبة الأولى ..... ٤٥
ما الطغيان؟ ..... ٤٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإفساد السياسي ........ ٤٧
الإفساد الاقتصادي ........ ٤٨
الإفساد الاجتماعي ........ ٤٨
الإفساد الأخلاقي ........ ٥٠
الإفساد البيئي ........ ٥١
الإفساد الأمني ........ ٥٤
الخطبة الثانية ........ ٥٧
المستبدون يحكمون الشعب من الوراء ........ ٥٧
لا لحكم العسكر ........ ٥٩
العساكر يأكلون حقوق الشعب ........ ٥٩
ارفضوا هذا الاستفتاء ........ ٦٣
لا تقتلوا الأبرياء ........ ٦٤
عبث بالمحجبات والمنقبات ........ ٦٥
**٤ ـ الكِبْر والاستكبار في القرآن** ........ ٦٨
الخطبة الأولى ........ ٦٨
أمراض الشتاء ........ ٦٨
الصدع بكلمة الحق ........ ٦٩
بناء الأمة ........ ٧٠
الخير للجميع ........ ٧١
الاستكبار والمستكبرون ........ ٧٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة طباعية
QaradawiBooks.com

معصية أبينا آدم ........ ٧٣
توبة أبينا آدم ........ ٧٤
موقف النصارى من معصية آدم ........ ٧٤
الكبر معصية إبليس ........ ٧٥
أمراض القلوب ........ ٧٦
أنواع الاستكبار ........ ٧٦
الجمال في القرآن ........ ٧٧
الخطبة الثانية ........ ٧٩
ثورات الربيع ........ ٧٩
الكيد للثورات ........ ٨٠
الانقلاب في مصر ........ ٨٠
اضطهاد المسلمين في إفريقيا الوسطى ........ ٨٣
التآمر على المسجد الأقصى ........ ٨٣
**٥ ـ الإسلام دعوةُ سلامٍ وإخاءٍ وتسامح ........ ٨٦**
الخطبة الأولى ........ ٨٦
المشاركة في مؤتمر الإسلام والتفاهم بين الديانات والشعوب ........ ٨٦
الإسلام دعوة سلام ........ ٨٧
الإسلام لا يقاتل إلَّا اضطرارًا ........ ٨٨
الإسلام جاء بالإخاء والتفاهم بين البشر ........ ٩٠

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

التسامح الإسلامي وأسسه ........ ٩٤
عالم اليوم في حاجة إلى التفاهم ........ ٩٧
واقع العالم اليوم ودعمه لدولة الصهاينة المعتدين ........ ٩٨
أوربا وقضيَّة البوسنة والهرسك ........ ٩٩
مآسي المسلمين أكبر دليل عن غياب العدل في العالم ........ ١٠٠
**٦ ـ رعاية البيئة في ضوء الإسلام** ........ ١٠٢
الخطبة الأولى ........ ١٠٢
معنى البيئة ........ ١٠٢
تأثير البيئة في الإنسان ........ ١٠٣
تأثير الإنسان في البيئة ........ ١٠٤
عناية الإسلام بالبيئة ........ ١٠٤
رعاية لا مجرد حماية ........ ١٠٧
العلوم الإسلاميَّة والبيئة ........ ١٠٧
أسس ودعائم لرعاية البيئة ........ ١٠٨
العناية بجانب الجمال ........ ١١٢
المحافظة على موارد الأمة وتنميتها ........ ١١٧
تكامل الأمة في زراعتها وصناعتها ........ ١١٧
الخطبة الثانية ........ ١٢١
كلمة إلى القمة العربية بسرت ........ ١٢١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**٧ ـ عناية الإسلام بالجسم الإنساني** ........ ١٢٤
الخطبة الأولى ........ ١٢٤
الخطبة الثانية ........ ١٤٠
**٨ ـ الهجرة النبويَّة والمجتمع الإسلامي الجديد** ........ ١٤٢
الخطبة الأولى ........ ١٤٢
الهجرة بداية التـأريخ الإسلامي ........ ١٤٢
الدولة في الإسلام ........ ١٤٢
سعيُ النبيِّ لإقامة قاعدة ودولة للإسلام ........ ١٤٣
إسلام الأنصار رضي الله عنهم ........ ١٤٤
بيعتا العقبة ........ ١٤٥
الأمر بالهجرة إلى المدينة ........ ١٤٦
إذن الله لرسوله بالهجرة ........ ١٤٧
أخذ النبيِّ ﷺ بالأسباب ........ ١٤٨
معيَّة الله لرسوله ........ ١٤٨
الربَّانية والمسجد أوَّل أسس المجتمع الإسلامي ........ ١٥٠
التوازن بين الدُّنْيا والآخرة ........ ١٥٠
المؤاخاة بين أهل المدينة ........ ١٥٠
مجتمع الجهاد ........ ١٥٤
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد نيَّة ........ ١٥٤
الخطبة الثانية ........ ١٥٧
كشف حساب لعام مضى ........ ١٥٧

QaradawiBooks.com

**٩ ـ رمضان ربيع الحياة الإسلاميَّة** ........ ١٥٨
الخطبة الأولى ........ ١٥٨
رمضان ثورة على الشهوات والمألوفات ........ ١٥٨
موسم الطاعات والبركات ........ ١٥٩
الشقيُّ من حُرِمَ في رمضان رحمة الله ومغفرته ........ ١٦١
في رمضان فرص الرحمة تترى ........ ١٦١
إحسان الصوم ........ ١٦٢
الصوم إعلاء للجانب الروحي على الجانب الطيني ........ ١٦٣
إحسان القيام ........ ١٦٤
من الفرص العظيمة في رمضان الذكر والدعاء ........ ١٦٥
شهر المواساة ........ ١٦٦
رمضان النفحة العظمى ........ ١٦٨
الخطبة الثانية ........ ١٧٠
تفطير الصائمين عبر لجنة قطر لكفالة اليتيم ........ ١٧٠
مسابقة في حفظ الأربعين النووية وعمدة الأحكام ........ ١٧٠
صلاة التراويح في جامع الشيوخ ........ ١٧١
**١٠ ـ تحري الحلال واجتناب الحرام** ........ ١٧٣
الخطبة الأولى ........ ١٧٣
الحلال بيِّن والحرام بيِّن ........ ١٧٤
مغالطة النفس ........ ١٧٤

غير مرخصة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تحري سلف الأمة الحلال وورعهم ........ ١٧٥
الأمر في غاية الأهمية ........ ١٧٦
أقل درجات الورع ........ ١٧٧
درجات الورع ........ ١٧٧
ورع المتقين ........ ١٧٨
المال الحرام ليس أمرا هيِّنًا ........ ١٧٩
معنى الضرورة ........ ١٨٠
إنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلَّا طيبًا ........ ١٨١
الوسيلة النظيفة للغاية الشريفة ........ ١٨٢
أثر اجتراء المسلمين على الحرام ........ ١٨٢
المخرج من ذلك أن نتحرَّى الحلال ........ ١٨٤
الخطبة الثانية ........ ١٨٦
بناء الأسرة في الإسلام ........ ١٨٧
الأسرة نواة المجتمع ........ ١٨٧
**١١ ـ السفر بين الضوابط والمحاذير** ........ ١٨٩
الخطبة الأولى ........ ١٨٩
اغتنم خمسا قبل خمس ........ ١٩٠
كل إنسان مسؤول يوم القيامة ........ ١٩٠
العمر رأس مال الإنسان ........ ١٩١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الصيف فصل العطلات والإجازات ..... ١٩١
العالم من حولنا يعملون وينتجون ..... ١٩٢
العمل للمعاش عبادة وجهاد ..... ١٩٣
من يسافر عائدًا إلى وطنه ..... ١٩٣
صلة الرحم ..... ١٩٣
السفر بحثًا عن الرزق وطلب العلم ..... ١٩٤
السفر لطلب الأمن ..... ١٩٥
السفر للتفريج عن النفس والاعتبار ..... ١٩٥
النية الحسنة عند السفر ..... ١٩٦
آثار الانحراف في الأسفار ..... ١٩٧
حسنات وسيئات وخيرات وشرور ..... ١٩٧
أحكام السفر ورخصه ..... ١٩٨
**١٢ ـ خطبة عيد الأضحى ..... ٢٠٠**
قدرة الأمَّة على التَّجميع وتجنيد الطاقات ..... ٢٠٣
انتشار الأميَّة في بلاد الإسلام ..... ٢٠٦
الأمة بين الوحدة والتمزق ..... ٢٠٦
زيادة الإنتاج وتحسينه كمًّا ونوعًا ..... ٢١٠
مواجهة إسرائيل ..... ٢١٠
الانتصار على الوهن ..... ٢١٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**١٣ ـ السُّنَّة منهاج للحياة ........ ٢١٦**
الخطبة الأولى ........ ٢١٦
السنَّة تفصيل وبيان للقرآن ........ ٢١٧
السنَّة تشمل مراحل الحياة كلها ........ ٢١٨
السنَّة تشمل جوانب الحياة كلها ........ ٢١٩
السنَّة منهاج متوازن ........ ٢٢٠
السنَّة تقوم على السماحة والتيسير ........ ٢٢٢
أهمية رفق الدعاة إلى الله ........ ٢٢٣
فهم قاصر لمعنى السنَّة ........ ٢٢٤
الخطبة الثانية ........ ٢٢٦
**١٤ ـ الخوف من الله تعالى ........ ٢٢٧**
الخطبة الأولى ........ ٢٢٧
مجاهدة النفس ........ ٢٢٧
حافزان أساسيان الخوف والرجاء ........ ٢٢٨
الحاجة إلى الخوف ........ ٢٢٩
علاقة الجهل والمعرفة بالخوف ........ ٢٢٩
مقدمات الخوف ........ ٢٣١
١ ـ استحضار الذنوب ........ ٢٣١
٢ ـ استحضار العقوبات ........ ٢٣١
عقوبات الآخرة ........ ٢٣٢

QaradawiBooks.com

٣ ـ استحضار ضعف الإنسان ........ ٢٣٢
الخوف من المعصية ........ ٢٣٣
الخوف من النفاق ........ ٢٣٣
الخوف من استصغار المعصية ........ ٢٣٤
الخوف من سوء الخاتمة ........ ٢٣٤
الخوف من ثمار المعرفة ........ ٢٣٦
الخوف سبيل إلى الجنة ........ ٢٣٧
الخوف يمنع الغرور ........ ٢٣٧
الخوف يردع عن الجرائم ........ ٢٣٨
**١٥ ـ النفس اللوَّامة ........ ٢٤٠**
الخطبة الأولى ........ ٢٤٠
الحذر من النفس الأمارة بالسوء ........ ٢٤١
أهمية سياسة النفس وترويضها ........ ٢٤٢
وقفات مع النفس للمحاسبة ........ ٢٤٣
النفس اللوامة هي الضمير الحي ........ ٢٤٤
لا تستهن بالذنوب ........ ٢٤٥
احرص أن تكون ذا نفس لوامة ........ ٢٤٦
النفس المطمئنة ........ ٢٤٧
أهمية المحاسبة للنفس ........ ٢٤٧
جدول المحاسبة ........ ٢٤٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نتيجة المحاسبة ........ ٢٤٩
دقة الحساب عند الله تعالى ........ ٢٤٩
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ........ ٢٥١
محاسبة الأمة نفسها ........ ٢٥١
مآسي المسلمين اليوم بما كسبت أيديهم ........ ٢٥٢
الخطبة الثانية ........ ٢٥٤

**١٦ ـ وقفة مع النفس (النقد الذاتي)** ........ ٢٥٦
الخطبة الأولى ........ ٢٥٦
الأزمات والمِحَن لا تأتي من فراغ ........ ٢٥٦
معاصي القلوب أشد من معاصي الجوارح ........ ٢٥٧
تلوث القلوب والأنفس ........ ٢٥٨
الأزمات توقظ النائم وتنبه الغافل ........ ٢٥٩
لا بد من وقفة مع النفس ........ ٢٦٠
باب التوبة لا يُغلق ........ ٢٦٠
إنَّ الله يحب المتطهرين ........ ٢٦١
لا بدَّ أن يكون يومك خيرًا من أمسك ........ ٢٦٢
محاولة الترقي والصعود ........ ٢٦٢
غرور النفس ........ ٢٦٣
لا بدَّ من محاسبة النفس ........ ٢٦٥

QaradawiBooks.com

حاجتنا إلى الفرد الصالح ........ ٢٦٦
تغيير ما بالأنفس يغير التاريخ ........ ٢٦٦
انعدام الرحمة وذبول العاطفة ........ ٢٦٧
تحرير الإسلام للنفوس وتطهيرها ........ ٢٦٨
حاجتنا لتزكية الأنفس وإصلاح القلوب ........ ٢٦٩
الخطبة الثانية ........ ٢٧١
**١٧ ـ تغيير الأنفس أساس الإصلاح** ........ ٢٧٣
الخطبة الأولى ........ ٢٧٣
كثرة هموم المسلمين ومشكلاتهم ........ ٢٧٣
أسباب الواقع المخزي الذي نعيشه ........ ٢٧٦
المسؤولية مشتركة ........ ٢٧٦
الخطوة الأولى تغيير ما بالأنفس ........ ٢٧٧
التغيير الداخلي يسبق الثورات ........ ٢٧٧
تغيير الأهداف والأماني ........ ٢٧٨
صناعة التغيير ........ ٢٧٨
أثر الإيمان في التغيير ........ ٢٧٩
تكوين الإنسان المؤمن ........ ٢٨٠
تلاميذ النبي ﷺ ........ ٢٨١
أهداف الإسلام الكبرى ........ ٢٨٢
حاجتنا إلى بناء المؤمن الصالح ........ ٢٨٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

**١٨ ـ الظلم مراتبه وعواقبه** ............ ٢٨٤
الخطبة الأولى ............ ٢٨٤
الجاهلية تقوم على الظلم ............ ٢٨٥
الإسلام يحرم المظالم كلها ............ ٢٨٦
لا بد من عقوبة الظالم ............ ٢٨٧
مراتب الظلم ودرجاته ............ ٢٨٨
ظلم الإنسان لنفسه ............ ٢٨٨
الظلم في محيط الأسرة ............ ٢٨٨
الظلم في محيط المجتمع ............ ٢٩٠
ظلم القاضي للمتحاكمين إليه ............ ٢٩٠
ظلم الرعاة والحكام ............ ٢٩٢
الظلم الدولي ............ ٢٩٤
ما موقف الإنسان المسلم من الظلم؟ ............ ٢٩٥
المسلم لا يظلم أحدًا ............ ٢٩٥
المسلم لا يعين ظالمًا ............ ٢٩٦
المسلم لا يركن لظالم ............ ٢٩٧
نصيحة الظالم ومنعه من الظلم ............ ٢٩٧
حياة الأمة في مواجهة الظالمين ............ ٢٩٨
أضعف الإيمان كراهية الظلم ............ ٢٩٩
حقوق المظلومين ............ ٣٠٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

توبة الظالم ........ ٣٠٢
أنواع الظلم ........ ٣٠٢
التحلل من المظالم في الدنيا ........ ٣٠٢
الخطبة الثانية ........ ٣٠٥
إسرائيل والفصائل الفلسطينية ........ ٣٠٥
استقبال رمضان ........ ٣٠٦
**١٩ ـ الإسلام والعروبة ........ ٣٠٧**
الخطبة الأولى ........ ٣٠٧
تعدد الانتماءات ........ ٣٠٧
تكريم الإسلام العرب ........ ٣٠٨
حضارة عربية أم إسلامية؟ ........ ٣١١
هل هناك عروبة بغير إسلام؟ ........ ٣١٣
كثير ممن خدم الإسلام ولغته ليسوا عربًا ........ ٣١٤
العربي يعتز بالإسلام ........ ٣١٥
المسلم يعتز بالعروبة ........ ٣١٦
العربي غير المسلم ........ ٣١٧
المسلم غير العربي ........ ٣١٨
ماذا يطلب العرب من المسلمين؟ ........ ٣١٩
ماذا يطلب المسلمون من العرب؟ ........ ٣٢٠
ماذا يطلب الإسلام من العرب والمسلمين؟ ........ ٣٢٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

**٢٠ ـ حال البشرية قبل الإسلام** ........ ٣٢٢
الخطبة الأولى ........ ٣٢٢
لا يعرف قيمة النور إلا من عرف الظلام ........ ٣٢٢
ضلال الأمم قبل الإسلام ........ ٣٢٣
تحريف أهل الكتاب ........ ٣٢٣
تحريف التوراة ........ ٣٢٤
أوهام الوثنية وخرافاتها ........ ٣٢٤
فساد المعتقدات والأخلاق ........ ٣٢٥
جريمة القتل جريمة بشعة ........ ٣٢٧
إفساد الجاهلية للعقول والقلوب ........ ٣٢٨
ظلم الرجال للمرأة في الجاهلية ........ ٣٢٩
اعتصار حق الضعيف ........ ٣٣٠
انهيار الأخلاق ........ ٣٣٠
العرب هبة الإسلام ........ ٣٣١
مكارم الأخلاق النبوية ........ ٣٣٣
الخطبة الثانية ........ ٣٣٤

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ........ ٣٣٧
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ........ ٣٦٣
- **فهرس الموضوعات** ........ ٣٧٥

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com